محمد الصغير اليفرني

روضة التعريف

بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف



حققه

عبد الوهاب بن منصور

مؤرخ المملكة

الطبعة الثانية

1415 - 1995

المطبعة الملكية

- الرباط -

محمد الصغير اليفرني

روضة التعريف

بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف



حققه

عبد الوهاب بن منصور

مؤرخ المملكة

الطبعة الثانية

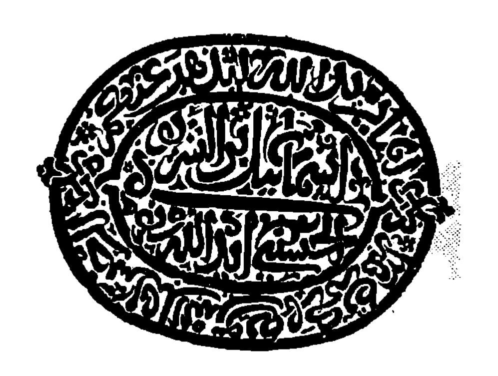
1415 ~ 1995

المطبعة الملكية

- الرباط -

رقم الايداع القانوني 1995/110

ر. د. مك 9981/905/00/3



صورةُ طابع السلطان مولاي إسماعيل وصورةُ توقيعه

تصديـر

تحتفلُ الأمةُ المغربيةُ في هذا العام بذكرى مرور ثلاثة قرون (1082 ـ 1382) على جلوس السلطان الجليل مولاي إسماعيل بنِ الشريف على عرش المغرب

ولا مِراءَ في أن هذا السلطانَ العظيم خليقٌ بكلِّ مبَرَّةٍ وتكريم ، ومآثره جديرةٌ بأن تُذكَر فتُشكَر ، فهو من ملوك الإسلام القليلين المعروفين بقوة الشخصية وشدَّةِ البأس والأخذ في الأمور بالحزم ، وعهدُه من العهود التي حوَّلَتْ سَيْرَ التاريخ في الغرب الإسلامي من سبيل إلى سبيل ، فقدْ وطَّدَ أركانَ الدولة وأعاد لها الهَيْبَةَ والاعتبارَ بعدَما تَصدَّعتْ وانهارتْ إثْرَ وفاة السلطان أحمد المنصور السعدي ، وقمعَ الفتنَ وقضَى على الثوار ، واستعادَ للمغرب وحدتَه ، وافتكَّ من أيدي النصارى جملةً من مراسيه المهمة ، وقضَى على المطامع الأجنبية التي كانتْ تستهدفُ محو كيانِه كبلدٍ مسلم عربي ليصير بلداً نصرانياً كاثوليكياً تنفيذاً لوصايا بعض الملوك الكاثوليكيين ، يُضافُ إلى ذلك ما نتجَ عن حزمِه وطولِ مدَّتِه من استتباب الأمن ، وتبحُّر العُمران ، وانتشارِ الرخاء ، وازدهار العلم والأدب

وقد ارتأى حفيدُه صاحبُ الجلالة الملكُ الحسنُ الثاني أن يكونَ من جُملة ما يُساهم به في إقامة هذه الذكرى إحياءُ بعض الآثار العلمية الراجعة إلى العهد الإسماعيلي ، وكلَّفني بالبحث عنها في خزانته الحافلة ففعلت ، واخترتُ أن أُقدم للطبع مما وقفتُ عليه منها ـ مما يعرفُه الناسُ وما يجهلونَه ـ كتاب (**روضة التعريف ، بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف**) لأنه أولُ كتابٍ معروفٍ أُلف عنه في حياته .

ومؤلفُ هذا الكتاب هو المؤرخُ المغربي الكبير ، محمد الصغير بن محمد بن عبد اللّه اليفرني المراكشي ، المتوفَّى بعد عام 1155 هـ صاحبُ المؤلفات العديدة النفيسة في الأدب والعلم والتاريخ ألفه بإشارة من الوزير الغازي بن أحمد وزير المولى إسماعيل ، وقدَّمه هديةً إلى الحضرة السلطانية اعترافاً بجزيل نعمها عليه ، لأنها (هي التي رَبَّتْني من لدن كنتُ صبياً مرضعاً ، وبوَّأتني من لطيف الإحسان موضعاً ، وسهلتْ عليَّ الرحلةَ في طلب العلم واقتباسه ، ورغَّبتْني في تقمُّص لباسِه) على حدِّ تعبيره في مقدمة الكتاب

وقد اعتمدتُ في طبع الكتاب على

1) نسخة الخزانة السلطانية ، وهي مكتوبةٌ بخطٍّ مُتوسط ، كثيرةُ الخطإ والقلْب والحذْفِ ، عددُ أوراقها 17 في كلِّ صفحة 33 سطراً ، تاريخُ نسْخِها 9 ربيع الأول عام 1251.

2) نسخةُ الخزانة الأحمدية بفاس ، أعارني إياها الفقيهُ المؤرخُ السيدُ عبدُ السلام ابنُ سودة المُرِّي ، وهي مثلُ سابقتها خطأً وقلباً وحذفاً عددُ أوراقها 40 في كل صفحة 18 سطراً

3) أوراقٌ من أول الكتاب تُوجَدُ بالخزانة السلطانية هي من غير شكٍّ طرف من نسخة كانتْ تُكتَبُ برسْمِها ثم عاقت العوائقُ عن إكمالها ، وتمتازُ هذه الأوراقُ بجودة الخط ، وخلوِّها من القلب والتحريف ، وأنها ليستْ مبتورة المقدمةِ كالنسخ الأخرى

أما التصحيحُ فقد اعتمدتُ فيه على كتب التاريخ التي عُنِيَتْ بالعصر الإسماعيلي خطيِّها ومطبوعها

وقد زَيَّنتُ الكتاب ببعض الصور التي تجسمُ مآثر العصر الإسماعيلي .

ولا يفوتُني في الختام أن أعبر عن شكري لصديقي الفقيه السيد أحمد الكردودي الكاتب بوزارة القصور السلطانية (1) ، وللآنسة بديعة الودغيرية السكرتيرةِ بعمالة إقليم طنجة اللذيْن خرَّجا لي نسخةً من الكتاب مقابلةً على المخطوطات الثلاثة

طنجة 1 ربيع الثاني عام 1382
1 شتنبر سنة 1962

عبد الوهاب بنمنصور

---

1) **أحمد الكردودي** ، توفي رحمه الله قتيلا بالصخيرات بعد زوال يوم السبت 16 جمادى الأولى عام 1391 هـ ـ 10 يوليوز سنة 1971 م

ترجمةُ المؤلف

(مستخلصةٌ من كتاب أعلام المغرب العربي)

(تأليف عبد الوهاب ابن منصور)

* **مُحمد الصغير بنُ محمد بن عبد الله اليفرني** ، فقيهٌ وأديب ومؤرخٌ كبير ، من أهل مراكش ، وأصلُ سلفِه من قرية يفرن (أو إفران) الواقعة بإقليم جلميم من ناحية سوس ، وبالنسبة إليها يُعرف ، وأخطأ من نسبه إلى بني يَفرن القبيلة الزيانية الشهيرة ، وُلد بمراكش قرب عام 1080 وتلقَّى بها مبادئ العلم ، ومن أشهر العُلماء الذين كان يحضرُ مجالسهم بها أحمد بن علي المداسي السوسي ، ثم انتقلَ إلى فاس لإتمام تعلُّمه ، فأخذ بها عن علماء وأدباء عديدين ، كالشيخ محمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي والشاعر أحمد بن عبد الحي الحلبي ، ولما عادَ إلى مراكش أُسندتْ إليه الإمامةُ والخَطابة بجامع علي بن يوسف

وكان عالماً مشاركاً ومحدثاً حافظاً وأديباً مُجيداً وأخبارياً مطلعاً ، سيَّال القلم فصيح اللسان ، أَلَّف كُتباً في فنون شتى ، فمن مؤلفاته **الإفادات والإنشادات** ، و**دُرَرُ الحجال ، في التعريف بسبعة رجال** (لم يُكملْه) ، و **روضة التعريف ، بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف** ، ويسمَّى أيضاً **الظل الوريف** ، و**طلعة المشتري ، في ثبوت توبة الزَّمَخْشري** ، و **المغرب ، في أخبار المغرب** ، و **المسلك السهل ، إلى توشيح ابن سهل** ، و **نزهة الحادي ، في أخبار ملوك القرن الحادي** ، و **صفوة مَن اشتُهر ، من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر** ، و **فتح المغيث ، بحكم اللحْن في الحديث** ، و **ياقوتة البيان** ، مع رسائل وأشعار مختلفة.

توفي بمُراكش بعدَ عام 1155 هـ ودُفِنَ بالمقبرة التي قرب جامع ابن يوسف (*)

---

*) **الأدب المغربي** (لمحمد الفاسي) ص 536 و **التقاط الدرر** 2 438 ع 569 و **إظهار الكمال** (مخطوطة مصورة) ص 208 و **الإعلام** ، **بمَن حل مراكش وأغمات من الأعلام** 6 50 ع 741 و **إيليغ** ص 5 و **الدرر المرصعة** (مخطوطة مصورة) ، و **الحياة الادبية في المغرب على عهد الدولة العلوية** ص 229 و **رحلة الوافد** ، **في أخبار هجرة الوالد** ، **في هذه الأجبال بإذن الواحد** ص 226 و **من خلال جزولة** 2 240 و 249 و **المعسول** 10 205 و **مؤرخو الشرفاء** ص 89 و **النبوغ المغربي** ، **في الأدب العربي** ص 288 و **فهرس الفهارس والأثبات** ص 598 و 688 و 800 و 1027

بسم الله الرحمان الرحيم

وصلّى اللّهُ على سيدنا ومولانا مُحمدٍ وآله وصحْبِه وسلَّم

الحمدُ للّه الذي جعلَ الملوكَ لمفرق الإسلام تاجاً ، وأوضح بهم منارَ الدين لمن كان للهداية محتاجاً ، وأحكم منهم لسدِّ أبوابِ الفِتَنِ رتاجاً ، وأظهر لقضايا مُقدمات جحافلهم إنتاجاً ، أحمدُه سبحانَه أن جعلَنا من رياض طاعتهم في ظلال ، وحفظنا من مناوأتهم التي هي بابُ الضلال ، وأطلعَ علينا في ظلام المخاوف من سيوفِهم سراجاً ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له شهادةٌ تُنقي قلوبنا من دَرنِ الخطايا ، وتُزجي إلى روضِ قلوبنا سحائب العطايا ، وتكونُ لنا لنيل السعادة معراجا ، وأشهدُ أن سيدنا ونبينا ومولانا محمداً عبدُه ورسولُه من هو شمسٌ والدنيا له فَلَك ، ومن لولاه لم يُخلقْ إنسٌ ولا جنٌّ ولا مَلك ، أقومُ الأنبياء شرعةً ومنهاجاً ، صلَّى اللّهُ عليه وعلى أصحابه الذين اشتروا المفاخر بأغلا ثَمَن ، وسارعوا إلى مرضاة الله ولم تُلهِهِمْ خضراءُ الدِّمَن ، وقطعوا بسيوف عزائمهم للكفر أوداجا ، والدعاءُ لهذه الدولة التي أحْيَتْ رسوم العدل بعد اندراسِها ، وأخرجت أزهار العلم من أكمام أغراسِها ، وأطلعتْ للبصائر من لطيف سياستها سراجاً وهاجاً ، دولة من أنسى بحسن سيرته جميعَ الدول ، وارتدى من مكارم الأخلاق ما لم يخطرْ ببال أحدٍ في العصر الأول ، ومهَّدَ بجيش مهابته للسائرين سبلا فجاجاً ، من خرج لاقتناء المفاخر في مقدمة أول رعيل ، أبي الطاهر مولانا إسماعيل ، ابنِ موالينا الذين جعلَ اللّهُ محبتَهم لسَقام الآثام علاجاً ، لا زالت كؤوسُ عدله للشاربين لا فيها غوْل (2) ، وفريضةُ أيام حياتِه موسومةً بالعدل ، ولا زالَ المُلك فيه وفي أعقابه لا يرى الناسُ فيه اعوجاجاً

---

2) **الغوْل** : ما ينشأ عن شرب الخمر من صداع وسكر ، وفي القرءان الكريم **لا فيها غولٌ ولا همْ عنْها يُنْزفون** . (سورة الصافات ـ الآية 47)

ملكٌ إذا قابلتُ منه جبينَه فارقتُه والنورُ فوقَ جبيني
وإذا لثمتُ يمينَه وخرجتُ من أبوابِه لثم الملوكُ يميني

وبعد ، فهذا كتابٌ ضمَّنْتُه أخبارَ هذه الدولة السنية ، المولوية الإسماعيلية ، وسمَّيْتُه لما هذبتُ أبوابه البهية ، (روضة التعريف ، بمفاخر مولانا إسماعيل بنِ الشريف) ولك أن تُسَمِّيَه (الظلُّ الوريف ، في مفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف) ، والذي حداني إلى تصنيفه ، ورغَّب في الظفرِ بتشنيفِه ، ريحانةُ الوزراء ، وإنسانُ عين الأمراء ، مملوكُ هذه الدولة النصيحِ ، ولسانُ إيالتها الفصيح ، خديمُ آل البيت النبوي ، والكلِفُ بحبِّ هذا الجانب المَوْلوي ، مُعزُّ العلماءِ والصالحين ، ومُذلُّ المردة الكاشحين ، صاحبُ الخلقِ الأحمد ، أبو الغنائم غازي بنُ أحمد (3) ، أدامه اللّهُ في يمين هذه الدولة سيفاً قاطعاً ، ولا زالَ في سمائها بدراً ساطعاً ، فهو الذي نبَّهَ فكري لهذه المفخرة من الذهول ، وتفطنَ لما لا يَجْحَدُ حُسْنَهُ إلا الجهول ، وخاض بحراً وقفتْ العقولُ بساحله ، وجاب مهمهاً تتيهُ الأذهانُ في بعض مراحله ، فقلتُ له جزاك اللّهُ عن الإسلام خيراً ، لقد نصحتَ المسلمين طرّاً ، وبمثل هذه اللطيفةِ تركتَ الوزراءَ في الحضيض ، ونمتَ وجفنُ الدهر عنك غضيض ، وكمْ فيما طلبتَ من فوائدَ تستملحُها العقولُ ، وكمْ من منافع ليس فيها لقائل ما يقول ، منها أن الناظرَ إذا أجليتْ عليه مآثرُ هذا الملك السعيد ، وتُليتْ عليه ءاياتُ دولته التي كلُّ يوم منها عيد ، عرف قدر اللّه بهذا السلطان وبدولته ، وشكر اللّهَ أن جعلَه من رعيته ، ومنها أن علماءَ كل دولة اعتنَوْا بتدوين مفاخرها ، وجمعوا أخبار أوائلها وأواخرها ، وأزهارُ هذه الدولة لم تقطفْها كفُّ جان ، وعروسُ عجائبها لم يطمثْها قبلي إنس ولا جان ، فأشارَ رعاه اللّهُ بسلوك ذلك السبيل ، ووردِ معينِه السلسبيل ، ومنها أن جميع سياسةِ هذه الدولة حكمٌ نابغة ، وسائر سيرها علومٌ سابغة ، فحقيقٌ أن تودَعَ في بطون الدفاتر ، لأنها من مسائل العلم التي لا ينكرُها إلا ذو

---

3) **غازي بن أحمد** ، يُكنى **أبا الغنائم** ، أحدُ وزراء السلطان مولاي إسماعيل ، ذكره عبدُ الرحمان ابن زيْدان العلوي في **المنزع اللطيف** ، **في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف** ص 233 ولكنه لم يُعرفْ به فيه ولا في **إتحاف أعلام الناس** .

فهم فاتر ، وليس هي محض تاريخ فقط ، بلْ من مستملحات العلم التي تُلتقط ، ومنها أن الناس ألَّفوا في مدح العوامّ (4) ، ولم يروْا ذلك من الطوامّ ، كابن خلدون (5) في كِتابه (بغية الرواد ، في أخبارِ ملوك بني عبد الواد) والتّنسي (6) في (الدر والعقيان ، في شرف بني زيان) وصاحب (درر الأثمان ، في أخبار الترك ملوك الزمان) (7) ، وهؤلاء ليسوا أهلا للمديح ، وما يُقالُ فيهم شبهُ المديح ، فما ظنُّك بأولاد سيِّد المرسلين ، وسلالة المبعوث رحمةً للعالمين

أقــول قــوْلا حسنــاً قلتُــه	مـا النفس فيما قلتُـه آثمـه
لـكلِّ شيء جوهـرٌ خـالصٌ	وجوهرُ الخَلْق بنـو فاطمـه

---

4) المراد بالعوام هنا من ليسوا شرفاء من أهل البيت النبوي.

5) **يحيى ابن خلدون الحضرمي** الشاعر الكاتب المتوفَّى قتيلا بتلمسان سنة 780 قتله الأميرُ أبو تاشفين الثاني وليُّ عهد السلطان أبي حمو الثاني ، أما كتابُه المذكور فاسمُه الكامل (**بغية الرواد ، في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، وأيام أبي حمو الشامخة الأطواد**) ، وقد طبع بالجزائر سنة 1904 م (1322 هـ) بعناية المستشرق الفرنسي ألفرد بل ، ثمَّ أعيد طبع جزئه الأول بالجزائر سنة 1980 م (1400 هـ) بعناية الدكتور عبد الحميد حاجيات ، ويحْيَى ابن خَلدون هذا هو أخو المؤرخ الكبير عبد الرحمان ابن خلدون

6) **محمد بن عبد الجليل التنسي التلمساني** تلْميذ محمد ابن مرزوق الحفيد ، وابراهيم التازي ، وأبى الفضل بن الإمام ، وقاسم العقباني ، توفي عام 899 ، أما كتابه المنكورُ فاسمُه الكامل (**نظم الدر والعقيان ، في بيان شرف بني زيان ، ومَن ملك من سلفهم الاعيان ، فيما مضى من الأزمان**) طبعتْ ترجمة القسم التاريخيّ منه بفرنسَا في القرن الماضي . وأعاد الأستاذ محمود بوعياد مديرَ المكتبة الوطنية بالجزائر طبع مُقتطف منه بالجزائر سنة 1985 م (1045 هـ) تحتَ عنوان **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان.**

وقولُ اليفرني فيما بعد (وهؤلاء ليسوا أهلا للمديح) فيه تحاملٌ كبير ، فقد مدح الملوك العبد الواديين الزيانيين ، والخلفاء الأتراك العثمانيين من هم أفقهُ منه وأعلم ، والزيانيون ملوك تلمسان ينتمون إلى النسب النبوي كما يدلّ على ذلك عنوان كتابُ الحافظ التنسي ، وقد جمع هذا الحافظ أيضاً ما مُدح به واحد من ملوكهم ، وهو السلطان أبو حمو الثاني في مجلد ضخم سماه (**راح الأرواح ، فيما قاله السلطانُ أبو حمو وقيل فيه من الأمداح**)

7) لعله كتابُ محمد بن أبي السرور الصديقي المصري المسمَّى **درر الأثمان ، في أصل منبع ءال عثمان** ذكره حاجي خليفة في **كشف الظنون** 1 : 745

وكيف لا يُمدحُ من مدحه اللّه في كتابه الذي يُحيي بفصاحتِه الميت ، فقال تعالى (إنما يُريدُ اللّهُ ليُذهب عنكم الرجس أهل البيت)

وقد وجدتَ مكانَ القول ذا سعةٍ   فإن وجدتَ لساناً قائلا فقل

ولا يخفَى أن هذه الفوائدَ التي سردناها ، والبواعثَ على التأليف التي أوردناها ، كلُها مسلمةٌ لم تغربْ شمسُها بعد ، وما قلت إلا بالذي علمتْ سعد

وما عليَّ إذا ما قلتُ معتقدي   دع الجهولَ يظنُّ الحقَّ عدوانا
واللّهِ واللّهِ واللّهِ العظيم ومن   أقامه حجةً للناس بُرهانا
إن الذي قلتُ بعضٌ من مناقبه   ما زدتُ إلا لَعَلِّي زدتُ نقصانا

ولما عرضتُ ما طُلب مني على ميزان الشريعة ، واستنشقتُ بأنف الإنصاف أزهارَ روضتها المَريعة ، ألفيتُه أمراً جائزاً ، ولأنواع السعادة والإقبال حائزاً ، فقلتُ له اندبْ لكلِّ مُهمٍّ أهلَ بلواه ، وأما أنا فلستُ لهذا أبا مثواه ، وأنّى للضعيف أن يحملَ الأحمالَ المثقلة ؟ فقال : ورب ضعيف فاء بقرملة (8) ، فقلت إن قلبي من البلادة كالحجارة ، فقال (وإنَّ من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار) ، فقلتُ إن غصن فهمي بشوك الغفلة في مرارة ، فقال كم من شوك تخرجُ منه الأزهار

ولما علمتُ أن لا بدَّ من صَنعا (9) ، أجبتُ وإن كنتُ لا أحسنُ صُنعاً ، وجعلتُه على ثمانية أسماط :

السمطُ الأول : في ذكر نسبه الحسني ، مع إضافة فوائدَ أبهى من الدر السَّنِي

---

8) **القَرْملَة** واحدة القَرْمل شجرٌ ضعيف بلا شَوْك ينفضخُ إذا وُطِىء ، وصوابُ المَثل رُبَّ ذليل عاذَ بقَرْملة.

9) **صنعاء** عاصمة اليَمن ، يشيرُ إلى صدر البيت **لا بدَّ من صنعا** الذي يستشهدُ به النحويون في جواز قصْر الممدود للضرورة ، وصار مثلا فيما بعد.

السمط الثاني : في ذكر ولادته ونشأته ، إلى أن ملَّكه اللّهُ أمر رعيته

السمط الثالث فيمن أخبر به من أهل الكشف والصلاح ، وما وسمه به أهلُ السيادة والفلاح

السمط الرابع : في بيعته وكيفية اتصاله بالملك ، وركوبِه ذلك الفلك

السمط الخامس : في تمهيده البلاد ، ونصره على أهل البغْي والعناد

السمط السادس : فيما فتحَ من مدن النصارى ، التي بلغَ بها في المجد القصارى

السمط السابع في ذكر ما كثر ببركته ، من الخير وأهله في مُدَّتِه.

السمط الثامن في المشاهير من أولاده النجبا ، وذكر مآثرهم التي هي ألطفُ من نسيم الصَّبا

فهذه فهرسةُ هذا الكتاب المبارك ، الذي هو في شرف موضوعه غيرُ مشارك ، وقد قيل إن الحكاياتِ عروسٌ والمتكلمَ ماشطتُها ، والعلوم عقودٌ والتاريخَ واسطتُها ، وعسى أن يقعَ من النفوس أحسنَ موقعٍ ، ويصفَ محاسنَ وجه هذه الدولة المتبرقع ، وقد جعلتْ هذه المدةُ السعيدةُ من نعمها في عنقي طوْقاً ، ومن الصنائع ما لا أجدُ على شكرها طوْقاً (10) ، كيف وهي التي ربَّتْني من لدن كنتُ صبياً مرضعاً ، وبوَّأتْني من لطيف الإحسان موضعاً ، وسهَّلت عليَّ الرحلةَ في طلب العلم واقتباسِه ، ورغَّبتْني في تقمُّص لباسِه ، فأنا المعترفُ بجزيل نعمتها ، المغرمُ بحبِّ طلعتها

أتاني هواها قبلَ أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكَّنا

ولمّا لمْ أجدْ ما أتقربُ به إليها ، مما يكونُ لتلك النعم شكراً عليْها ، رفعتُ هذا الكتاب لحضرته المنصورة ، وجعلتُه هديةً على فضائلها مقصورة

---

10) **الطوق** الأول حَلْيُ العُنُقِ وكلُّ ما استدارَ به ، والثاني الطاقةُ والوُسْع.

الناس يُهدون على قدرهم   وهاأنا أهدي على قدري
يُهدون ما يفنَى وأُهدي الذي   يبقى على الأيام والدهر

واللّهَ أسألُ أن يكسوه رداءَ القَبول ، ويحفظَ أزهاره من الذبول ، وعلى من سرح في بستانه طَرفَه ، وأجرى في مضمار فوائده طِرفَه (11) ، أن يُحلِّيَ بدرِّ الإنصاف عَطلَه (12) ، ويُصلحَ بقلم النصيحة خطلَه ، ولا يطاوعَ الحسدَ في هضم المصيب ، وليقل الحقَّ بغير عناد وتعصيب ، وقد أُخبرتُ أن أحدَ أهل العصر ألّف في هذا المعنى ، وادعى أنه استوفى أخبار ذلك المغنى ، إلا أنه لمْ يساعدْه الوقتُ في إظهار ما لديْه ، فتمثّلتُ بقول الشاعر مُنكتاً عليه

وضعي الذي سارَ في الآفاقِ سائرُه   ونال من ورده الداني مع القاصي
وأنت وضعُك في البيت اختليتَ به   مثْلُ الذنوب التي يخلو بها العاصي

وهذا أوانُ الشروع ، في احتلاب تلك الضروع !

---

11) **الطَّرْف** بفتح الطاء العيْن ، وبكسرها الكريم من الخيْل.

12) **العطل** خلوُّ العُنق من الحلْي والزينة.

السمطُ الأول
في ذكْرِ نسَبِهِ الحَسَني
مَعَ إضافةِ فوائدَ أبْهَى من الدُّر السَّنِي

قال المؤلفُ سدده الله

أما نسبُه نصرهُ اللّهُ فهو موْلانا إسماعيلُ بن مولانا الشريف ، بن مولانا علي ، بن مولانا محمد ، بن مولانا علي ، بن مولانا يوسف ، بن مولانا علي الشريف ، بن مولانا الحسن ، بن مولانا مُحمد ، بن مولانا حسن ، بن مولانا القاسم ، بن مولانا محمد ، بن مولانا أبي القاسم ، بن مولانا الحسن ، بن مولانا عبد اللّه ، بن مولانا أبي محمد ، بن مولانا محمد ، بن مولانا عرفة ، بن مولانا الحسن ، بن مولانا أبي بكر ، بن مولانا علي ، بن مولانا حسن ، بن مولانا أحمد ، بن مولانا إسماعيل ، بن مولانا القاسم ، بن مولانا محمد ، بن مولانا عبد اللّه الكامل ، بن مولانا حسن ، بن مولانا الحسن ، بن مولانا علي بن أبي طالب ، ومولاتنا فاطمة الزهراء البتول بنت مولانا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم . هاكذا ذكر هذا النسب ، الذي هو حقيقٌ أن يسمَّى سلسةَ الذهب ، جماعةٌ من العلماء الأكابر ، كالشيخ أحمد بن أبي القاسم الصوْمعي (13) ، والشيخ الإمام محمد العربي بن

---

13) **أحمد بنُ أبي القاسم الزمراني** صاحبُ زاوية الصومعة بتادلة ،أحدُ المكثرين من التأليف وجمع الكتب من أهل المغرب ، لقي الكثير من أصحاب الشيخ التباع ، واعتمد الشيخ علي بن إبراهيم دفين زاوية أقرض ، وأخذ عن الشيخ الخروبي ومحمد بن عبد الرحمان الشريف . ترجمه أحمد المقّري ترجمة حافلة في كتابه **(روضة الآس ، العاطرة الأنفاس ، في ذكر من لقيتُه من أنباء الحضرتين مراكش وفاس)** الذي اكتشفتُه بالخزانة السلطانية وطبعتُه مُحقّقاً

كانت وفاته بزاوية الصومعة في أوائل ربيع الاول عام 1013

وتنظرُ ترجمتُه أيضاً في كتابي **أعلام المغرب العربي** 5 : 266 ع 1520.

يوسف الفاسي (14) ، ورأيتُه في كتاب (الدر السني ، فيمن بفاس من النسب الحسني) لشيخ شيوخنا عبد السلام القادري (15) وغيرهم ممَّن لا يُحْصوْنَ كثرة ، وقد وقفتُ على كتاب الشيخ النسابة الشريف أبي عبد اللّه الآزورقاني (16) ، فوجدتُه ذكرهم فقال ومن بيت السيد محمد النفس الزكية بينبوع النخل السيد محمد والسيد الحسن ابنا عبد اللّه بن محمد بن عرفة إلى آخره

وكان أصلُ سَلَفِه بالينبوع (17) ، وهو نجارُ أجداده ، لأن جدَهم علي بن أبى طالب كرم اللّهُ وجهه كان النبيُّ صلَّى اللّهُ عليه وسلَّم أقطعه إياه ، فلذلك بقِيَتْ به سلالتُه رضي اللّه عنهم

وأولُ من دخلَ بلادَ المغرب من أجداده مولانا الحسنُ الشريفُ «القادم» (18) بنُ قاسم ، قرأتُ بخطِّ بعض الفضلاء من أهل بلدنا - حرسه اللّه -

---

14) **محمد العربي بن الشيخ يوسف الفاسي الفهري** ، وُلد بفاس ضحى يوم الاثنين 6 شوال عام 988 وأخذ عن والده وعمه عبد الرحمان وأخيه أحمد ، والشيخ ابى الطيب الزياتي ، وابى القاسم ابن القاضي ، والقصار ، وسائر مشيخة فاس في وقته ، من تآليفه **مراصد المعتمد** ، **وتلقيح الاذهان** ، **والطالع المشرف** ، **ومرآة المحاسن** ، توفي بتطوان ضحى يوم السبت 14 ربيع الثاني عام 1052 ونقل بعد عامين الى فاس فدفن متصلا بقبر ابيه يوسف بالقبب

15) **عبد السلام بن الطيب القادري الحسني الفاسي** من اعلام فاس وصدور أيمتها المشهود لهم بالتحرير في مختلف العلوم والآداب والفنون ، أعرف الناس بالانساب ، ولا سيما أنساب قريش ، وُلد عام 1058 وتوفي عام 1110 من مؤلفاته **نيل القربات** ، **وشرح الصدر** ، **ورجاء الاجابة** ، **واغاثة اللهفان** ، **ومنهاج الرشاد** ، **ونزهة النادي** ، **وطرفة البادي** ، **في أهل القرن الحادي** **وفهرسة مشايخه** ، وسواها كثير أما مؤلفه **(الدر السنى** ، **فيمن بفاس من النسب الحسني والحسيني)** فانه يعد المدونة الجامعة للشرفاء ، لاسيما الأدارسة ، وقد طبع بفاس عام 1309.

16) **اسماعيل بن جمال الدين الأزوَرْقاني الحسني** . كان حياً عام 606 وهو مؤلف كتاب **(بحر الانساب ، فيما وقع للسبطين من الاعقاب)**.

17) **الينبوع** الينبوعُ ينبوعان ، مدينة ساحلية بين جدة وخليج العقبة وتسمَّى **ينبوع البحر** وأخرى داخلية خلف الأولى وتُسمَّى **ينبوع النخل** وفيها مقبرةٌ دارسةٌ للشرفاء جدود الأسرة العلوية الملكية بالمغرب.

18) يعرف أيضاً **بالحسن الداخل**.

ما صورتُه   أخبرنا شيخُنا العلامة سيدي محمد بن سعيد المَرْغيتي (19) صاحب المقنع قال : أخبرنا سيدي ومولاي ، وسمط عقد محياي ، مولانا عبد اللّه بن علي بن طاهر الحسني (20) : أن جدَّه الداخلَ للمغرب من ينبوع النخْل هو سيدُنا الحسن بنُ قاسم ، قال : وكانَ دخولُه للمغرب أواخر المئة السابعة ، وكان يومَئذٍ من أبناء الستين أو نحو ذلك ، وتوفِّيَ رحمه اللّه قبلَ انقضاءِ المئة المذكورة ، وذكر بعضُهم أن دخوله كان سنة أربع وستين وستمئة ، قال الشيخُ الإمامُ إبراهيمُ ابنُ هلال (21)   إن دخوله كان في الدولة المرينية ، ذكره في منسكه ، وعلى هذا فيكونُ دخولُه في دولة السلطان أبي بكر بن عبد الحقِ المريني ، ووفاتُه حسبما يأتي في خلافة السلطان يعقوب بن عبد الحقّ أخي أبي بكر المذكور ، ونقل صاحبُ (الأرجوزة) عن ابن هلال أن ذلك كان في السادسة ، وقال شيخُ شيوخنا الإمامُ عبدُ اللّه العياشي (22) في رحلته   إن مولانا الحسنَ دخلَ المغرب في المئة السابعة ، واليه أشارَ صاحبُ الأرجوزة بقوله

---

19) **محمد بن سعيد المرغيتي السوسي** ، قال عنه صاحب الصفوة   شيخ الاسلام ، خاتمة المحدثين ، وسراج المريدين ، كان اماما في علوم الحديث والسير ، وله في ذلك اليد الطولى واليه المرجع فيما هنالك . يروي عن عبد اللّه بن علي بن طاهر العلوي السجلماسي وعن أبى بكر بن يوسف السكتاني ، وعبد الواحد بن عاشر ، والجنان ، وله فهرسة ، وثبت ، ومختصر سيرة اليعمرى ، وغيرها . ولد عام 1007 وتوفي عام 1089 هـ ، ومرْغيتة التي ينسبُ إليها مداشر في قبيلة الأخصاص بدائرة بويْزكارن من إقليم جَلميم.

20) الامام المحدث خاتمة حفاظ الحديث بالمغرب توفي بمدغرة من سجلماسة عام 1044.

21) **إبراهيم ابن هلال السجلماسي** فقيه كبير ولد عام 817 وقرأ بفاس وتلمسان ، ألَّف في الفقه والحديث ، وله فتاوي مشهورة ، وخزانة كتب عظيمة ، توفيَ بسجلماسة عام 903 هـ تنظرُ ترجمته في **أعلام المغرب العربي** 1   142 ع 145

22) **عبداللّه بن محمد بن أبى بكر العياشي** نسبة الى اية عياش قبيلة بالمغرب ، يُكنَى أبا سالم ، الامام العلامة المحدث الرحالة ، ولد عام 1037 أخذ عن مشيخة المغرب في وقته ، وارتحل الى الحرمين حاجّاً طالبا للعلم ثلاث مرات ، وفي حجته الثالثة سنة 1072 الف رحلته الشهيرة المطبوعة بفاس ، له تآليف عديدة في مختلف فنون العلم ، توفي بالطاعون ضحى يوم الجمعة 18 ذي القعدة عام 1090 .

ثمَّ أبـو سالـم عبـدُ اللّـه أكـرمْ بـه مـن عالـم أوَّاه
نكـر فـي رحلتِـه الفاضلـةِ دخولَ ذا الأمجدِ في السابعةِ

وكان سكناه بينبوع النخل بمشجر (23) يعرف بمشجر بني إبراهيم ، وذكر صاحبُ (24) كتاب **الأنوار السنية ، في نَسَبِ مَن بسجلماسةَ من الأشراف المحمدية** عن سبب قدوم مولانا الحسن أن ركب الحاجِّ المغربي كانَ كثيراً ما يردُ على الأشراف هناك ، وكان أميرُ الركب إذذاك أحدَ أهل سجلماسة ، أظنُّه واللّه أعلمُ السيد أبو إبراهيم ، فلما حجَّ في بعض السنين اجتمع هناك بالسيد الحسن المذكور ، وكانتْ سجلماسةُ يومئذٍ خاليةً من سكنى الأشراف بها ، فلمْ يزلْ السيدُ إبراهيم يحسنُ له موطنَها والإقامةَ بالمغرب حتى استمالهُ ، فأجمعَ على السيْر معه ، وقدموا به مع ركبهم إلى المغرب ، فرغَّبه في سكناه ببلدهم أهلُ سجلماسة

وقال حفيدُه الإمام سيدي عبدُ اللّه بنُ طاهر فيما نُقِلَ عنه : وكانَ الذين أتَوْا به إلى سجلماسةَ من أهلِها أولاد البشير وأولاد المتراوي (25) وأولاد ابن عاقلة ، وأولاد المعتصم ، وصاهره منهم أولادُ المتراوي

وذكرَ صاحبُ الأرجوزة أن الشيخَ أبا ابراهيم أحدَ الذين جاءوا به من ذرية عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه ، وقال بعضُهم إن أهلَ سجلماسةَ لم تكنْ تصلحُ الثمارُ ببلدَتِهم ، فذهبوا للحجاز بصدد أن ياتوا برجل من أهل البيت ، فأتَوْا بمولانا الحسن المذكور ، فحقَّقَ اللّهُ رجاءَهم ، وأصلح ثمارَهم ، حتى عادت بلادُهم هي هجر (26) المغرب

---

23) ينطقه العوام مدشر ودشر ودشيرة ، ويعنون به القرية الصغيرة ، وهو في الاصل المكانُ الذي ترعى فيه الماشية ويبيت معها أصحابها دون ان يرجعوا الى مواطنهم الاصلية في المساء

24) **أحمد بن محمد بن احمد بن عبد العزيز بن يوسف بن علي الشريف العلوي** ، كان حياً زمن السلطان مولاي اسماعيل ، توجد نسخة من الكتاب المذكور بالخزانة العامة بالرباط تحت عدد 1351

25) **في الاستقصا** (7 5) المنزاري.

26) **هجر** بفتحتين مكان قرب المدينة مضروب به المثل في جودة التمر وكثرته ، يقال كمُهدي التَّمر إلى هجر.

ونقلَ بعضهم على ما رأيتُه بخط بعض أصحابنا أن سبب مجيئهم به أن الشرفاءَ الأدارسةَ تفرَّقُوا ببلاد المغرب وانْتَثر نظامُهم واستولَى عليهم القتلُ والصَّغارُ من أمراء زناتة ، وقلَّ الشرفُ بالمغرب ، وأنكره كثيرٌ من الأشراف حقناً لدمائهم ، فلما طلع نجمُ الدولةِ المرينية أكبروا الأشراف ، ورفعوا أقدارَهم ، واحترموهم ، فلم يكنْ ببلد سِجِلماسة أحدٌ من الأشراف، فأجمع رأيُ أعيانها وكبرائها على أن يأتوا بمن يتبرَّكونَ به من ءال النسب الشريف ، فقيل إن الذهب يُطلَبُ في معادنه ، والياقوتَ يجلبُ من مواضعه، وإن بلادَ الحجاز هي مقرُّ الأشراف وصدف جوهرة ذلك النسب ، فذهبوا إليه ، وأتَوْا بمولانا الحسن على ما ذكرنا ، فأشرقتْ شمسُ النبوة على أهل سجلماسة وضاءتْ أرجاؤها ، حتى قيلَ إن مقبرة أهل سجلماسة هي بقيعُ المغرب ، وليس لأهل سجلماسةَ مزيةٌ أعظمَ من هذه المزية ، ولولاها ما رُفعتْ لهم راية ، ولا شاعَ لهم ذكر ، وفي ذلك أنشدَ شيخ شُيوخنا الحسنُ بن مسعود اليوسي (27) رحمه اللّه

لولا الكرامُ من آل المصطفى نزلوا	بأرضهم ءاخر الأزمان ما ذُكروا

وهذا البيتُ من مقطوعة له يهجو بها بعض فقهاءِ سجلماسة وهي

حيِّ الأحبةَ عنِّي أينما نُكروا	وخُص من جيرتي قوْماً همُ الغرر
ولا تُحَيِّ لئاماً قدْ عهدتُهم	سجيةٌ فيهم الإيـذاءُ والضَّرر
وقلْ لذلك السِّجلماسيِّ إن لنا	عرْضاً مصوناً فلا تهتكه ياغُدَر (28)

---

27) **الحسنُ بنُ مسعود اليوسي** ، أحدُ كبار علماء المغرب وأدبائه ومفكريه ، وُلد عام 1040 هـ بقرية مزيزة (تامزيزت بالبربرية) القريبة من مدينة صفرو ، وتخرج بأهل زاوية الدلاء ، وجال بالمغرب ءاخذاً عن مشاهير فقهائه وعلمائه وأدبائه ، ونقل في الأخير لفاس للتدريس بجامع القرويين فتزاحم الطلبة على دروسه ، ثم استوطن قبيلته (ءايةُ يوسي) وبها تُوُفِّيَ عام 1102 هـ وبُني عليه ضريح.

وله كتب ودواوين شعرية ورسائل نثرية بليغة كثيرة ، وفتاوي وأجوبة متعددة . وقد خصَّه بالتأليف الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية بالمغرب ، واسمُ مؤلَفِه **الفقيه أبو علي اليوسي ، نموذج من الفكر المغربي في فجر الدولة العلوية** ، طُبع بالمحمدية عام 1409 هـ 1989 م.

28) كثر الغدر .

إن المنافق للعوْرات ملتـمسٌ	والمومنون إذا ما استبصروا عذروا
وليس من عَجب إن كنتَ منتهشاً	لحم الورى فعلَ كلب ليس ينزجر
فإن أسلافَك الأنذال قد أكلوا	لحم الكلاب فذاك الفعلُ مُدخر
أهلُ سجلماسةٍ أنذالُ إن نطقوا	وألأمُ الناس أحلاماً إذا قدروا
لولا الكرامُ من آل المصطفى نزلُوا	بأرضِهم ءاخر الأزمانِ ما ذُكروا

وذكر بعضُهم أن أهلَ سجلماسة لما طلبوا من موْلانا قاسم أنْ يبعث معهم أحدَ أولاده للمغرب لأنه كان أكبر شرفاء أهل الحجاز في وقته شهرةً وديانةً اختبر من أولاده من يليقُ لذلك ، فيُقالُ إنه كانَ له ثمانيةٌ من الأولاد ، فكانَ يسألُ الواحدَ منهم بعدَ الواحد ويقولُ له من فعلَ معك الخير ما ذا تفعل معه ؟ فيقولُ الخير ، ومن فعل معك الشر ؟ فيقولُ أفعل معه الشر ، فيقولُ له اجلسْ ، إلى أن بلغَ مولانا الحسنَ الداخل ، فقالَ له ومن فعل معك الشر ؟ فقال له أفعلُ معه الخير ! قالَ فإن عادَ الى الشر ؟ قال أعود له بالخير إلى أن يغلب خيري شرَّه ! فاستنارَ وجهُ مولانا القاسم وتهلَّلَ ، ودخلتْه أريحةٌ هاشمية ، فدعا له بالبركة وفي عقبه فأجاب اللّه دعوتَـه

وأما ما اشتهر على الألسنة من أنهم وزنوه لأبيه بالمال فحكايةٌ واهيةٌ لا رأس لها ولا ذنَب ، واللّهُ أعلم بحقيقة الحال

وبين مولانا الحسن الداخل وبين جدّه محمد النفس الزكية خمسةَ عشر أباً كما تقدم ، قال صاحبُ كتاب (الأنوار) وعمود نسبه لمْ يزلْ محفوظاً عددُه عندَ بنيه موصولاً فيما بينهم ، وإن قيل كذلك أيضاً عن كثير من الأيْمة الأعلام ، كالسيد أحمد بن يحيى العلمي (29) جدِّ الشرفاء التسفشاونيين حسبما قيَّدَه من خطِّه صاحبُ (مرآة المحاسن) انتهى باختصار وقد سلَفَ ما يعضدُ ذلك أيضاً

---

29) **أحمد بن يحيى العلمي الشفشاوني** ، فقيهٌ مشاركٌ أديبٌ مؤرخٌ بحاثٌ كثيرُ الإفادة ، أصله من مدشر بوشرواس به ولد عام 945 هـ وسكن شفشاون فنُسب إليها وبالنسبة إليها عُرف عقبُه بفاس ، توفي عام 1001 هـ.

تنظر ترجمته في **أعلام المغرب العربي** 5 : 212 ع 1508.

وبالجملة فإن شرف السادة السجلماسيين مما لا نزاعَ في صراحته ولا خلاف في صحته عند أهل المغرب قاطبة ، وقال الشيخ الحسن اليوسي إن شرفهم مقطوعٌ بصحتِه كالشمس الضاحية ، وحدثني صاحبُنا الفقيهُ المؤرخُ أحمدُ الوزيرُ الغساني (30) قال سمعتُ شيخَنا أحمدَ بنَ عبد الله بن معن الأندلسي (31) يقول ما وليَ الملكَ بعد الأدارسة أصحُّ نسباً من شرفاء فيلالة (32) ، وسمعتُ بعض أشياخنا يذكرُ عن شيخه الإمام عبد القادر الفاسي (33) رحمه الله أنه قسم شرفاءَ أهل المغرب بحسب القوة والضعف إلى خمسة أقسام ، ومثَّلَ للقسم الأول وهو المتفقُ على صحته بأفرادٍ من الأعيان ، منهم هؤلاء الساداتُ السجلماسيون

وكانَ مولانا الحسنُ الداخلُ رحمه اللّهُ رجلاً صالحاً ناسكاً له مشاركة في العلوم ، وخصوصاً علم البيان ، فإنه كانتْ له فيه اليدُ الطولى ، ولما استقرَّ بسجلماسة واطمأنَّتْ به الدارُ زوَّجه السيدُ أبو إبراهيم بابنته ، وسكنَ على ما يُقالُ بموضع يقال له المصلح ، ولما توفيَ تنازعَ فيه أهلُ سجلماسة حتى كادتْ نارُ الفتنة أن تشِب بينهم ، فأجمع رأيُهم على أن يمسحوا أرض

---

30) **أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني الفاسي الاندلسي** ، ولد في رمضان عام 1063 أخذ عن مشيخة الوقت بفاس ، ولازم سيدي احمد بن عبد اللّه بن معن الاندلسي ءاتي الترجمة . وكان اعجوبة الزمان في صناعة الانشاء والترسيل ، ذا مشاركة في علوم الحديث والسير والانساب والتاريخ ، له مؤلفات كثيرة في التاريخ والادب والتصوف ، توفي بفاس يوم 2 ربيع الاول عام 1146 ودفن بالساحة المتصلة بقُبَّة شيخه سيدي أحمد بن عبد الله

31) **احمد بن عبد اللّه معن** الاندلسي المحتد ، الفاسي المولد ، من كبار رجال التصوف في المغرب في القرن الحادي عشر ، ولد عام 1042 وتوفي ضحى يوم الاثنين 3 جمادى الثانية عام 1120 ودفن بزاويته بالمخفية . وفيه الف الوزير الغساني المتقدم كتابه **(المقباس ، في فضائل أبي العباس)**

32) **تافيلالت** أو **فيلالة** والنسبة اليها فيلالي ، سهْلٌ فيضي بإقليم الرشيدية يمتدُّ بين وادي زيز ووادي غريس حيث بلدتا الرفود (ارفود) والريصاني والقرى (القصور) التابعة لهما ، وقد يضيقُ المدلولُ فلا يعني إلا بلدة الريصاني وما إليها من قُرى ، وقد يتسعُ فيعني إقليم الرشيديةَ كله

33) **عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي الفهري** ، الامامُ العالمُ حجةُ المغرب في وقته ، ولد بالقصر الكبير عام 1007 وبه نشأ ، ثم رحل الى فاس لطلب العلم فاستقر بها وتصدر للتدريس فوقع الإقبالُ عليه وأجمع علماء عصره على تحققه بجميع العلوم ، وكانت وفاته بفاس عام 1091 ودفن بالزاوية المنسوبة اليه الواقعة في مدخل حومة القلقليين .

سجلماسة بالحبال ، فقسموها أرباعاً ودفنوه بموضع يتوسطُ جميع النواحي الأربع ، بحيثُ لا يكونُ أقرب إلى جهة دونَ جهة ، وكانتْ وفاتُه رحمه اللّه حسبما يستفادُ مما تقدم سنةَ سِتْ أوسبع وسبعمئة

قال المؤلف سدَّده اللّه

في دخول مولانا الحسن رحمه اللّه وإيواءِ أهلِ سجلماسة له وإكبابِهم عليه تصديقٌ للحديث المروي عن رسول اللّه صلَّى الله عليه وسلم ، قال في (الجمان) : يُرْوى أن فاطمةَ بنت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أعطتْ جاريةً لها صدقةً بعد وفاة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، وقالتْ لها امضي بها إلى السوق ، فمَن قبِلَها منك ايتيني به ، فمضت الجاريةُ إلى السوق ، وقالت من يقبلُ مني صدقةَ مولاتي فاطمة بنت رسول اللّه (ص) ؟ فقامَ رجلٌ مغربي وقال أنا موضعُ صدقة آلُ البيت ، فأعطتْه الصدقة ، وقالتْ له أجِبْ بنتَ رسول اللّه (ص) ، فقالَ نعم ، فلما بلغَ الباب سألتْه من أنت ؟ فقال لها أنا رجلٌ مغربي ، فقالتْ من أيِّ أهل المغرب ؟ فقالَ منَ البربر ، فبكتْ مولاتُنا فاطمةُ وقالت قال لي والدي رسُولُ اللّه (ص) لكلِّ نبيٍّ حواريون ، وحَواريو ذريتي البربر ، يا فاطمة ، سيُقتَلُ الحسنُ والحسينُ ويفرُّ أولادُهما إلى المغرب ، فلا يأويهم إلا البربر ، فياشؤم من فعلَ بهم ذلك ، وطوبَى لمَن أكرمهم وأعزهم ، انتهى بلفظه

ولم يخلفْ مولانا الحسنُ من الأولاد إلا ولداً واحداً ، هو مولانا محمد ، وتركَ مولانا مُحمد ولداً واحداً ، وهو مولانا الحسن ، سُمِّي باسم جده ، وهو الآن مدفونٌ حولَ المدينة العظمى بإزاء سيدي محمد الخراز بسجلماسة ، وخلف السيدُ الحسنُ هذا ولدَيْن ، أحدُهما السيدُ عبد الرحمان المكنَّى بأبي البركات وهو أكبرُهما ، ومن بنيه أولادُ السيد أبى حُمَيْد بالتصغير القاطنون الآن بوادي الرتب بالقصر الجديد على مرحلة من

سجلماسة ، ومنهم الشرفاءُ الساكنون ببني زروال (34) ، وثانيهما مولانا علي المعروفُ بالشريف ، ومنه تكاثرت فروعُ المحمديين ، وكان رجلاً صالحاً مجاب الدعوة كثير الأوقاف والصدقة ، حاجّاً مجاهداً ذاهمة سنية ، وأحوال مرضية ، رحلَ في بعض الأوقات إلى فاس وسكنَها مدةً طويلة ، وكانتْ سكناه بها بالحومة المعروفة بجزاء ابن عامر (35) من عدوة القرويين وتركَ هناك داراً ، وأقامَ مدةً بقرية صفرو (36) وخلف بها عقاراً وآثاراً هي بها إلى الآن ، وأقامَ مدةً ببلد جرسلوين (37) على مرحلتين ونصف من سجلماسة ، وتركَ بها مثلَ ذلك ، ودخلَ عُدوةَ جزيرة الأندلس برسم الجهاد مراراً وأقام بها مدةً طويلة ، ثمَّ رحلَ إلى سجلماسة ، فكاتبه أهلُ الأندلس يطلبونَ منه الرجوعَ إليهم ، ويحضُّونَه على الاعتناء بأمور الجهاد ، ويُظهرون له ضَعفَ الجزيرة وأنها شاغرةٌ ممَّنْ تجتمعُ عليه القلوب ، وقدْ كانوا راودوه وهو مقيمٌ عندهم أن يُملكوه عليهم ويُبايعوه والتزموا له النصرةَ والطاعة ، فرغِبَ عن ذلك زهداً وورعاً ، وغضَّ طرفه عن زَهرة الدنيا رضي اللّه عنه

---

34) **بني زروال** ، قبيلة باقليم تاونات شمالي مدينة فاس تتألف من بطن اولاد قاسم وبطن بوبعان ، البطن الأول يشتمل على العمارات التالية اولاد جوادة ، واولاد عزيز ، وبني دركول ، وبني فدين ، وزاوية سيدي عبد الوارث والبطن الثاني يشمتل على العمارات التالية أولاد ابن خالد ، واولاد ابن راشد ، وبني عبد الله ، وفُغالة (تافوغالت بالبربرية)

واشهر قراها تابودة ورغة ، وتافرانت ورغة

وبالقبيلة شرفاء ادارسة وعلويون كثيرون ، والعلويون بها هم من نسل سيدي احمد الشريف ، انتقل اليها في القرن العاشر الهجري ، ونزل أولا بمدشر بوزمام بجبل ودكة ، ثم تفرعوا بعد ذلك وسكنوا بعديد من مداشرها بين سكانها الاصليين

35) **جزاء ابن عامر** ، حومة شهيرة بفاس تقع اسفل حومة العيون ، كانت مسكناً في القديم للأسر العلمية والمترفة ، وما زالت معروفة بهذا الاسم الى اليوم

36) **صفرو** : بلدة صغيرة جميلة المنظر خصبة التربة طيبة الهواء ، تقع في الجنوب الشرقي لفاس على بعد 28 كلم ، وقد أصبحت قاعدة اقليم من اقاليم ولاية فاس ، وتشهد في الوقت الراهن نمواً عمرانياً وديموغرافياً

37) وفي نسخة الخزانة الاحمدية : جدس الوين ، ولعلها آجر سلوين التي وصفها لسان الدين ابن الخطيب في كتيبه : **(معيار الاختيار ، في ذكر المعاهد والديار)**.

وقد وقفتُ على رسائل عديدةٍ بعثها إليه علماءُ غرناطة أعادها اللّه دار إسلام يُحرضونه على الجواز إليهم ، والنفور إلى حماية بيضة الإسلام ، ويذكرون أن كافةَ أهل غرناطة من علمائها وصلحائها ورؤسائها وظفوا على أنفسِهم من خالص أموالهم دونَ توظيف سلطان عليهم أموالا كثيرة برسم الغُزاة الواردين معه من المغرب ، وحلّوْه في تلك الرسائل بمانصه إلى الضرغام الهُمام ، وقطب دائرة فرسانِ الإسلام ، الشجاع المقدام ، الهصور الفاتك ، الوقور الناسك ، طليعةِ جيش الجهاد ، وعين أعيان الأنجاد ، المؤيد بالفتح في هذه البلاد ، المسارعِ إلى مرضاة رب العباد ، مولانا أبي الحسن مولانا علي الشريف هـ نصُّ التحلية وكتبوا لعلماء فاس يامرونَهم أن يحضوا مولانا علي الشريف على العبور إلى العُدوة ، فكتب إليه أعلامُ فاس بمثل ذلك ، وحثُّوه على المسارعة إلى إغاثتهم ، وذكروه فضائلَ الجهاد ، وأنه من أفضل أعمال البرّ

وكانَ من موجبات تخلُّفِه عن إغاثة أهل غرناطة أنه عزَم على المشْي إلى الحج ، فقالُوا له في بعض الرسائل وعوض هذه الوجهةِ الحجية التي اجتمع رأيُكم وتوفر عزمُكم عليها فالعبورُ إلى الجهاد ، فإن الجهادَ أصلحَك اللّهُ في حقِّ أهل المغرب أفضلُ من الحجِّ كما أفتى به ابن رشد (38) رحمه اللّه حين سُئل عن ذلك ، وقد بسطَ الكلامَ عليْه في أجوبته ، ووجهَ ما ذهب إليه من ذلك هـ.

وكانَ الذي كتب إليه من علماء غرناطة جماعة ، منهم شيخُ المواق الامام محمد ابن السراج (39) قاضي الجماعة ، ومن شيوخ فاس الذين كتبوا

---

38) **محمد بن احمد ابن رشد القرطبي** ، احد كبار فقهاء المالكية بالأندلس يكنى ابا الوليد ويلقب بالجد ، ولد عام 450 هـ وتوفي عام 520 هـ ، وقد طبعت دار الغرب الاسلامي فتاويه ببيروت في ثلاثة اجزاء عام 1407 هـ - 1987 م

39) **محمد بن محمد ابن سراج** ، يكنى ابا القاسم ، مفتي غرناطة وقاضي الجماعة بها ، وأحد كبار فقهاء المذهب المالكي بالمغرب والأندلس ، له شرح على مختصر خليل وفتاوي كثيرة ذكر أحمدُ الونشريسي جملةً وافرة منها في **(المعيار)** ، رحل الى تلمسان ولقي بها محمد ابن مرزوق (الحفيد) وناظره ، والى إفريقيه ولقي بها جماعة من العلماء وناظرهم ، ثم رجع الى الأندلس .

توفي سنة 848 هـ.

له الشيخ محمد القوري (40) شيخ الامام ابن غازي (41) ، وأبو العباس المَواسي (42) شارح (الروضة) ، وعبد الرحمان الرقعي (43) صاحب الرجز المشهور ، وغير هؤلاء رضي اللهُ عنهم ممن تركنا ذكرهم اختصاراً.

---

40) **محمد بن قاسم القوري اللخمي** ، نسبة لبلدة قريبة من اشبيلية ، فقيه مغربي كبير ، ولد بمكناس في اول القرن التاسع الهجري واخذ بها عن اشياخ كثيرين ، وانتقل إلى فاس فولي التدريسَ بها بجامع القرويين ، وكان علامة مفتياً مشاوراً ذا عارضة قوية ومزيد ذكاء ، له شرح على مختصر خليل، وشرح على رسالة ابن ابي زيد القيرواني في 8 مجلدات

توفي بفاس ءاخر ذي القعدة عام 872 ودفن بباب الحمراء داخل باب فتوح

41) **محمد بن احمد ابن غازي العثماني** ، شيخ الجماعة بفاس وكبيُر علماء المغرب وفقهائه ، ولد بمكناس عام 841 هـ واخذ بفاس عن جلة مشايخها ، وانفق عمره في طلب العلم واقرائه والعكوف على تقييده ونشره ، وألف في القراءات والحديث والعربية والحساب والعروض وغيرها

ولي الخطابةَ بمكناس وفاس ، ثم أسْنِدَتْ إليه الإمامةُ والخطابةُ بجامع القرويين ولم يكن في عصره اخطب منه .

خرج في ءاخر عمره الى القصر الكبير للرباط والحراسة فمرض وعاد لفاس فاستمرَّ به المرض الى ان توفِّي بعدَ ظُهر يوم الأربعاء 9 جمادى الأولى عام 919 ودفن صباح يوم الخميس ، ورثاه تلميذه العلامة شقرون بن أبي جمعة الوهراني بقصيدة طويلة .

من مؤلفاته (إنشاد الشريد ، في ضوالّ القصيد) ، و (بغية الطلاب) في الحساب ، و (تكميل التقييد ، وتحليل التعقيد) ، و (حاشية على الألفية) ، و (الروض الهتون ، في أخبار مكناسة الزيتون) ، و (المسائل الحسان ، المرفوعة إلى حبر فاس وتلمسان) ، و (فهرسة) شيوخه الخ

42) **أحمد بن عيسى الماواسي البطويي** ، فقيه كبير ينسبُ الى قبيلة بطوية أو بطيوة التي كانت تسكن بساحل المغرب الشمالي حيث تسكن الآن قبيلة بني ورياغل الريفية ، كان كبير الموقتين بصومعة جامع القرويين ، له شرحٌ على (روضة الأزهار) لعبد الرحمان الجديري .

توفي بفاس يوم 26 ربيع الثاني عام 911 هـ تنظر ترجمته في **أعلام المغرب العربي** 5 107 ع 1443 وجده وسميُّه احمد بن محمد الماواسي المتوفَّى عام 842 هـ مترجَم فيه أيضاً 5 29 ع 1394.

43) **عبد الرحمان الرقعي** ، فقيه من أهل فاس له (أرجوزة) في الذكاة توجدُ مخطوطة في مجموع محفوظ بالخزانة العامة بالرباط نمرتُه 2214 د

توفي عام 859 ذكره أحمدُ ابنُ القاضي في وفياته المسماة (لقط الفرائد ، من لفاظة حقق الفوائد) .

ومما ضمنوه في بعض تلك الرسائل قصيدةٌ طنانةٌ في مدح مولانا علي وصاحبِه الفاضل سيدي محمد بن إبراهيم العمري وحثُّهما على إجابتهم ، وهي من إنشاء العلامة أبي فارس بن الربيع الغرناطي ، وهذا نصُّها

أيا راكباً يطوي المفاوزَ والقفرا رشدتَ ولُقيِّتَ السلامة والخيرا
ترحلْ وجدَّ السير يوماً وليلةً وسافرْ تجدْها في مطالعها زهرا
تحملْ رعاك اللهُ مِنِّي إلى الحما تحيةَ مشتاق تُهيِّجُه الذكـرى
وأمَّ ديارَ الحيِّ من سجلماسةٍ فتلكَ ديارٌ تجمعُ العزَّ والفخرا
وسلِّمْ على تلك الخيام وأهلها سلامَ مُحبٍّ لمْ يُطقْ عنهمُ صبرا
فعندي لهمْ حبٌّ سرَى في جوانحي ومازجَ مني العظمَ والدم والشعرا
فتلكَ بقاعُ الدينِ والخيرِ والهدى فكمْ من تقيٍّ في سماها سما بدرا
همُ القومُ لا يشقَى بهم جلساؤهم يضوعُ عبيرُ الزهر من بينهم نشرا
وقلْ يا أهيلَ القبلةِ السادةَ الأولى إذا ما دُعوا في حادث أسرعوا النفرا
وخصَّ سليلَ الهاشميِّ ابن صهره عليَّ الذي يعلو على زُحلٍ قدرا
أبا الحسن المولَى الشريف الذي به على الغرب شمسُ النصر أشرق بالصحرا
ولاحتْ بآفاقِ القلوب عجائبٌ بما سلَب الألباب تحسبُها سحرا
هو الصقرُ مهما اهتزَّ كلُّ مجلجل هزبرٌ إذا ما أنشب الناب والظفرا
هو الغوثُ إن دارتْ رحا الحرب للقا وغيثٌ إذا ما المزنُ ما أمطرت قطرا
أغارَ على الأعلاج فاجتاحَ جمعَهم وجدَّلَهم قتلَى وشدّ لهم أسرا
بطنجةَ قدْ طاب المماتُ لزمرة بنصرتِها ترجو من الملك الأجرا
دعاها بأقصى السوس قومٌ فأسرجوا من الصافنات الجردِ لم ياخذوا الحِذرا
فهبتْ ركابُ النصر والشمسُ أشرقت وأرهقَ جيشُ الله أعداءه خُسرا
ولا عجبٌ أن الأولى هو منهمُ ليوثُ الشرى إن عادَ مرحبُها شبرا
أجزْ جارك اللهفانَ من غمراته أبا حسن وانصرْ جزيرتَك الخضرا
ونادِ أبا عبد الإلَهِ خليلَكم به تجلبُ السراءُ في حادث الضرا
سليل أبي إسحاق أكرمْ به أباً لقد خلَّفَ الفرعَ الزكِيَّ الرضا البرا
أليس الذي لبَّى نِدا أهل طنجة وجمَّع أهلَ الغرب من حينِه طرا
وأوقـعَ بالكُفـار أيَّ وقيعــةٍ فمَن لم يمتْ بالسيف ماتَ بها ذعرا

وأصبح ثغرُ الدين أشنب باسماً   وأرهقَ وجهُ الكفر من حزَنٍ قترا
ونالَ من الله السعادة والرضا   وجناتِ عدْنٍ في المعاد له ذخرا
وقلْ أيُّها العدلُ الذي اتخذَ التقى   شعاراً ، وسامَى في منازلها الشِّعرى
أرى كلَّ من في الغرب أصبح قانطاً   لأندلسٍ يرجو بطلعتِكم نصرا
وغرناطةُ الغراءُ نادتْكما اقْبلا   وبالرايةِ البيضاء كيْ تنصرا الحمرا
فسكانُها وقفٌ عليكم رجاؤهم   كبيرُهم والطفلُ والكاعبُ العذرا
فجيئا بمَنْ في أرضِكم حامياً لهم   رجالاً وفرساناً غطارفةً غرا
حماةً أباةَ الضيْمْ من كلِّ ماجدٍ   كريم يُباري الغيث والسيل والبحرا
فدونَكمُ الكفارَ تفني طغاتهم   وتشبع من قتلاهم الوحش والطيرا
لقد طمعَ الكفارُ ملكَ رقابنا   بإهلاكهم في أرضنا الحرثَ والثَّمْرا
منازلُنا من كلِّ حصن وقرية   تناديكما غوثاً لخطب أتى مُرّا
فكمْ من ضعيف لا حراكَ بجسمِه   وشيخ بها أربَى على مئة عشرا
وسُمْرٍ وبيضٍ من أوانس كالدُّما   وصِبْيَةٍ مهد لا تعي النفع والضَّرا
ومنبرِ جُمْعٍ للخطابة والدعا   ومسجد دين للصلاة وللإقرا
وكرسيِّ علم مقعد لمهذب   تصدَّرَ يُملي ما يضيءُ لنا الصدرا
وأجداثِ أبناء الصحابة فوقَها   وكلِّ وليٍّ أشعثٍ لابس طمرا
تناديكما غوثاً من الله سرعة   فقد كادَ أن يستأصلَ الكفرُ ذا البَرّا
فحثًّا لنا بالسير بعداً وقربةً   أجيرانا من كفار قد أظهروا الجورا
وعزماً بأخرى مثل تلك التي مضتْ   ليُبْصِر هذا الفنشُ (44) ملتَكم كبرى
وأنتم بحمد الله تَدرون ما أتى   عن المصطفى في الغزْوِ من خَبَرٍ خُبْرا
فلله ما أسنى وددت لو أنني   قُتلتُ فأحيَى ثمَّ أُقتل قد مرا
وما في كتاب الله من ءايةٍ أتت   كشمس الضُحَى في الصحْوِ سافرةً غرا
خذاها بحمد الله عذرا جبينُها   يضوعُ شذا تُهدي لمغناكم عِطرا
وتُبلغُ عني للكرام تحيةً   بأندلس للغرب قد عبروا بحرا
فغوثاً رجالَ الله عوناً لعُدوةٍ   أحاطت بها البأساءُ واشتدت الضرا

---

44) **الفنش** أصله بالإسبانية ألفونسو Alfonso اسم تسمّى به عددٌ من ملوك إسبانيا ، وكثيراً ما يُطلقه المؤرخون والكتابُ المغاربةُ والأندلسيون على كل ملوكها .

فأنتم لنا الجندُ القويُّ ونحوَكم تشَوُّقُنا فاستعجلوا نحوَنا السيْرا
ونُثني على خير البرية ذي الهُدى محمدٍ المبعوثِ بالمِلَّة اليُسْرا
وءالٍ وصحبٍ ثم تالٍ لنهْجِهم ومن لذوي الإسلام قد قصدَ النصرا

وبهذه الرسائل العذبة الألفاظ ، المستوْقفة الألحاظ ، يُعْلَمُ أن مولانا علي الشريف كان ملحوظاً بعيْن الإجلال عندهم ، وأن هذه الدارَ معظمةٌ من قديم ، مشهودٌ لها بالتقديم

ولم يزلْ حفظه اللهُ ورضي عنه دءوباً على فعل الخير ، حريصاً على أسباب الطاعة ، وقسم عمره بين حجٍّ وجهاد ، ويحْكَى أنه في بعض السنين حين رجع من حجة حجَّها ، فسنحَ له أن يذهب إلى ناحيةِ أكْدج (45) بالكاف المعقودة قبل الدال وهي بلدة بالسودان ، فحارب مدينةً من الكفار ليس لها إلا طريقٌ واحد ، وهو قنطرةٌ من الحديد ، فلما ضيَّقَ بهم رفعوا القنطرة فحملَ على فرسه نحوهم فلم يجدْ لهم مدخلا ، فارتَمى نحو الباب بفرسِه، فلما رأوْه داخلا عليهم ألْقَوا عليه قطعةً من الحديد قطعت الفرس نصفَيْن ، وسَلِمَ هو والحمدُ لله ، فتساقطَ عليْه أصحابُه المسلمون في الحفير ، فطلعوا إليه وأخذوا المدينةَ قهراً وجلس بالباب ، وأتاه الكفارُ بجاريتَيْن فائقتَيْن في الحسن والجمال ، وقالوا له اخترْ أيَّهما شئت ! فاختارَ واحدة ، فأخذَ الكفارُ المختارة وذبحوها وضيَّفوه بها ، فلما جاءوه بالطعام عليه اللحم استنكره مكاشفةً أو فراسة ، فسألهم عن اللحم فقالوا له لحم الجارية المختارة ، فقتلَهم عن ءاخرهم إلا من أسلم.

وذكر صاحبُ كتاب (الأنوار) (46) أن مولانا علي مكثَ 14 سنة لا يولَدُ له ، ثم وُلِدَ له ولدان ، وهما مولانا محمد بفتح الميم ، ومولانا يوسف وهو أصغرُهما ، أما مولانا محمد فترك أربعةً من الأولاد ، وهم السيد

---

45) أكـدج لم أهتدِ إلى تحديد موقع هذه البلدة

46) هو أحمد بن محمد بن أحمد العلوي الحسني ، كان حياً عام 1101 هـ (1689 م) ، واسم كتابه الكامل (الأنوار السنية ، في نسبة من بسجلماسة من الأشراف المحمدية) ، طبع بفضالة عام 1386 هـ (1966 م) في 108 ص تقديماً ونصّاً وفهرساً .

الحسن، والسيدُ عبدُ الله ، والسيدُ علي ، والسيدُ قاسم ، وهمْ على الترتيب في السِّنِّ، ويقال لجميعهم أولاد محمد نسبةً إلى هذا الجَدّ ، وفروعُهم كثيرة تتَبُّعُها يطول، وأما مولانا يُوسف فإنه وليَ زاويةَ أبيه ، وأجمع الناسُ على أنه المستأهلُ لها دون غيره لرزانتِهِ ووفورعقله ، فتولاها بعد نزاع ، ورسمُ توليته لها لم يزلْ موجوداً بيد بعض حَفَدتِهِ ، وهذا كلُّه في دولة بني مرين.

وقال صاحبُ كتاب (الانوار) أيضاً : لم يكنْ له ولدٌ حتى بلغ ثمانين سنة ، فوُلِدَ له تسعةٌ من الوَلد ، خمسةٌ منهم أشقاء ، وأُمُّهم السيدةُ حليمة من ذرية بعض المرابطين بسجلماسة ، وهم السيد علي ، وهوَ جدُّ مولانا نصره اللّه ، والسيد أحمد ، والسيد عبد اللّه ، والسيد الطيِّب ، والسيد عبد الواحد المكنَّى بأبي الغيث لكثرة ما نزلَ من المطر عند ولادته ، وكان الناسُ قبله في جدب ، وهمْ على هذا الترتيب في السن ، وأربعةٌ أشقاء أُمُّهم السيدة طاهرة من ذرية بعض المرابطين هنالك أيضاً ، وهمْ السيد الحسن بالتكبير ، والسيد محمد ، والسيد الحسين بالتصغير ، والسيد عبد الرحمان ، ومن منازل الأشقاء الخمسة اليوم أَخَنوس (47) ، وتفصيلُ أنساب الأولاد الثمانية يطولُ بنا ، فلْنقتصرْ على مولانا علي لأنه الغرضُ المقصود

فنقول : وَلَدَ مولانا عليٌّ ثلاثةً من الولد ، وهم مولانا محمد ، ومولانا محرز ، ومولانا هاشم ، وهو جدُّ أهل زاوية المراني (48) ، وكلُّهم قد عقَّبوا ، فأما مولانا محمد فوُلدَ له مولانا علي مع عدةٍ من الأولاد غيره ، ومولانا علي هو الجدُّ الأقربُ لمولانا نصره اللّه ، وتُوُفِّيَ بمراكش وبنَى عليه حفيدُه أميرُ المومنين مولانا الرشيدُ قبةً تلقاء ضريح أبي الفضل عياض رحمه اللّه ورضي عنه

---

47) **أخنُوس وخنُّوس** أيضاً والنسبة إليه خنوسي : قريةٌ واقعةٌ بوادي يفلي قرب بلدة الريساني بإقليم الرشيدية

48) **المراني** قريةٌ (قصر) ببطن وادي يفلي من قبيلة بني محمد دائرة الريساني - إقليم الرشيدية، وإليها نسبة الشرفاء العلويين المرانيين بفاس وغيرها .

ونكر بعضُ العلماء أن رجلاً من الأولياء من أهل المشرق قدم مراكش ، فتحدثَ ناسٌ أنه من أهل الكشف ، وادّعَى أنه يُميزُ بين الأموات في القبور ، ويعرف الصالحَ من الطالح ، والكاملَ من الناقص ، فذهب به بعضُ الفقهاء لزيارة القاضي عياض بقصد الاختبار ، فأدخله المقبرة التي بقرب أبي الفضل ، فلما دخلها قال إني أرى هنا خنازير ، فكان كذلك ، لأن هذه القبة لم يدفنْ فيها إلا الأعلاج ، فأدخلَه لقبةِ مولانا علي ، فقال إني أشمُ هنا رائحةَ المصطفى (ص) ، وفي الحكايةِ طول ، وبعضُهم يزيدُ فيها ما لا أعتقدُ صحتَه

ووَلَدَ مولانا عليٌّ تسعةً من البنين : مولانا الشريف (49) والدُ مولانا نصره اللّه ، والسيد الحفيد ، والسيد حجاج ، والسيد محرز ، والسيد حرون ، والسيد فضيل ، والسيد أبو زكرياء ، والسيد مبارك ، والسيد السعيد ، فهؤلاء عددُ أولِاد مولانا علي

وكان مولانا الشريفُ أفضلَهم وأشهرهم ، وله رحمَه اللّه عدةُ أولاد ، كلُّهم نجومٌ زاهرة ، ذوو همم باهرة ، منهم مولانا إسماعيل نصره اللّه ، فهو واسطةُ عِقْدِهم ، ومنهم مولانا محمد بفتح الميم ، وهو أكبرُهم ، ومولانا الرشيد ، وسيأتي خبرُه في السمط الثاني إن شاء اللّه ، ومنهم مولانا الحران ، ومولانا محرز ، ومولانا يُوسف ، ومولانا أحمد ، ومولانا الكبير ، ومولانا حمادي ، ومولانا العباس ، ومولانا السعيد ، ومولانا هاشم ، ومولانا علي ، ومولانا مهدي ، وهو شقيقُه نصره اللّه

---

49) **الشريف بن علي** ، جدُ الأسرة العلوية الملكية ، ولد عام 997 كان وجيهاً ورئيساً وسيّداً في قومه ، بايعه أهل سجلماسة عام 1041 هـ ، ونازعه بنو الزبير أصحابُ تابوعْصامث ، اعتقلَه أبو حسون السملالي الملقب بأبي دميعة صاحبُ إليغ ، ولما تخلُّص من أسره وعاد إلى سجلماسة وجدَ ابنه محمد قام بالأمر من بعده ، فتخلُّى له عن الملك ، وقضى بقيةَ عمره في العبادة حتى مات يوم 13 رمضان عام 1069 هـ بسجلماسة مسقط رأسه .

قال المؤلف سدده اللّه

هذا ما تيسَّر من نسبه نصره اللّه ، وتَتَبُّعُ تفاريع النسب يُفضي إلى طول وإسهاب ، وعددُ ما بينه وبين النبيِّ (ص) تسعةٌ وعشرون ، وقد نظم بعضُهُم سلسةَ نسبِه الطاهر فقال

توسلْ إلى الرحمان في السرِّ والجهر ... تنلْ كلَّ ما ترجو من الفضل والخير
ونادِ بإسماعيلَ نجلِ شريفِهم ... سليلِ عليٍّ ذي المكانة والقدر
هو ابنُ الجواد الأرْيَحيِّ محمد ... سليلِ عليٍّ شمس أبنائه الغرُّ
هو ابنُ الرضا بحر الفضائل يوسف ... هو ابن عليٍّ أرغبِ الناس في الأجر
هو ابنُ رفيع القدر والحسنُ اسمُه ... ووالدُه المولى محمد كالبـدر
سليل الرضا مصباحنا الحسن الذي ... أتانا من الينبوع بحراً من السر
أبوه المفدَّى قاسمُ بن محمد ... وقاسمُ ياتي من محمد في الذكر
كذا حسن عبدُ الالـه أبٌ لـه ... سليل الفتى المولى محمد ذي الصبر
هو ابنُ الذي يدعونَه عَرَفَهْ وذا ... إلى حسنٍ اِبنِ المكنَّى أبا بكر
هو ابنُ عَلِيٍّ بن الرضا الحسنِ الذي ... لأحمد إسماعيلُ أصلٌ له فادر
كذا قاسمٌ ابْنُ الإمام مُحمـد ... ووالدُه عبد الإلـه بـلا نكـر
هو ابْنُ المثنَّى واسمُه حسنٌ وذا ... من الحسنِ السِّبْطِ استعارَ حُلَى الفخر
هو ابنُ عليٍّ ثم بنتِ محمد ... عليه صلاةُ اللّه في السرِّ والجهر
إلاهي توسلْنـا إلـيك بجاههـم ... أغثْنا أغثْنا واكْفِنا كلَّ ذي شر
ونَوِّرْ بنور الدين ليلَ قلوبنا ... ولا تُخزنا ياربُّ في موقف الحشر
وأحبابنا والمسلمين وكنْ لنـا ... وليّاً وأَوْزِعْنا نـوالَك بالشكـر

ومن لطائف الوزير أبى الغنائم (50) حفظه اللّه التي لم يسبقْ إليها ، ولا نَبَّهَ غيرُه عليها ، أنه في أواسط شهر ذي الحجة سنة 1131 أمر خطباءَ مدينة مراكش حاطها اللّه إذا تعرَّضوا في الخطبة الثانية للدعاء للسلطان على العادة أن يذكروا نسبَه الطاهر إلى النبيِّ (ص) وينظموا أجدادَه في سلك

---

(50) أبو الغنائم كنية غازي بن أحمد وزير السلطان مولاي اسماعيل . ظ التعليق نمرة 3 في ص 13

خطبتهم ، فنفذَ أمرُه بذلك ، وسارَ في البلاد سير النسيم ، واستملحه الناسُ استملاحَ الوجْه الوسيم ، وقضَوا العجب من غرر عقله ، والذي حملَه على استحسان ذلك أمور ، وأولها أن يرضَى الناسُ عن أولئك الأجداد الطاهرين ويترحَّموا عليهم ، وكفَى بذلك فائدة ، ثانيها أن ذلك مما يزيدُ السامع محبةً في الأمير ، ويحرك بواعثَه بالدعاء له بالتوفيق ، ويطلبُ له النصر والتمكين ، وكلُّها أمورٌ حسنة ، ومقاصدُ مستحسنة ، ثالثُها : أن يكونَ سبباً لردِّ المُبْغض في هذا الجناب السعيد عن بغضِه ، ويردعَه عن قبيح عقيدته ، لأنه إذا سمعَ أجدادَه الكرامَ علمَ أنه لا يتأتَّى له محبتُهم مع كراهتِه لولدهم ، وربما يخافُ من شوْكَتِهم ، ويقولُ هؤلاء الأجدادُ لا أظنُّهم ينجو منهم عدوُّ حفيدهم ، ويبادرُ بالإقلاع عن مرعَى بغْيِه ، ويسارعُ إلى التوبة من بغضه

وقريبٌ من هذا المعنى ما ذكره ابنُ الأحمر (51) في كتابه (نثير الجمان) أن السلطانَ أحمد بنَ أبي بكر الزناتي (52) لما بنى صومعةَ جامع القرويين جعل سيفَ مولانا إدريس على جامورها ، فقَالَ في سرِّ ذلك الشعراء ، فللأديب محمد الذيب

---

51) **إسماعيل بن يوسف ابن الأحمر النصري** ، أمير من أسرة بني الأحمر سلاطين غرناطة ، ولد بها في نحو سنة 725 هـ ، وخدم بني مرين ملوك المغرب وكتب في ديوانهم ، توفي بفاس عن سن متقدمة عام 807 او 810 هـ ، له مؤلفاتٌ كثيرة في التاريخ والأدب أكثرُها مطبوع ، والكتابُ الذي يشيرُ إليه المؤلفُ اسمُه الكامل (نثير الجُمان ، في شعر من نظمني وإياه الزمان) ، طبع ببيروت عام 1396 هـ (1976 م) بتحقيق الدكتور محمد رضوان الداية في 528 صفحة . وما قيل في سيف إدريس مذكورٌ فيه في ص 451 وفي (الدرر النفيس) لأحمد الحلبي ، و(الأزهار العاطرة الأنفاس) لمحمد بن جعفر الكتاني ، ويظهر ان قصَّةَ سيف إدريس مجردُ أسطورة

52) **احمد بن أبي بكر اليفرني الزناتي** عاملُ فاس من قِبَل عبد الرحمان الناصر المرواني خليفة قرطبة ، أحدث زيادات كبيرة بجامع القرويين وبني الصومعة الموجودة فيه الآن ، وكان ابتداءُ العمل في بنائها يومَ الاثنين 1 رجب عام 344 هـ (2 أكتوبر سنة 955 م)

قبض عليه جوهرُ الصقلي لما جاء فاس واحتلَّها بجيش بني عبيد ضُحى يوم الخميس 20 رمضان عام 349 هـ (13 نونبر سنة 960 م) ، وحمله مع من حمل من وجوه اهلها لما عاد إلى إفريقية في ءاخر العام المذكور ، فطيف بهم في أسواق القيروان ، ثم حُملوا الى المهدية فحُبسوا بها حتى ماتوا في سجنها .

تنظر ترجمتُه في كتاب- **(أعلام المغرب العربي)**ج 2 ص 304 ع 624

وما خَصَّ إدريسُ المنارَ بسيفه لَعمري ولكن كَيْ يعمَّ نداؤه
يشيرُ أجيبوا داعي اللّه ترشُدوا ومن لم يجبْ داعيه هذا جزاؤه

وما اخترعه الوزير من هذا المعنى ، لأنه جعلَ ذكر أجداده نصره اللّه يُشيرُ إلى أنه مَن كان محباً في الأمير نصره اللّه فليزدْ حباً ، ومن كانَ مُبغضاً فإنه بريء من هؤلاء الأجداد فليتقدمْ أو ليتأخرْ

قلت : وهذا الأمرُ الذي اخترعَه الوزيرُ رعاه اللّه كان معمولا به في القديم ، فقد كان الملوكُ قبلُ يفتخرون باتصال نسبِهم برسول اللّه (ص) ويحقُّ لهم الافتخارُ بذلك ، وكذلك بنو العباس كانوا يسردون أنسابَهم في المحافل على الكراسي والمنابر ، وكان الأمرُ في ذلك في زمان بني عبيد مشهوراً ، فإنهم كانوا يَصِلُونَ أنسابَهم برسول الله (ص) على المنابر يوم الجمعة في سائر أرجاء مملكتهم المتسعة الجوانب حسبما ذكره الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي رحمه اللّه ، على أن نسبَهم مطعونٌ فيه عند الأيمة الموثوقِ بهم ، ولا تصحُ لهم نسبةٌ لفاطمةَ رضي اللّه عنها ، وقد وضع الشعراءُ في سرد أنسابِهم أبياتاً مشهورةً أضربنا عن ذكرها ، وهذا كلُّه مما يؤيدُ أن هذا الأمر مما كان في الزمان الأول مع وجود العلماء العاملين ، وتوفُّرِ أهل الخير والصلاح من غير نكير

وأما ذكرُ السلطان في الخُطب يوم الجمعة فقد كان زمان الإمام مالك بن أنس رحمه اللّه كما نقله ابنُ يونس ، وهو من البدع المستحسنة التي لا يجوز إنكارُها ، وقد أطال النفس في الاستدلال على جوازها ابنُ قاسم والبرزلي هـ

خاتمة السمط الأول

كثيراً ما يجري في كلامنا عند ذكر أحد السادة الأشراف أن نقولَ مولانا فلان ، ولا وجهَ لإنكار ذلك ، فإنه جرى به العملُ وشاعَ في هذه الأقطار المغربية ، وهذه المسألة إحدى المسائل التي أنكرها الشيخ محمد الدكالي على أهل تونس ، وقال تَعملونَ مولى غير اللّه ! وقد ردَّ عليه الإمام أبو القاسم البرزلي في فتاويه ، واستدلَّ عليه بأحاديثَ تدلُّ على

الجواز ، وقال بعد كلام : لم يزلْ ذلك في الديار المصرية وغيرها من أماكن المشرق يُخاطبون به الأُمراءَ والعلَماءَ والصلحاءَ والزهادَ ويكتبون ذلك في مُراسلاتهم ، ولا يغيرُ عليهم مثلَ هذا إلا جاهل هـ

وهذا ما تيسر ذكرُه في السمط الأول

السمط الثاني

في ذكر ولادته ونشأته ، إلى أن ملَّكه اللهُ أمر رعيته

قال المؤلفُ سدده اللّه

كان من خبر ولادتِه نصره اللّه ، أن الدولةَ السعديةَ لما وهي أمرُها ، واختلَّ نظامُها وتساوت فيها الأسافيلُ والأعالي ، نبغَ في كل جهة قائم ، وصاحَ في كل كديةٍ ديك ، وتقاسمَ الثوارُ البلاد ، وصاروا كملوك الطوائف في الأندلس ، فكانَ بمُراكش معَ اليسير من أحْوازها مولاي محمد الشيخ السعدي (53) ، إلا أنه لم يضبطها كلَّ الضبط ، ولا مهَّدَها حقَّ التمهيد ، بل كان يسوسُ الناس فيها بأمر ليِّنٍ وسياسة محلولةِ العُرى ، وقد شقَّ عليه العصا في وسط البلاد أقوامٌ من أخلاط السوس ، فبقِي يعالجُ مردَهم (54) زمناً طويلا حسبما قررناه في كتابنا المسمَّى بـ (تحفة (55) الحادي ، في أخبار أهل القرن الحادي) ، وكان أمرُ فاس ومكناسة وما انضاف إليهما

---

53) السلطان **محمد الشيخ بن زيدان بن السلطان أحمد المنصور**، بويع بعد أخيه الوليد بن زيدان يوم الجمعة 15 رمضان عام 1045 وكان متواضعا صفوحاً متوقفا في الدماء ، مائلا الى الراحة والهناء ، توفي قتيلا عام 1064 ودفن بمقبرة الشرفاء السعديين بمراكش

54) **المَـرد** العتوُ والعصيـان

55) كذا في الأصل ، واسم الكتاب المشهور هو **(نزهة الحادي ، بأخبار ملوك القرن الحادي)** وهو من مصادر التاريخ المغربي المهمة ، يشتملُ على واحد وثمانين مبحثاً ، منها خمسة وسبعون لأيام السعديين وستةُ مباحث لأيام العلويين ، وقد طُبع لأول مرة بباريس سنةَ 1888 بعناية المستشرق الفرنسي هوداس في 315 صفحة نصاً وفهرساً ، وأعادت طبعه ـ عن طبعة باريس ـ مكتبةُ الطالب بالرباط ، ونُشر بفاس بالمطبعة الحجرية دون تاريخ .

إلى وادي أم الربيع بيد أهل زاوية الدلاء (56) ، وقامَ بصقع سوس الأقصا وما انضافَ إليه من بلاد الصحراء وسجلماسة أبو حسُّون (57) عليُّ بن محمد بن محمد بن محمد بن الوليِّ الصالح الكبير الشأن سيدي أحمد بن موسى نفَع اللهُ به (58) ، وكان مولاي الشريفُ رحمه اللهُ مقدماً عندَ أهل سجلماسة ، وكافةُ أهل المغرب يقصدونه ويستشفعون به في العويصات والمعضلات ، ويهرعون إليه إذا عراهم خطب ، فنمَّى بعضُ الحسدة الماردين من أهل سجلماسة خبره إلى أبي حسون وخوَّفَه منه ، وذكر أنه

---

56) ينتسب أهل زاوية الدلاء الى مجاط بطن من صنهاجة ، كانوا في أول أمرهم أهل صلاح وعلم ، ثم تشوفوا للملك عندما طرأ الضعف على الدولة السعدية ، وأول من طلبه منهم محمد الحاج وكان ذلك سنة 1046 فبعد ما اطاعته الجهات القريبة من الزاوية زحف بجموع البربر على مكناس فاستولى عليها عام 1050 ثم استولى في السنة التي تليها على فاس ، وما زال أمرهم يعظم الى أن ظهرت الدولة العلوية فقضى عليهم ثاني ملوكها المولى رشيد سنة 1078 وهدم زاويتهم وحملهم الى فاس ثم غربهم الى تلمسان

57) **عليُّ بن محمد بن الشيخ أحمد بن موسى السملالي** المعروف بأبي حسون ، ظهر بسوس لما ضعف أمر السلطان زيدان بن أحمد المنصور السعدى فاستولى على رودانة وسائر اقليم سوس ودرعة وسجلماسة ، ولما توفي عام 1070 خلفه ولده محمد وبقي أميراً على تلك الجهات الى ان نهض اليه السلطان مولاي رشيد عام 1081 فأوقع به واستولى على ايليغ دار ملكه وملك أبيه ، وصفا أمر سوس للدولة الجديدة

تنظرُ ترجمتُه في كتاب ـ **(أعلام المغرب العربي)** ج 1 ص 412 ع 300

58) **أحمد بن موسى السملالي الحسني** ، أحدُ كبار مشايخ المغرب وصلحائه المشاهير ، ولد بسملالة باقليم سوس في حدود عام 853 هـ ونشأ نشأة عادية الى ان حصل تحوُّل حاسمٌ في حياته بسبب اتصاله بالشيخ محمد الوجّاني أو الشيخ إبراهيم بن علي من متصوفة صقعه ، فولَّى وجهَه شطر العبادة، وطارت شهرتُه في الآفاق ، توفي ليلة الاثنين 7 ذي الحجة عام 971 هـ ودُفن وسطَ المقبرة القريبة من زاويته بقرية زروالة (تازروالت) ، وقد ألّفَ الشيخ محمد الدراوي كتاباً في مناقبه

تنظر ترجمته في كتاب **(أعلام المغرب العربي)** ج 5 ص 180 ع 1483 .

يستميلُ الناس طمعاً في الخلافة ، وأنه يُحَدِّثُ بها نفسه ، فبعث أبو حسون لعامله على سجلماسة أن يوجهَ به إليه ، فحُملَ إليه في حديث طويل ، فأوصلَه وفرح به ، وبقَيَ لديه مدة ، وكان ذلك في حدودَ الخمسين والألف، وقد وقفتُ على رسالة بعث بها الشيخُ العارفُ بالله سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي إلى أبي حسُون يحضُّه فيها على البرور بمولانا الشريف بن علي لما بلغَه أنَّ ابا حسُّون وجَّهَ إليه ، ونصُّ الغرض المحتاج إليه منها هو قوله وما ذكرتموه لنا على الفاضل الشريف ، الزكيِّ العفيف ، مولانا الشريف، ما سمعتُ قطُّ أنه يخطرُ له ببال ، ولا سددتم إلى جنابه بنادقَ الإضرار والنبال ، فحمدنا الله على ذلك ، وشكرناه على ما أولى من النعم ، ودفع من النقم ، ولكن مصائدَ النفوس والأهواء منصوبة ، حفظنا اللهُ وإياكم من أشراكها ، وقد قيل إنَّ المعادنَ وإن طمست محالُها ، ودرست دلائلُها ، فلا بدَّ لها يوماً من الظهور ، ولو طالت السنون والدهور ، والأيامُ والشهور ، وكنا مُهتمينَ لذلك أشدَّ اهتمام ، حتى بلغنا كتابُكم فانجلى الظلام ، وحيثُ ورد علينا الشريفُ المنيف ، الزكيُّ العفيف ، مولانا سعيد بن عبد الرحمان، وولدُ خديمكم الأنجد القائد حمو بن بلَّة بأخبار الجميع فاطمأنَّتْ لذلك النفوس، وتباعدَ منها الشر والبؤس.

انتهى ما احتيجَ إليه من تلك الرسالة وهي طويلة.

ولم يزلْ مولانا الشريف عند أبي حسون في تبجيل وتعظيم ، إلى أن رجع إلى سجلماسة في حكاية طويلة.

وفي هذا الأمد وُلد مولانا إسماعيلُ (59) نصره الله ، وكانت ولادتُه في نيف وخمسين ، ويقالُ إنه نصره اللهُ ولد في عام القاعة بالكاف المعقودة التي وقعت بين أخيه مولانا محمد بن الشريف وأهل زاوية الدلاء ، وقد وقفتُ عليها مؤرخة في بعض رسائل مولانا مَحمد المذكور سنة 1056 وهو الموافق لما سيأتي من أنه بويع وهو ابن 26 سنة.

---

59) بسوس ، وقيل بفيلالة بالقصر المعروف بأمجار.



مـولاي الشـريف بن علي جـدُّ الأسـرة العلوية الملكيـة وأولُ مَن بويعَ منهـا بالإمـارة في الإقليم الفيلالي

ص 40 - ا



مولاي مَحمد بن الشريف أول سلاطين الأسرة الملكية العلوية ص 40 - 2



مولاي رشيد بن الشريف ثاني سلاطين الأسرة الملكية العلوية

ص 40 - 3



مولاي اسماعيل بن الشريف ثالث سلاطين الأسرة الملكية العلوية

ص 40 - 4

ولمّا وُلدَ نصره الله فرحَ بولادته مولانا الشريف أشدَّ الفرح ، لأنه وُهب له على حين الكبر ، وسمّاه إسماعيلَ لما سبقَ له في الأزل من السابقة ، وما تقدم له في علم الله من الكرامة ، وقد كانَ شاعَ في كتب الأزياج والحدثان أن ملكاً يسمّى إسماعيل يمهدُ المغرب كلَّه ، ويدينُ له فيه السهلُ والجبل ، ويطولُ أمرُ ملكه حتى تنتشر في أيامه الخيرات ، وتسحَّ على الناس سحائبُ البركات.

ومن لطائف شيخ شيوخنا العلامة الدراكة قاضي القضاة أبي مدين المكناسي (60) رحمه الله ، أنه خطب بمولانا نصره الله يوم عيد الفطر ، وهو إذذاك نصره اللهُ محاصرٌ لرودانةَ (61) ، فقال في تحلية السلطان من الخطبة الثانية ما صورتُه فلو عاش أبوه الجليل ، لقالَ كما قال الخليل (الحمدُ لله الذي وهب لي على الكبَرِ إسماعيل) ، فاستحسنَ ذلك نصره الله كلَّ الاستحسان ، وغمر القاضي بأنواع العطيات والإحسان.

---

60) **محمد بن أبي مدين السوسي المنبهي المكناسي** ، يكنى ابا مدين ، فقيه محدث مرجوع اليه في النوازل والفتاوي والأحكام ، مقتدر على الترسيل خطيب فصيح ، احد خطباء السلطان إسماعيل بن الشريف العلوي وقضاته

ولد عام 1036 هـ وأخذ عن الفقيه علي اليوسي وهو عمدته ، واخذ عنه محمد بن عبد الرحمان بصري وعبد الوهاب بن احمد بصري وعبد الوهاب العرايشي وجماعة

له شرح على (السلم المرونق) في المنطق ، وابحاث وتحقيقات

توفي بمكناس زوال يوم الجمعة 8 شوال عام 1120 ودفن بضريح عبد الله بن حمد خارج باب البرادعيين

تنظر ترجمته في **إتحاف اعلام الناس** 4 85 و **التقاط الدرر** 2 303 و **نشر المثاني** 3 201

61) **رُدانة** كجُمانة وخُلاصة ، وتكتب أيضاً رودانة بواو ، وهي بشلحة سوس تارودانت والنسبة اليها رُداني وروداني ، مدينة شهيرة بصقع سوس ، تبعد 68 كلم عن أجدير شرقاً و 225 كلم عن مراكش جنوبا ، وهي مدينة عتيقة اشتهرت في العصر المرابطي وما بعده ، واتخذها الأمراء السعديون قاعدة لعملياتهم ضد الحاميات البرتغالية بساحل سوس وسموها المحمدية نسبةً الى محمد الشيخ السعدي

وهي اليوم قاعدة اقليم فسيح يشتمل على عديد من البلدات والقرى .

ولشيخ شيوخنا الحسن اليوسي لغز في اسم مولانا نصره الله وهو

اسمُ الذي تيَّمَ قلبي الحسن ... عيل له صبري وطار الوسن
فنصفُه أول ما قلتُه ... ونصفُه بعدَ مقالي الحسن

وللشيْخ مُحيي الدين الفيروزابادي اللغوي مؤلِف (القاموس) كتابٌ سمّاه (تحفة العماقيل ، فيمن تسمًّى من الناس بإسماعيل) ، هكذا نَسب إليه هذا التأليف تلميذه الإمام السخاوي في كتابه (الضوء اللامع ، في أهل القرن التاسع).

لطيفة

لم يتملك المغرب من السلاطين فيما علمتُ من اسمُه إسماعيل إلا مولانا إسماعيل نصره الله ، فهو منفردٌ بهذا الاسم بينَ ملوك المغرب كما انفردَ مُسمّاه بحوز الفضائل كلها ، وجمْع الكمالات التي لم يسبقْ إليها غيرُه.

مستملحة

ذُكِر عن بعض الصالحين أنه قال إن وجودَ مولانا إسماعيل أمانٌ للمغرب من الغَلاء ، وسببٌ في الخصب والرخاء ، لأن الملكَ الذي بباب سماءِ الدنيا اسمُه إسماعيل كما ذكره السيوطي وغيرُه ، وهو لا يقصر مع رعيته ومن تسمًّى باسمه كذلك ، لأن العادةَ جاريةٌ بميْل الإنسان لمَن تسمًّى باسمه ، فالناسُ ءامنون مدة وجوده من الغلاء ، أدامَ اللهُ للمسلمين وجودَه ، ونصر جنوده.

فائدة

شاع على الألْسنَةِ النطق باسمه نصره اللهُ بالنون موضعَ اللام ، وهي لغةٌ فصيحة ، قال أبو منصور الجواليقي اللغوي إسماعيل يستعملُ بالنون واللام.

قال الشيخ برهان الدين الحلبي في (نور النبراس ، في شرح سيرة ابن سيد الناس) : معنى إسماعيل بالعبرانية ، عطيةُ الله.

وكانتْ ولادتُه بعدَ مبايعة أخيه مولاي محمد واستيلائه على سجلماسة وأحوازها ، لأن مولاي مَحمد بويعَ بها سنة 1050 فملكها وما والاها ، وامتدَّ ملكُه إلى درعة ونواحيها ، ووقعتْ له وقائعُ مع أصحاب أبي حسون وأجلاهم عن سجلماسة بعد أن ملكوها وبنَوْا بها قصبةً وأسَّسوها ، وقامَ معه أهلُ سجلماسة ، وتقدم لذلك معَ إخوانه الأشراف وتعاضدوا على إخلائها وإجلاء أهل السوس من سجلماسة ، لأن أصحاب أبي حسُون أساءوا السيرةَ ونصبوا حُبالةَ الطمع ، حتى بذروا بذرَ بغضِه في قلوب أهلها ، ويقال إن أصحابه كانوا يأخذونَ المغرم ممن وجدوه في الشمس في زمن الشتاء ، وممَّن وجدوه في الظلِّ في زمن الصيف ، وضيَّقوا على المسلمين ، فلما نهض مولاي مَحمد بأعباء الخلافة مالت إليه النفوس ، وهرعَ إليه العموم والخصوص ، ولما عظمتْ إيالةُ مولاي مَحمد وتقوَّى عضدُه وانتشر في البلاد صيتُه بعثَ إليه أهل فاس وعربُ الغرب يطلبون منه المجيء إلى أرضهم ، ويواعدونه بالنصرة له وتقويتِه بالعَدَدِ والعُدَّة ، فأقبل نحوهم مُسرعاً إلى أن حلَّ بفاس الجديد حلولَ الشمس بدائرة الحَمَل ، وذلك منسلخَ جمادى الثانية سنة 1060 فبايعه أهلُ فاس القديمة والجديدة ، وبقيَ فيها زمناً قليلا ، ولم يتمَّ له الأمرُ إلا بعد حروب طويلة مع أهل زاوية الدِّلاء.

وفي هذا الوقت بعثَ إليه مولاي مُحمد الشيخ جدُّ السعدية (62) من مراكش يُهنئه بإسعاد الزمان وما خَوَّله اللهُ من الملك ، ويُحذرُه من أن يغترَّ بعربِ الغرب وأهل فاس ، وفيها قصيدةٌ حسنةٌ من إنشاء وزيره الكاتب الرئيس محمد بن يحيى ابن أجانا وهي هذه

ياشبلَ مولانا الشريف محمد	شمس السعادة والهلالُ الأكمل
ملأت مهابتُك المهمةُ مغربـاً	فزهتْ بمشرق أصبهانُ وموصل

---

62) كذا بالأصل وليس بصحيح ، فان محمد الشيخ جد الملوك السعديين توفي قبل ذلك بنحو مئة سنة (توفي يوم الأربعاء 29 ذي الحجة عام 964 هـ) ، وهو يريد السلطان محمد الشيخ بن السلطان زيدان بن السلطان احمد المنصور السعدي ، وقد تقدم التعريف به . انظر التعليق نمرة 53 في ص 38

نادى بك النصرُ العزيز لمغرب ... ولكم على فاس الجديد الكلكل
فاحذرْ كما حذرَ الغرابُ ، ولا تكنْ ... كالبطِّ يطفو عنْ مطاه القَوْقَل
واعدلْ تفوز ولا تؤاخي طامعاً ... ترد العُداة وتعم عنك العُذَّل
لا تصرمَنْ حبلَ البرابر واصطبرْ ... حتى يهونَ على الجواسيس مدخل
لا تأمن الأعراب في أقوالها ... واقمعْ فظاظةَ من يجورُ ويختل
وعليك بالغارات في أوطانها ... بكتائبِ تَسبي الإناثَ وتقتل
لا تتخذْ من أهل فاسٍ صاحباً ... أو حاكماً يصلُ الأمور ويفصل
كالبغل عادتُه الفرارُ وإن غدا ... في مربط فمتَى استغرَّك يركل
لا تنقلنَّ إلى الصحاري ذخائرا ... فيقولُ أهل الغرب حتماً يرحل
واضربْ لبيت الملك أوتادَ الدها ... تزدادُ صيتاً في القلوب وتقبل
والقَ وفودَ الغرب واعرفْ قدرها ... فقرومُ كلِّ قبيلة لا تُجهَل
هذي وصايا قد أضعنا حقوقها ... في ءاخرٍ مما نحاهُ الأول
فمتى شددْنا إلى المعالي رحالَنا ... يأباه نصرٌ والمقاديرُ تخذل
فرضينا متَّبعين أحكامَ القضا ... واللهُ يقضي ما يشاءُ ويفعل (63)

فأجابه مولاي مَحمد عن رسالته ، وصنع له قصيدة على وزن قصيدته ، وهي من إنشاء الفقيه القاضي محمد ابن سودة المري الغرناطي (64) وهذا نصُّها

---

63) حذفت من القصيدة أبيات ، وتنظر كاملة في الاستقصا 6 104

64) محمد بن محمد بن أبي القاسم ابن سودة المُرّي ، أحد اكابر علماء فاس وفقهائها وقضاتها ولد عام 1003 وأخذ عن جماعة من شيوخ العلم بها كعلي بن عمران السلاسي ، واحمد بن محمد المَقّري القُرشي التلمساني ، وأبي القاسم بن أبي النعيم الغساني ، وعلي البطيوي ، وخاله عبد الواحد ابن عاشر الأندلسي ، وحضر صغيراً مجلس محمد القصار ، واستفاد من والده كثيراً

وكان عالماً متبحراً في المعقول والمنقول حسنَ الخط ذا يد طولى في الأدب ، ذكروا أنه كان يحفظُ ديوانَ المتنبّي عن ظهر قلب

اخذ عنه جماعة من الأعيان كعبد الرحمان الفاسي الصغير ، والقاضي محمد بردلة ، وعبد الله العياشي

تُوفيَ بفاس صحوة يوم الأحد 25 ذي القعدة عام 1076 هـ ودفن بجوار الشيخ علي ابن حرزهم خارجَ باب فُتوح ، وبعدَ موته بثلاثة أيام دخل السلطان مولاي رشيد مدينةَ فاس ، وكان حنقاً عليه ، فحال بينهما المنون .

أمحمد الشيخ بن زيدان الرضا ... فخر الخلائف والهُمام الأفضل

فلقد أجبْتُك عما قد كاتبتَنـي ... نثراً ونظماً كيْ ترى ما يسهل

إني أبثُّ لكم وصايا جمـةً ... إن أنتَ للنُّصح المصرح تقبَل

فإلى متى طولُ الرقاد ؟ أما ترى ... أظعانَ ملكك كلَّ يوم ترحل

والدهرُ ينتفُ في رياش جناحكم ... ويُدنِّسُ من الصفا ما تـغسل

ما من مليك ذاقَ لذةَ راحة ... إلا تجلَّى له الهوانُ فـيسفُل

فاستيقظنَّ من الخُمار ومَن رعى ... في أرض ءاسادِ الشَّرى لا يغفُل

وانفضْ غبارَ الذلِّ واخلعْ ثوبَه ... يـزدادُ وجـهُك بهجـةً ويُـهلل

ضيعتَ ملكَك في الرخا وتركتَه ... للخِزْي في دارِ الهوان يُدلَّل

وركنتَ للظلِّ الوريف وغادةٍ ... يزهو البديعُ (65) بها إذا ما ترفل

وإذا أردتَ دوامَ هيبةِ همَّـة ... وتدومُ في ستر عليكم يُسْدَل

دعْ عنك في الحمرا مروقَ سفرجل ... ومدربلاً (66) بالزعفران يُفَلْفَل

واركبْ مطايا الصافناتِ إلى الوغا ... إمـا تحـوزُ مزيـةً أو تقـتَل

خاطرْ بنفسك في الفيافي جائلا ... تُردي العدوَّ ، وكلُّ ليل منزل

واصطدْ نهاركَ بالسلاقِ وبعدها ... عقبانُها وكذاك صقرٌ أجـدل

وقُدِ الجيوشَ كما الوحوش ولا تدعْ ... مَن يعصِ أمرَك وازجُرْه فيفعل

جنبْ أجانا(67)الجبنَ في تدبيره ... واصحبْ شجاعاً للذخائر يبذل

تنظر ترجمته في **التقاط الدرر** 2 166 و **الروضة المقصودة** 1 173 و**نشر المثاني** 2 150 و **صفوةُ مَن انتشر** ص 159 و **سلوةُ الأنفاس** 2 71 و 3 76 و**أزهار البستان** ، **في مناقب الشيخ عبد الرحمان** (مخطوطة مصورة) ص 22

65) **البديع** : قصر بمراكش بناه السلطان احمد المنصور الذهبي السعدي .

66) **المدربل** : اسم طبيخ معروف بهذا الاسم الى اليوم بالمغرب يشتمل على لحم وقرع معروك .

67) **محمد بن يحيى أجانا** ، احد وزراء السلطان محمد الشيخ بن زيدان السعدي ، لم اقف له على ترجمة ، وذكر احمد الناصري في **الاستقصا** 6 : 104 و 107 أن أباه يحيى كان أيضاً وزيراً للسلطان المذكور .

لا تجعلنَّ من العلوج (68) بطانةً — فطباعُها الغدرُ البليغُ الأعجل
أما الشبانة (69) فاحذرنْ من غيِّها — لا بدَّ تغدرُ في الأخير وتخذُل
ترجو عواقب دولة لنفوسها (70) — وتردُّ مَن وافى جنابَك يجفل
يعطفُ عليك الدهرُ بعد نفوره — فتعود أيامُ السعود وتُقبِل
ما ذاقَ زَيدانٌ (71) أبوكَ حلاوةً — من ملكه حتى غذاه الحنظل
وإذا امتثلتَ صواب صدقِ وصيتي — يُصغي الزمانُ لكم ويصفو المنهَل(72)

قال المؤلف سدد الله

هذا نصُّ القصيدة ، وقولُه أما الشبانةُ البيت من غريب الاتفاق ، فإن الشبانةَ غَدروا بآخر ملوك الدولة السعدية كما هو شهير

وكان مولاي مَحمد رحمه الله رجلا شجاعاً وقعَ له مع أهل الدلاء حربٌ فظيع ، يشيبُ له الرضيع ، وظهر منه ما يدلُّ على قوة جأشه وثباتِه

68) **العلوج و الاعلاج جمع علج** ، يطلق هذا الاسم في المغرب على مَن يُسلم من النصارى او يؤسرُ منهم في الحروب البرية او البحرية ، وقد اتخذ السلاطين السعديون منهم ومن الأندلسيين المدجَّنين (الموريسكوس) بطانة كبيرة يستخدمونها في شؤونهم الخاصة ، وبقاياهم يدعون حتى اليوم بأولاد العلج

69) **الشبانة و الشبانات** قبيلة من عرب معقل قوي امرُها واشتدَّ بأسُها بناحية مراكش في السنوات الأخيرة من حكم الأسرة السعدية ، ثاروا على السلطان احمد بن محمد الشيخ بن زيدان السعدي وقتلوه غيلة عام 1069 هـ واستولَوْا على مراكش وبايعوا بها رئيسهم عبد الكريم بن ابي بكر الشباني ثم الحريزي المدعو على لسان العامة بكروم الحاج ، فاستقام له الأمر وسار في الناس سيرةً حميدة ، ولم يزل بها سلطاناً الى ان توفيَ عام 1079 قبل ان يدخلها السلطان مولاي رشيد بن الشريف العلوي بأربعين يوما

والشبانات يكونون اليوم قبيلة من مجموعة **الشراردة** القبيلة باقليم سيدي قاسم ، وهم ينقسمون الى بطنيْن كبيريْن الشبانات الحَريشة ، والشبانات الواد

70) صدق الأميرُ مولاي مُحمد بن الشريف فيما تنبأ به في هذه **القصيدة التي** أجاب بها عام 1059 السلطانَ محمد الشيخ بن السلطان زيدان السعدي ، فان الشبانات غدروا ابنه السلطان أحمد بعد عشر سنوات وقتلوه غيلةً عام 1069 وبايعوا بمراكش واحداً منهم هو عبد الكريم بن القائد أبي بكر الشباني كما تقدم

71) **زيدان بن السلطان أحمد المنصور الذهبي** ، بويع بفاس عقب وفاة والده يوم الاثنين 16 ربيع الأول عام 1012 هـ وقضى معظمَ أيام ملكه في صراع على الملك مع إخوانِه وأبنائهم والخارجين عليه من غيرهم ، الشيء الذي أدّى الى خراب المغرب وشقاء أهله

وكانت وفاتُه في شهر محرم عام 1037 هـ ودفن بجانب قبر أبيه بمقبرة الملوك السعديين في قصَبة مراكش

72) سقطت من القصيدة ابيات ، وينظرُ نصُّها الكاملُ في **الاستقصا** 6 : 105

في المعارك ، وقد وقفتُ على رسالةٍ بعثَ بها مولاي محمد إلى أهل الدلاء لما تقاسم معهم البلادَ وميَّزوا الحدود ، فمن فصول تلك الرسالة ما صورتُه

«ولقد حدَّثَ الساداتُ أهلُ السريرة ، أنْ ستدورُ عليكم الدوائرُ المبيرة ، وأما ما احتوى عليه بساطُ الغرب ، ما بين بربر وعرب ، فقد طمعنا من المعطي سبحانه تَيْسيره ، حتى كأنه في القَبضة ، وما تصرَّفوا فيه تصرف المالك في الروضة ، فإن لم يكنْ بالذات والديوان ، فبالأبناء والإخوان ، كعوائد الدول ، يُشيدُ الأخيرُ ما أسسه الأول»

انتهى المحتاجُ اليه من الرسالة (73)

وقد ظهر مصداقُ ذلك على يد أخيه من بعده ، فإنه أدارَ الدوائرَ المبيرة على أهل الدلاء وطحنَهم برحى الحرب ، وصيَّرَ يومَهم أمساً ، وطمس أعلام بلدتهم طمْساً ، كما ستراه عن قريب إن شاء الله.

ولم يزلْ مولاي مَحمد مُقتصراً على ما صفا له من سجلماسة وأحوازها إلى أن تُوفِّيَ رحمةُ الله عليه يوم الجمعة 9 محرم فاتح سنة 1075 (74).

ولما تُوُفِّيَ نهض للخلافة بعدَه أخوه مولانا الرشيد رحمه الله ، وقد كانَ قبلَ وفاةِ أخيه أشرقَ نجمُه فاستحالَ بعد وفاتِه شمساً منيرة ، وكانَ أولُ ظهوره ببلاد أنجاد (75) ، ولبث عندهم مدةً ثم توجَّهَ لتازة (76) فافتتحها

---

73) يُنظر النصُّ الكاملُ للرسالة في نزهة الحادي ص 282 والاستقصا 7 17

74) بأنجاد قرب وجدة في حرب دارت بينه وبين أخيه المولى الرشيد ، ودفن هناك ، وقيل حمل جثمانُه إلى سجلماسة فدفن بها

75) أنجـاد اسم سهْل يمتدُّ من نهر تافنا شرقاً إلى نهر ملوية غرباً ، وقد يضيق مدلوله فلا يدل الا على السهول القريبة من وجدة

76) تازة : مدينة شهيرة تبعد عن فاس 120 كلم شرقاً ، وهيَ اليومَ قاعدةُ إقليم جبلي فسيح يُسَمَّى باسمِها ، يُنسبُ إليها عدد من الفقهاء والعلماء والقراء والشعراء .

بعد محاربة طويلة ، ثم استولى على الريف (77) وما والاه ، ثم دخلَ كرسي المغرب ، ودستَ الخلافة ، ومأوى الملوك ، وتاجَ الدول ، مدينةَ فاس الجديد (78) وأقبل إليه أهلُ فاس البيضاء يزفون ، فاستولى على البلدتَيْن ونشر اللهُ به عليهما جناحَ الرخاء في الحين بعد أن كانتا في جدب مفرط وغَلاء فاحش.

يُذْكَرُ أن صاعَ القمح كان صبيحةَ يوم دخوله بخمسين أوقية (79) فما اشتدَّ النهارُ حتى صارَ بموزونتين (80) ، ويُحكَى أن سببَ الغلاء المذكور خذلانُ أهلِ فاس وتكاسلُهم عن نصرة مولاي مَحمد وخلودُهم لمسالمة أهل الدلاء مع أنهم كانوا بعثوا له كما تقدم ، فغارَ اللهُ لابن رسول الله (ص) وسلَّطَ عليهم الجوعَ والهرج ، ولما دانوا لمولانا الرشيد مدَّ اللهُ عليهم في الحين جناحَ الأمنِ ونشر عليهم بساطَ الرخاء ، وتحقَّقَ الناسُ بذلك وعلموا من أين أُوتوا ، فاعترفوا وتابوا إلى الله وازدادوا محبةً في أهل البيت النبوي ، وكان دخولُه لفاس صبيحةَ يوم الاثنين الأول من ذي الحجة سنة 1076 وإليه أشارَ القائلُ بقوله

أتى فاسَنا الغرّاءَ حجةَ ستة   وألفٍ وسبعينَ الرشيدُ مُؤيدا
وذو النصر إسماعيلُ بويع بعد ذا   بستةِ أعوام فأضحَى ممجَّدا

---

77) **الريف** : اسم ناحية تقع شمال المغرب مساحلة للبحر الأبيض المتوسط ، وتمتد من نهر ملوية شرقاً إلى حدود إقليم شفشاون غرباً حيث تبتدىء ناحية **جبالة** ، وأشهرُ قبائلها **بني ورياغل** ، وقاعدتُها مدينةُ الحسيمة ، ومن مدنها القديمة البائدة مدينة **المزمة** ومدينة **نكور** ، وأمام ساحلها جزيرةُ نكور وجزيرة بادس اللتان تحتلهما إسبّانيا

78) **فاس الجديد** أو **المدينة البيضاء** أحياءٌ إدارية وسكنية بناها السلطانُ يعقوب بن عبد الحق المريني عام 674 هـ بجوار القصر السلطاني ، وهي اليومَ مندمجة في المدار الحضري لمدينة فاس وان بقيت تُسمَّى باسمها القديم **فاس الجديد**

79) **الأوقية** ويقال أيضاً **الوقية** وأصل الكلمة **الأَلْـة** : عُشْرُ **المثقال** (وحدة نقدية مغربية قديمة)، وتنقسمُ إلى أربع **موزونات**

80) **الموزونة** : ربُع الأوقية والدرهم ايضاً ، وتنقسمُ على 24 فلساً .

ولما دخلَ مولانا الرشيدُ فاس أفاض المالَ على علمائها وغمرهم بجزيل العطايا ، وبسطَ جناحَ الشفقة على أهلها ، وأظهر إحياء السنة ونصر الشريعة ، فحلَّ من قلوب أهلها بمكان رفيع ، وتمكنتْ محبتُه من قلوب الخاصَّة والعامَّة ، ولم يلبثْ فيها إلا يسيراً ثمَّ توجهَ نحو الدلاء فجهَّزَ له محمد الحاج عسكراً عظيماً من البرابر وغيرهم ، فالتقت الفئتان بموضع يقال له (بطن الرمان) (81) وذلك أوائل محرم الحرام فاتحَ سنة 1079 ، وقال شيخُ شيوخنا الإمام الحسن اليوسي في كتابه (المحاضرات) ما نصه لما وقعت الهزيمةُ وحلتْ على محمد الحاج وكان لم يحضرْ في المعركة لكبرِ سنه فأظهر أولاده وإخوانُه جزَعاً شديداً وضيقا عظيماً ، فلما رأى ذلك منهم قال لهم ما هذا ؟ إن قال لكم حسبُكم فحسبُكم ! يريدُ اللهَ عزَّ وجل (82) وحدَّثَ غيرُ واحد أن مولانا الرشيد لما قوِيَ أمرُه وعظمتْ شوكتُه خاف محمد الحاج ممن بزاويتِهم من شرفاء سجلماسة ، وخشِي أن يكونوا عيوناً لمولانا الرشيد عليه ، فأمر عاملَه أن ينادي أن لا يبقَى أحدٌ من شرفاء سجلماسة ببلدتنا ، ومن بَقِي بعد ثلاث فإنما إثمُه على نفسه ، فيقال إن أباه الوليَّ الصالح المتبرَّكَ به ، السيد محمد بن أبي بكر ، وقف عليه تلك الليلةَ في النوم وقالَ له أخرجتَ من بلدك أولادَ المصطفى (ص) واللهُ لتخرجنَّ منها هذه السنة ، فكان كذلك ، ما مرت السنةُ حتى أخرجهم منها مولانا الرشيدُ في حشَمهم (83) وأولادهم ، وفعل معهم الخير ونقلَهم لفاس ، فسكنوا بها وبقُوا بها مدةً

---

81) **بطن الرمان** مكان يبعد 12 كلم عن مدينة خنيفرة يقع عن يمين الذاهب منها إلى قصبة تادلة، تسميه العامةُ اليوم **بو الرمان**

82) **نزهة الحادي** ص 284

83) **الحشم والحشْمة والأحشام** خاصةُ الرجُل الذين يغضبون له من أهل وعشيرة وجيرة ، وهم أيضاً العيال والقرابة ، وفي ناحية معسكر من المغرب الأوسط قبيلة تُسمَّى الحشْم بسكون الميم هاجرت منها اعداد وفيرة الى المغرب الأقصى أيام الغزو الفرنسي للجزائر .

إلى أن أزعجهم لتلمسان (84) لأمر اقتضاه ذلك ، فلم يزلْ محمد الحاج بتلمسان إلى أن دفن بها (85).

وتوجَّهَ مولانا الرشيدُ إلى مراكش ودخلَها من غير قتال ولا مدافعة ، بل هربت الشبانةُ لما بلغَهم أنه فتك بأهل الدلاء ومزَّقَهم كلَّ مُمزَّق ، فخامر قلوبَهم من الجزع ما حملَهم على الفرار من المدينة إلى بعض شواهق الجبال ، فدخلَها مولانا الرشيدُ رحمَه الله ، وأفنى الشبانةَ قتلا ، واستنزلَ فئتَهم الشديدة من الصياصي (86) ، وأخذ منهم بالأقدام والنواصي ، ثم توجَّهَ إلى سوس الأقصى ، فدوَّخَ جوانبَه ، ومهَّدَ بمهابته أرجاءه ، وأناخَ بايليغ (87) مقرِّ أبي حسون ، فتركَه شذر مذَر ، فتمهدتْ له بلادُ المغرب من تلمسان إلى وادي نون من تخوم السوس الأقصى

ولما استقامَ له الملك ، وتهيَّأ له الأمر ، وساعدَه الدهر ، استقرَّ بفاس الجديد ، فكانَ بها في غالب أوقاته ، وصيَّرها محطَّ رحلِه ومحلَّ إقامته ، وكان رحمه الله مُحِبّاً في جانب العلماء والصلحاء ، مؤثراً لأغراضِهم ، جواداً عاقلاً حليماً ، رحلَ إليه الناسُ من المشرق وقصدوه ، فمِن مدْحِ بعض طلبةِ الجزائر فيه هذان البيتان ، فوصلَه بمال جزيل

---

84) **تلمسان** حاضرة إسلامية كبيرة تبعد 80 كلم عن مدينة وجدة شرقاً ، بها ءاثارٌ إدريسية ومرابطية وموحدية ومرينية كثيرة ، كمسجد إدريس بحي اجدير والمشور والجامع الكبير وضريح أبي مدين الغوث والمدينة المنصورة ، وكانت عاصمة لأسرة بني عبد الواد الزيانيين بعد انقضاء أيام الدولة الموحدية

ينسبُ اليها عديد من العلماء والفقهاء والكتاب والشعراء

85) في فاتح عام 1082 ودفن بمقبرتها قرب ضريح الشيخ محمد بن يوسف السنوسي

86) **الصَّياصي ج الصِّيصة والصيصية** الحِصْن وكلُّ ما امْتُنِع به ، وله معانٍ أخرى

87) **إيليغ** قرية باقليم تيزنيت بناحية سوس أسَّسها في القرن الحادي عشر الهجري الأمير علي بن محمد بن الشيخ أحمد بن موسى المكنَّى أبا حسون والملقب بأبي دميعة واتخذها عاصمة لإمارته ، ينظر عنها كتاب الأستاذ المرحوم المختار بن علي السوسي المسمَّى **إيليغ قديماً وحديثاً** ، وهي غير قرية إلْغ بسكون اللام الموجودة ايضاً في إقليم تيزنيت .

فاض بحرُ الفراتِ في كلِّ قُطر   من ندا راحتيْكَ عذباً فراتـا
غرقَ الناسُ فيه والتمس الفقـ   ـرُ خلاصاً فلم يجـدْه فماتـا

وكان مجلسُه غاصّاً بأهل العلم فيتجاذبون فيه أطراف الأحاديث ، ويتناشدون غرائب الأشعار ، فمن ذلك مارأيتُه بخط بعض شيوخنا أن مولانا الرشيدَ جرى في مجلسه يوماً ذكرُ مراكش وفاس وما وقع له من الاختلاف في التفضيل بينهما ، فقال بعضُ الحاضرين : بينهما ما بين بانيهما في الفضل ، يشيرُ بذلك إلى أن فاس بناها مولانا إدريس بن إدريس التاج رضى اللّه عنه ، ومراكش بناها الأميرُ يوسفُ بن تاشفين ، وكان من الورع بمكانٍ رحمه اللّه

وشتان ما بين اليزيدَيْن في الندا   يزيد سليم والأغرِّ ابن حاتم(88)

قال شيخنا المذكورُ وسببُه أن يكونَ هذا القائلُ أخذ ذلك مما يُحكَى أن بعض العلماء سُئِلَ عنِ التفضيل بين مالك والشافعي ، فقالَ بينهما ما بين موضعَيْ قبرَيْهما ، يريدُ أن مالكاً رحمه اللّه دُفن بالبقيع ، والشافعي بمصر

قال المؤلف سدده اللّه

ويقربُ من هذا ما رأيتُه في كتاب (الريحان والريعان) أن بعضَهم سُئل عن التفضيل بين رجليْن أحدُهما اسمُه ابن دينار والآخرُ ابنُ درهم فقال بينهما ما بين قيمة أبَوَيْهما في الصرف ! انتهى

---

88) البيتُ من قصيدة مدح بها ربيعةُ بن ثابت الرقي - من شعراء العصر العباسي - يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة والِي إفريقَية المتوفَّى بها يوم الثلاثاء 18 رمضان عام 170 في خلافة هارون الرشيد ، وذلك أن الشاعر ربيعةَ بن ثابث الرَّقي مدح يزيد بن أسيْد السُّلمي وهو والٍ على أرْمينيةَ فقصر في حقِّه ، ثم مدح يزيد بن حاتم - الأزدي - والِي إفريقَية فبالغَ في الإحسانِ إليه ، فقال فيه ربيعةُ من قصيدة

لشتَّانَ مـا بيْـنَ اليزيدَيـن فـي النـدا   يزيـدِ سُلَيـمِ والأغـرِّ بْـنِ حاتـم
يزيـدُ سُلَيـم سالـمُ المـال ، والفتـى   فتـيِ الأزدِ للأمـوال غيـرُ مُسالـم
فهـمُّ الفتـى الأزديِّ إتـلافُ مالـه   وهـمُّ الفتَـى القَـيْسيِّ جمـعُ الدراهـم

ومن لطيف ما وقعَ بمجلسه في بعض الأيام أنهم تكلموا على قواعد الإسلام وأنها خمس ، فقام رجلٌ من حاشية المجلس خامل الذكر فقال إنما قواعدُ الاسلام ست ، فأنكر عليه من حضر واستجهلوه ، فقال القاعدةُ السادسةُ هي السلطان ، إن وُجدَ تكونُ القواعدُ الخمس ، وإلا فلا ، فاستظرفَه جميعُ مَن حضر

وأخبارُ مولانا الرشيد ومآثر أخيه مولاي محمد رحمه اللّه كثيرة تستدعي مجلدات ، وقد أضربنا عنها روْماً للاختصار وطلباً للإفادة

تُوُفِّيَ رحمه اللّه بمراكش يوم الجمعة 10 ذي الحجة عام 1082 ودُفن بها ، ثم نقلَه مولانا نصره اللّه إلى فاس ، ودُفن بباب الفتوح بروضة سيدي علي بن حرزهم (89) ، نفع اللّه به ، ويُقال إنه كان أوصى بذلك ، وكان رحمه اللّه يكثرُ من زيارته ، وسببُ موته أنه أصابَه غصنُ شجرة فهشَّم رأسَه ، وفي ذلك أنشدَ بعضُهم

وما شجَّ ذلك الغصنُ رأس إمامنا لسوء له خذنُ المحبة جاحد
ولكنه قد غارَ من لين قدِّه وإن من الأشجار ما هو حاسد

لطيفة

قال صاحبُ كتاب (الذخيرة السنية ، في تاريخ الدولة المرينية) ومنها نقلت من بركة فاس الجديد أنه لا يموتُ فيه سلطان (90) ، ولم يخرجْ منه جيشٌ إلا نصر (91) انتهى ، ومصداقُ ذلك أن مولانا الرشيد مع كونه مغرماً بفاس أشدَّ الغرام لما قرب أجلُه خرجَ منه إلى مراكش

وهذا ما تيسر لنا ذكرُه في هذا السمط الثاني

---

89) هيَ الروضة الواقعة أمامَ الخارج من باب فتوح عن الشّمال ، وعلي ابن حرزهم المضافة إليه هو المعروفُ على لسان العامّة بسيدي حرازم الباردات ، وهو الفقيهُ الشهير علي بن إسماعيل ابن حرزهم العثماني العفّاني الفاسي المتوفّى في ءاخر شعبان عام 559

والروضة المذكورة حبّسها السلطان مولاي عبد الرحمان بنُ هشام العلوي في منتصف القرن الثالث عشر الهجري على المُهاجرين من تلمسان والمغرب الأوسط إلى فاس

90) هذا غير صحيح ، فقد مات فيها أو قُتل عددٌ من السلاطين قبلُ مولاي رشيد وبعده ، كالسلطان أبي عنان المريني ، وعبد الحق المريني ءاخر سلاطين بني مرين ، وأحمد المنصور الذهبي السعدي ، والسلطان مولاي يوسف بن الحسن العلوي

91) وهذا أيضاً غير صحيح ، فكم من جيوش خرجت منها فانتصرتْ وأخرى انهزمت ، وما من قِدم بعهد الجيوش التي خرجت منها في بداية هذا القرن لمحاربة الثائر أبي حمارة فهزمها .

السمط الثالث

فيمَن أخبر به من أهل الكشف والصلاح
وما وَسَمَه به أهلُ السيادة والفلاح

قال المؤلفُ سدده اللّه

المطلوبُ في هذا السمط الإلمام بطرف من تبشير الصالحين به نصره اللّه وإخبارِهم عن سيْره في أيامه ، ليُعْلَمَ بذلك عظمُ هذه الدولة وضخامةُ إيالتها ، إذ لا يعتني العظماءُ إلا بعظيم ، ولا يبشرُ الأولياءُ إلا بجليل

فمن ذلك ما ذكره ابنُ الحاج والبوني حسبما رأيته في رسالة بعث بها باشا الجزائر عصمان التركي (92) إلى مولاي محمد الشريف رحمه اللّه ، وكان مولاي محمد يشنُّ الغاراتِ على ترك تلمسان ويضيقُ عليهم ، فبعثَ إليه عصمان ينبهاه عن ذلك ويقول له ما نصُّه وإياك ثمَّ إياك والغرر بما عثرت عليه في كتاب البوني وابن الحاج ، ورسالةِ أهل سبتة لعبد الحق (93) من أن أوتادَ الترك والروم تتقوضُ من أرض الغرب ، ولا يبقى من ينازعُكم فيها بطعن ولا ضرب ، وليس لك في غنيمة إدراكه طمع ، ولا سبيلَ لتبديد ما نظمه حازمُنا وجمع ، فإن جزمتَ بهذا فأنت لا محالة حانث ، وإن كان منكم يقيناً فرابعٌ أو ثالث ، إذ أولُ كلِّ دولة ثائر ، والثاني مقتفٍ له سائر ، والثالثُ لهما أميرٌ نائر ، إما عادل وإما جائر ، انتهى وهي طويلة

---

92) رسالة عصمان التركي باشا الجزائر أورد أحمد الناصري نصَّها الكامل في **الاستقصا** 7 22 وهي مؤرخةٌ في منتصف رجب عام 1064

93) نص العبارة كما وردت في الرسالة المذكورة : (وإياك والغرر بما عثرت عليه في كتاب البوني وأوراق السوطي وعلي بادي وابن الحاج ورسالة أهل سبتة لعبد الحق بن أبي سعيد المريني) الخ ، والأشخاص المذكورون اشتهروا بالتنبُؤ والإخبار بوقائع وأحداث مغيبات تقعُ مستقبلا اعتماداً على سجلات الجفر .

ولا شكَّ أن مولانا نصره اللّه هو الثالثُ أو هو الرابع كما هو ظاهر بالعيان ، وقد أجابهم مولانا محمد عن رسالتهم فقال ما نصُّه وقولكم لا تغترَّ بما في البوني وابن الحاج ، فالحازمُ المتكلُ على الغنيِّ الغفار ، لا يغترُّ باشارة كاهن أو جفار (94) ، وقلع أوتادكم مع الروم من الغرب ، على يد إيالتنا دون طعن ولا ضرب ، فيطيرُ اللّهُ عمالَكم من البلدان ، كالجراد المطرود من الفدان !

ورسالةُ عبد الحق المريني المخلوع وقفتُ عليها ، وهي حسنةٌ بعث بها لأهل سبتة ، وتركتُ ذكرها عدولا للاختصار

وقال صاحب كتاب (الأنوار) كان السيدُ علي بن قاسم الشريف رجلا صالحاً معه جذب وحال عظيم ، فاذا اعتراه ذلك أخبر بمغيَّباتِ ، ومما أخبرني به حين دخلَ مولانا الرشيدُ فاس وخامره حالُه أن قال لي يا أحمد قمْ وبادرْ لسكنى مدينة فاس ، فملك مولانا الشريف بن على يطولُ بها ، واخرجْ من الزاوية في الحين ، فخرابُها قريب ، فكان ما قال !

وحُكِيَ أن مولانا عليّ بنَ طاهر مرَّ عليه مولانا الشريفُ والدُ سيدنا نصره اللّه ، وكان إذْذَاك صبياً صغيراً ، فسألَ عنه أبو محمد إذ لم يكنْ يعرفُه ، فقيلَ له هو ابنُ مولانا علي ، ففرِحَ به ومسحَ على ظهره ، وقال ما ذا يخرجُ من هذا الظهر من ملوك وسلاطين ، فتيقنَ الناسُ صدقَه لما يعلمون من صدق فراسته ، وما اختبروا من موافقة مكاشفاتِه ، فإن هذا

94) **جفّار** المخبرُ بأمور تحدثُ مستقبلا اعتماداً على سجلات الجَفر ، **والجفرُ والجفيرُ** جَعبةٌ من جلود لا خشب فيها او من خشب لاجلودَ فيها كانت تُسجَّلُ فيها رموز وإشارات مما يرجعُ إلى بقاء الدنيا ومدتها على العموم وأعمار الدول على الخصوص ، وكان يعتمد فيها في صدر الإسلام على ءاثار منقولة عن بعض الصحابة خصوصاً مَن كان منهم إسرائيلي الأصل ، ثم اعتُمِدَ فيها بعد الصدر الأول للإسلام على كلام المنجمين

وللشيعة كتاب يسمونه (كتاب الجفر) رواه هارون بن سعيد العَجَلي ـ رأسُ الزيدية ـ عن جعفر الصادق ، فيه علمُ ما سيقعُ لأهل البيت على العموم ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص

والكلام عن الجفر الذي لا يختلفُ عن الكهانة مجالُه فسيح ، وقد خصَّه عبد الرحمان ابن خلدون الحضرمي بالفصل الثالث والخمسين من مقدمة تاريخه ، كما تكلَّم عليه حاجي خليفة في **كشف الظنون** 1 : 591 .

الشيخَ أعجوبةٌ في الزهد والورع ، حافظٌ لمسائل العلم ، متضلعٌ في جميع الفنون ، وله تآليفُ عديدةٌ كحاشيته على المرادي ، ونظم في مصطلح الحديث ، وقصائد في مدح النبيِّ (ص) ، ذُكر أنه جلس يوماً يُجَوِّدُ القرآن العظيم معَ أحدٍ من الناس ، فاعتراه حالٌ عظيمٌ حتى احمرَّتْ عيناه وانتفخت أوداجُه ، فقال للطالب الذي معه والله لوْ أطلقتُ العنانَ للسانى لأشرقت الأرضُ من نوره ، فلما أفاقَ قال لذلك الطالب لا تخبرْ أحداً بما شاهدتَ مني مدة حياتي

وذَكرَ غيرُ واحد أن السلطان أحمد الذهبي السعدي (95) لما بنى دارَه بالحضرة المراكشية التي سمَّاها بالبديع ، وكان تأنقَ في بنائها بجلب الصناع لها من كل جهة ، فدخل إليها الناسُ لما أكملَها وصنع طعاماً حافلا ، فدخل رجلٌ من البهاليل كان مشهوراً بالخير والصلاح ذلك الوقت ، فقالَ له السلطانُ كيفَ رأيتَ داري يا سيدي ؟ قال إذا هُدمت كانتْ كديةً كبيرةً من التراب ! ويقالُ إنه قال له من يُهدمُها ؟ قال سلطانٌ عظيمٌ من شرفاء سجلماسة وسمعتُ من ينسبُ هذه الواقعةَ لسيدي رضوان بن عبد الله

---

95) احمد بن محمد الشيخ بن محمد (القائم بأمر الله) السعدي أكبرُ سلاطين الأسرة السعدية الملكية المغربية ، يُلقَّبُ بالمنصور وبالذهَبي ، ولد بفاس عام 956 هـ وتلقَّى تعليماً متيناً من علماء وأدباء كبار كأحمد المنجور وأحمد القدومي وعبد الواحد الحميدي ويحيى السراج ، واستخلفه أخوه السلطان عبد الملك السعدي بفاس ، وشارك إلى جانبه بجيش الشمال في معركة وادي المخازن التي نشبتْ يوم الاثنين 30 جمادى الثانية عام 986 (4 غشت 1578 م) وانهزم فيها الجيشُ البرتغالي شرَّ هزيمة ، وبُويع في خاتمتها بالملك بعدما توفي يومها اخوه عبد الملك مسموماً او محموماً

وكان عالماً أديباً سياسياً داهية فتح السودان وعرفت المملكةُ المغربية في عهده رخاءً وازدهاراً

تُوفي بفاس موبوءاً يوم الاثنين 16 ربيع الأول عام 1012 هـ (15 غشت سنة 1603 م) ودفن بها ثم نقلت جثتُه إلى مراكش فدفنت بمقابر الملوك السعديين

تنظر ترجمتُه في **أعلام المغرب العربي** 5 :220 ع 1519 .

الجنوى (96) رحمه اللّه ، واللّه تعالى أعلم ، فكان مصداقُ ذلك على يد سيدنا نصره اللّه ، فإنه أمر بهدمها عام 1119 فغيرتْ مصانعُها المُنَمَّقة ، ونَثَرَ نظامَ محاسنها المجموعة ، وردَّ سماءها أرضاً ، وطولَها عرضاً ، حتى صارتْ مرعى الكلاب والمواشي ، ووكراً للبوم ، وحُقَّ على اللّه أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه ، والذي حملَه نصره اللّهُ على هدمها أنه رآها قليلة المنفعة ، كثيرةَ المفاسد ، ما سكنها أحدٌ من أولاده إلا هاجتْ عليه الحُمَّى ، واعترتْه الأمراض ، حتى كان نصره اللّه لا يُسميها إلا بدار أم ملدم (97) ، لكونها الغالب على من يحلُّها ويسكنُها أن يُبتلى بالحمَّى كما ذكرنا

ودخلَ جماعةٌ من الأدباء البديع يوماً بعد انطماس أعلامه ، فقال معتذراً عن هدمه ، وأنه لا سبيلَ لتوبيخ هادمِه ولوْمِه

ما هدَّ إسماعيلُ شمسُ الورى ... من البديع الرائقاتِ القباب
وإنما هدَّمَها مَن بنَى ... بالحجر المغصوب معه التراب
أما سمِعْتُم قولَ مَن قد مضى ... الحجرُ المغصوبُ أسُّ الخراب

---

96) **رضوان بن عبد الله الجنوي** : كان يقول عن نفسه : خرجت من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ، لأن أباه إيطالي من جنوة ، وأمه يهودية أوربية ، هاجرا معاً من أوربا إلى فاس وأسلما وتزاوجا فولدا عدة أولاد منهم رضوان هذا سنة 912 وقد نشأ سيدي رضوان بفاس ولقَي في صغره الشيخ الغزواني ، ولما انتقل إلى مراكش تبِعَه إليها ثم عاد الى فاس بعد وفاته فلازم زاوية سيدي محمد الطالب التي كانت قَرب ضريح سيدي علي بوغالب برأس القليعة داخلَ باب فُتوح ، وخالط كثيراً من شيوخ التصوف وأصبح من كبار أقطابه في القرن العاشر

توفي بفاس ليلة الخميس 13 ربيع الأول عام 991 ودفن بأعلا مطرح الجنة عن يسار مصلى العيد أسفل منها

تنظرُ ترجمتُه في **جذوة الاقتباس** ص 197 ع 157 و**سلوة الأنفاس** 2 : 257 .

97) **أم ملدم** : الحُمَّى

وممن أخبر به نصره اللّه الولِيُّ الصالحُ المتبركُ به حياً وميتاً عمرُ الخطاب (98) دفينُ جبل زرهون ، فإن له أبياتاً من عروض الملحون تركناها استنكافاً عنها ، وذكر فيها أن فتحَ العرائش يكونُ على يد الشريف بن علي ، فظهر ذلك على يده نصره اللّه ، وكثيرٌ من الناس ينسبونَه إلى جده ، فيقولون مولاي اسماعيل بن علي ، فكان كلام هذا السيد وقع على هذا النمط ، وكذلك ترجم عن هذه الدولة السعيدة ولِيُّ اللّه تعالى سيدي عبد الرحمان الفاسي المجذوب (99) ، فقد رُوِيَتْ عنه في ذلك ألفاظٌ كثيرة ، ولشهرتها على الألسنة تركنا ذكرها ، ويقالُ إنه أخبر أصحابَه بأن دارَ الملك تكونُ عند قبره ، فكان كذلك

وسمعتُ أنه نصره اللّه دخلَ أيامَ خلافته مكناسةَ الزيتون أيام أخيه الرشيد على السيدة الفاضلة الولية الصالحة الست عائشة العدوية (100)

---

98) **عمر بن عبد العزيز الخطاب الزرهوني** ، فقيهٌ نحوي شهيرٌ من أهل فاس ، ولد عام 872 وتوفي قتيلا ءاخر ذي القعدة عام 1002

تنظر ترجمتُه في **درة الحجال** 2 418 ع 1186 **ودوحة الناشر** ص 64 **ونشر المثاني** 1 :41

99) كذا في الأصل ، فإن كان المؤلفُ يقصدُ الشيخ عبد الرحمان بن عياد الفرْجي الدكالي دفينَ مكناس الملقب بالمجذوب المتوفَّى ليلة عيد الأضحى عام 976 هـ فهذا ليس بفاسي ، والغالبُ على الظن انه يقصدُه ، لأنه هو صاحبُ الأنظام والألفاظ المشتملة على أمثال وحكم وتنبُؤات لا يزالُ الناسُ يرددونها على ألسنتهم إلى اليوم ، وإن كان المؤلفُ يقصدُ واحداً من ءال **الفاسي** بني الجد الفهريين فقد اشتهر منهم حتى عصر المؤلف ثلاثة

- عبد الرحمان بن محمد بن يوسف الفاسي الملقَّب بالعارف المتوفَّى عام 1036
- وعبد الرحمان بن يوسف بن أحمد الفاسي المتوفَّى عام 1078
- وعبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي المتوفَّى عام 1096

وهؤلاء الثلاثة ليسوا ممن يطلقون الكلامَ على عواهنه

100) **عائشة العدوية** امرأةٌ متخلفةٌ عقلياً من أهل مكناس ، تُوفيت في ربيع الأول عام 1080 .
يُنظَرُ عنها **نشر المثاني** 2 : 184 **وإتحاف اعلام الناس** 5 : 505 .

زائراً لها ومتبرِكاً بها ، فأعطتْه زبيباً قد اختلط أسودُه بغيره ، وأمرتْه بتمييزه من غيره ، أو أمرتْه أن يميزَ الأسودَ من غيره ، فامتثلَ أمرها ، وميَّز ذلك بمرأى منها ، فيقالُ إنها أشارتْ إليه بما اعتنَى به نصره اللّه بعد ذلك في خلافته من تمييز أسود الجِلد من غيره

ويُحكي عن السيد الفاضل الصالح سيدي محمد الشرقي (101) أنه وقفَ عليه جدُّه المذكور في النوم قائلا له اذهبْ إلى مولانا إسماعيل بن الشريف وقل له إن الملكَ لك ، وإنما أخوك الرشيدُ رائدٌ وممهدٌ وسائقٌ ومُهيِّء ، فامتثلَ صالح ذلك ، وأخبر به مولانا نصره اللّه فأنِفَ من ذلك ، وقال له لولا أنك مأمورٌ لفعلتُ بك كيت وكيت ، أيُّ سلطنة أعظمُ من التي أنا فيها ؟ وأيُّ مرتبة أحسنُ منها ؟ إذ فَتَحَ اللّهُ على المسلمين بمن يقومُ بأمورهم ، وأبرأني من تعلق حقوق العباد ، وهذا كلُّه من وفور عقله نصره اللّه ، وفيه أدلُّ دليل على صحة ما سيأتي من أنه هرب من الملك لولا أن الناس كلَّفوه عليه

وكان الشيخُ يحيى بن علال (102) يحضُّ أولادَه على التعلُّق بأذيال مولانا الشريف ، ويقولُ إنه سيكونُ لأولاده شأنٌ عظيم ، وقد وقفتُ على ظهير بخط مولانا الشريف بن علي كتبه للسيد علي حفيد يحيى المذكور، وفيه الإشارةُ إلى ذلك ونصُّه ظهيرنا هذا لتجديد ما بيننا وبين السيد علي بن يحيى بن الشيخ أبي زكرياء يحيى بن علال رحمه اللّه ، وكان كثيراً ما يوصي أولادَه بالقدوم إلينا ، ومن جملة ما رأينا له من البركات حينَ وفدَ

---

101) **مَحمد بن أبي القاسم الشرقي** يُكنى أبا عبيد ، وينتسب أولادُه إلى عمر بن الخطاب (ض) من كبار شيوخ التصوف ومؤسسي الزوايا بالمغرب أُلِفتْ كتبٌ عديدة في مناقبه وطريقته وأسرته ، توفي في 1 محرم عام 1010 ودفن بقرية جعيدان المعروفة اليوم بأبي الجعد

ينظر عنه **التقاط الدرر** 2 37 ع 41 **ونشر المثاني** 1 81 **وصفوة مَن انتشر** ص 25

102) **يحيى بن علال الصنهاجي** من صلحاء المغرب في القرن التاسع الهجري ، ولد في حدود عام 863 وصحب عبد العزيز التباع واحمد الحارثي ، وكانت له زاوية بوادي الرضم

توفي بعد عصر يوم الأحد 30 ربيع الثاني عام 945 هـ وحُمل إلى فاس فدفن قرب ضريح الشيخ علي بن حرزهم خارج باب فتوح

ينظر عنه **ابتهاج القلوب** ص 54 (مخطوط مصور) **ودوحة الناشر** ص 140 ع 151 .

علينا حفيدُه الفقيه السيد علي بن يحيى بكتابه ففرحنا به وأكرمنا نزله ووجدتُه يُوصي فيه أولادَه بعد سلام كثير يسرُّ السامع ، فَبينَما أنا نائمٌ تلك الليلة إذ رأيتُ النبيَّ (ص) ومعه أميرُ المومنين سيدُنا عمرُ بن الخطاب رضي اللّه عنه ، والفقيهُ السيد علي معهم ، فجزَوْني خيراً على ما فعلت معه ، وتقدم سيدُنا عمرُ وقال : هذا من أولادي فاستوصِ خيراً به وبأوْلاده، فمَن نظرَ مسطورَنا هذا فلْيستوصِ خيراً به وبأولاده

وهذا ما تيسرَ نكرُه في هذا السمط ، وقد أضربْنا عن أخبار كثيرة طلباً للإيجاز ، وكلُّ ما نكرناه فإنه من الأمور الظاهرة الشهيرة ، واللّهُ يحسنُ النية ، ويخلصُ الطوية ، بمنِّه وكرمه ، وفائدةُ هذا السمط زيادتُه نصره اللّه تبجيلا وجلالة ، وإلا فمَن قُدِر له شيءٌ في الغيْب لمْ يمتْ حتى ناله

السمطُ الرابع

في بيْعتِه وكيفية اتصاله بالملك ، وركوبِه ذلك الفُلك

قال المؤلف سدده اللّه

لما تُوُفِّيَ مولانا الرشيدُ رحمه اللّه على ما سلفَ ذكره في خبرِ وفاتِه ، بلغَ خبرُ موته مولانا إسماعيلَ نصرَه اللّهُ وهوبفاس الجديد ليلةَ الأربعاء سادس عشرَ من ذي الحجة ، وكان سيدُنا في كفالته وتحتَ نظره ، فاستخلفَه على مكناسة الزيتون ، لأنه اختبر سيرتَه ونجابتَه ، فرأى من فطنته ما زادَ به ولوعاً وكساه محبةً عنده ، وزادَه فاس وأسكنَه بها وزوَّجَه إحدى الحظايا من بنات الملوك السعديين ، فكان عرسُه من الأمثال السائرة ، ولم يرِ الناسُ وليمةً ولا حضروا عرساً أعظَم منه ، ولا أبصروا من صنع مثلَه ، ولا سُمِعَ في هذه الأعصر الأخيرة نظيرهُ ، ولما تَحققَ الناسُ بموت مولانا الرشيد لحِقَهم من الأسف ما لا يعبرُ عنه ، وأقبلوا إلى مولانا نصره اللّه وراودوه على البيعة له والانتصاب للإمامة ، فأظهرَ الامتناع ، واعتذرَ بضعفه وقلة حماته وأنصاره ، فلم يزالوا معه حتى قبِل ، فعقدوا بيعتَهم له بالسمع والطاعة والانقياد في المكروه والمحبوب والمنشَط والمكرَه ، حضرها رؤوسُ القبائل المغربية وأعيانُ المدن الإسلامية ، من أهل الحلِّ والعَقْد ، شرفاء وعلماء وصلحاء ، كالشيخ عبد القادر الفاسي ، والشيخ الحسن اليوسي ، ومحمد بن علي الفيلالي ، وأحمد بن سعيد المزكْلدي ، ومحمد بن الحسن المجاصي المكناسي ، والقاضي الأعدل أبي مدين السوسي المكناسي ، وغيرهم

وكانت بيعتُه في الساعة الثانية من يوم الأربعاء 16 ذي الحجة الحرام متم عام 1082 ووافقَ من شهور العجم أبريل ، ويقالُ له نيسان ، ومن غريب الاتفاق أن ولادتَه نصره اللّه كانت في ذي الحجة ، وبيعتَه فيه ، ونظيرُه ما ذكره الثعالبي عن عبد الملك بن مروان أنه كان يقول ولدتُ في رمضان ، وبلغتُ الحلمَ في رمضان ، ووليتُ في رمضان ، وأخشى أن أموتَ في رمضان .

وكان سنّهُ نصره اللّه يوم بيعتِه 26 سنة ، وبعضُهم يقول : كان ابنَ 25 سنة ، والأولُ هو الموافق لما سلف في تاريخ ولادته

قال المؤلف سدده اللّه

ذكر ابنُ الأثير في كتابه (التعريف بملوك أفريقيا) وهو كتاب جليل وقفتُ عليه ، أن إدريسَ بنَ يحيى أحدَ ملوك بني حمود من نسل مولانا إدريس ولِيَ الخلافةَ وهو ابن خمسٍ وعشرين سنة ، فقال يمدحُه غانم بن الوليد المخزومي

واستقبلَ الملكَ إمامُ الهدى	في أربع بعد ثلاثينا
خلافة اللّه سمتْ نحوه	وهو ابنُ خمسٍ بعد عشرينا
إني لأرجو ياإمامَ الهُدى	أن تملك الدنيا ثمانيا
لا رحِم اللّهُ امرءاً لم يقُل	عندَ دعائي لك آمينا

ونحنُ ندعو الله له أن يبقَى الثمانين سنة في ملكه (103) ، ولا شكَّ أنه أيده اللهُ خليقٌ بالإمارة ، وأولَى بها من كثيرٍ من ملوك الزمان ، وذلك لأمور ، منها أنه أيده الله من قريش ، والأيمةُ من قريش ، والقرشيةُ متحققةٌ فيه ، وقد قال (ص) الأيمةُ من قريش ، وقال إن هذا الأمرَ في قريش ما أقاموا الدين ، وقال قدموا قريشاً ولا تتقدموها ، وقال أطيعوا قريشاً ما أطاعوا اللّه ، إلى غير ذلك من الآثار الناصَّة على أنه لا يحلُّ تقديمُ أعجمى مع وجود القرشي ، وهو عند العلماء على ظاهره ، ولا عبرة بمَن تأول من المُبتدعة ، ولا يخفَى على مَن نظرَ بعين الإنصاف أنه لا يتقدمُ العامِّي مع وجود الهاشمي الفاطمي العلوي ، ومنها : أنه نصره اللّه لم يطلب الملكَ حتى طُلِب منه ورُشِّحَ لذلك ، فكان له أهلا ولم ينتزعْه من يد أحد ، بل ماتَ مستحقُّه ، فكان أولَ مَن بويع له ، فطاعتُه واجبة ، وإمامتُه مستجمعُ عليها مستوفيةٌ لجميع الشروط .

103) عاش السلطان مولاي اسماعيل 83 سنة (من عام 1056 إلى عام 1139) وبقي في الملك 57 سنة (من عام 1082 إلى عام 1139) .

واعلم أن بعض الأغمار الذين قطعوا نفائس الأعمار يعتقدون أن ملوكَ المغرب لا تنعقدُ لهم ولايةٌ مع ملوك المشرق ، وذلك غلطٌ واضح ، لأن بلادَ المغرب قطرٌ مستقل بنفسه ، وصقع منفردٌ برأسه ، يحتاجُ إلى أمير يسوسُه وحدَه ، ولا يحسنُ أن يكونَ أميرُه في المشرق لتعلُّق كثيرٍ من الأمور الشرعية بالسلطان الأعظم لا ينوبُ عنه فيها خليفة ، ولا يقومُ مقامَه وزير ، وذلك متحققٌ مع طول الشُّقَّة ، وقد نصَّ الإمام محمد المازَري (104) على جواز تعدد الأمراء لطول البلاد ، وعلَّله بما ذكرناه ، وقد جنحَ الشيخُ نور الدين العيني ، في شرحه على البخاري ، إلى نحو ما أبطلناه

وبالجُملة فإنه نصرَه اللّهُ لم تكنْ إمارتُه عن طلب وحِرْص ، ولذلك رزقَه اللّهُ النصر على الأعداء في كلِّ موطن ، قالَ عليه الصلاةُ والسلام مَن سألَ الإمارةَ وُكِلَ إليها ، ومَن لمْ يَسألْها أُعينَ عليْها ، وقالَ أيضاً لا يتولَّى هذا الأمرَ مَن طلبه ، ومِن المجرَّبِ عند أهل المغرب أن مَن انقادَ لأمره نصرَهُ اللّه وكرعَ من رياض محبَّتِه فإنه يُوَسِّعُ اللّهُ عليْه في رزقِه ويكثرُ الخيرُ عليه ، ومَن انحرفَ عن الإذعان والانقيادِ ابتُلِيَ بالسَّقَم ، وصُبَّتْ عليْه سحائبُ الفقر والنِّقَم ، وقد بلغَني عن بعض أهل المكاشفة من أهل عصرِنا أنه قال ما رأيتُ وليّاً من أولياء الوقت إلا ونفسُه تميلُ لجناب مولانا نصره اللّه ، وذلك لأن أنفاس النبيِّ (ص) دائرةٌ معه ، وإلى هذا فإن كثيراً من أهل الدين والخير يَرَوْنَ النبيَّ (ص) ومولانا نصرَه اللّهُ في حِجْره ، تلقيتُها من غير واحد ، ورأيتُ بخطِّ بعضِهم ما نصُّه : رأى رجلٌ صالحٌ النبيَّ (ص) في النوم فقال له أما تسْتَحْيونَ من اللّه ربِّنا وربِّكم ؟ وأنا عبدُ اللّه منكم ، وولدي إسماعيلُ إمامُكم ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللّه كما وُجدَ وشاعَ عن كافَّة هؤلاء السادة المنتصبين للمشيخة في هذه الدولة

---

104) محمد بن علي المازري التميمي أحد أكابر فقهاء المذهب المالكي في القرن السادس الهجري، عرف بنسبته إلى مدينة مازر Mazzara بجزيرة صقلية ، ولد عام 453 له مؤلفات كثيرة في الفقه والحديث والأدب والأصول ، توفي بالمهدية (تونس) عام 536 هـ

ينظر عنه الامام المازري لحسن حسني عبد الوهاب ، والأعلام للزركلي 6 : 277 وشجرة النور الزكية 1 : 127 .

السعيدة أنهم يُوصون الناس على لزوم الطاعة ، ويَحُضُّونَهم على المساعدة في كلِّ ما سُئِلَ منهم ، ويقولون لهم سوفَ تندمون عليْه إذا فقدْتُموه

والمرءُ ما دامَ حيّاً يُستهانُ به ويعظمُ الرزءُ فيه حين يفتقَد

وفي مثل هذا حَكَى أبو نعيم في (الحِلْيَة) أن الفُضَيْل بنَ عياض مرَّ عليه هارونُ الرشيد ، فوقفَ ينظرُ إليه وإلى أصحابه إلى أن غاب عنه ، فقال ما ذا يرى الناسُ من الفِتَنِ بعدَ غروب شمس هذا الرجل ، وإذا قال هذا في زمانه الذي كانَ الغالبُ على أهله الخيرُ والصلاحُ فما ظنُّك بزماننا هذا الذي كثُرَ فيه البغيُ والفساد ؟ والحاصلُ أن وجودَ مولانا نصره اللّهُ كمْ فيه من منفعةٍ للمسلمين ، وكم من مفاسدَ درأها عنهم ، أدام اللّه ظلَّه على أهل الإسلام ، وجعلَنا من أهل محبَّتِه على الدوام ، وللّه درُّ بعض أدباء المغرب حيثُ قال

مولاي إسماعيلُ ياغَيْثَ الورى يامَن جميعُ الكائنات فدىً لهُ
ما أنت إلا سيفُ حقٍّ مُنتضَى اللّهُ من دون الخليفة سلَّـهُ
من لا يرى لك طاعةً فاللّهُ قد أعماه عن طُرُقِ الهُدى وأضلَّهُ

ولما تمهَّدتْ له نصره اللّه البلادِ ، وانعقدتْ له البيعةُ في سائر الأقطار ، اتخذَ مكناسةَ الزيتون دارَ القرار ، وتبوأها منزلاً مباركاً ، وأحدثَ فيها من البناءات الهائلة الرائقة ما يُحَيِّرُ الأذهان ، قال صاحب كتاب (الأنوار) : لما أشرفْتُ على مكناسة الزيتون ، وقد كان عهدي بها منذُ أزمانٍ وسنين ، رأيتُ بظاهرها عجائب من البُنيان بديعة ، ثمَّ أنبئتُ أن باطنَها فيه مصانعُ غريبةٌ لم يأتِ بها مَن مضى وغبَرَ من الملوك ، ولا يقدرُ على تفصيل ذلك إلا بإلهام من اللّه ، ومَن له خبرةٌ بعلم الهندسة من الأمم الماضين ، والصُنَّاع الحذاقِ من أهل السياسة والرياسة والديانة من الأقدمين ، فسألتُ عن الأمر بالتفاصيل ، فقيلَ لي ليس ثَمَّ ءامرٌ ولا ناظرٌ إلا مولانا إسماعيل .

ولا شكَّ أن له نصره اللّه في مكناس من المصانع الغريبة والبناءات ما يُنْسِي جناتِ الدنيا ، ومنها شِعْبُ بوان (105) ، ويرخصُ ذكرَ البديع ما تعاقب الملوان ، وفي ذلك أنشدَ بعضُ أصحابنا قائلا

أمكنـاسةٌ إنـي لرؤيـاكِ ءاملٌ	وإن عاقَني شغلٌ من الدهر شاغل
فأنتِ التي حزتِ المفاخر كلَّها	ومنكِ تفشَّتْ في البلاد الفضائل
إذا افتخرتْ مراكشٌ ببديعهـا	ففي القُبة الخضرا تضيقُ الأقاول
وإن ذكرتْ مصرٌ بجامع أزهر	ففي جامع الخضرا بدورٌ كوامل
لكِ الفخرُ يا مكناسةٌ قد حوَيْتِه	كـأنكِ بحـرٌ والبـلاد جــداول

وهذا ما تيسَّرَ ذكره في هذا السمط الرابع ، واللّهُ تعالَى أعلمُ بغيبه

---

105) شِعْبُ بَوَّان موضعٌ بأرض فارس يُعَدُّ من مُتَنَزَّهات الدنيا لحسنه ونزاهته وكثرة أشجاره وتدفُّق مياهِه ، وهو الذي وصفه احمد المتنبِّي بقصيدته البديعة

مغانـي الشعب طيباً في المغاني بـمـنـزلـة الربيـع من الزمــان

ينظر عنه معجم البلدان 1 : 503 .

السمطُ الخامس
في تمهيدِه البلاد ، ونصْرِه على أهل البغي والعناد

قال المؤلفُ سدده اللّه

دَوَّخَ مولانا إسماعيلُ نصره اللّه بلادَ المغرب الأقصى كلَّها ، وملكَ سهلَها ووعْرَها ، ودان له قريبُها وبعيدُها ، واستولى على تخوم بلاد السودان وبلغ منها ما لمْ يبلغْه ملكٌ قبله ، وقد وصلتْ جيوشُه إلى بحرالنيل (106) من جهة بلاد فرغانة ، ودخلَ في طاعته كثيرٌ من عمائر أطراف السودان ، وامتدتْ مملكتُه من جهةِ المشرق إلى قرب بلاد بسكرة (107) من قرى بلاد الجريد ، وما تمهدت له البلادُ إلا بعد محاربة طويلة ومقارعة فظيعة ، وبعدَ أن قاسَى مع أهل المغربِ والثوار من الحروب ما هو أدهى وأمرّ ، وللّه دَرُّ القائل

لا تحسبِ المجدَ تَمْراً أنت ءاكلُه — لن تبلغَ المجدَ حتى تعلقَ الصَّبرا

وأولُ مَن نكثَ بيعتَه أهلُ فاس ، فإنهم غدروا بخليفته زيدان التلمساني (108) وتركوه صريعاً لليديْن والفَم ، وعمِلوا على الخلاف ، وملأوا الأبراجَ وأسوار المدينة بالرماة ، ولم يزلْ نصره اللّهُ مُحاصراً لهم ومُضَيِّقاً عليهم أشدَّ التضييق حتى انقطعتْ عنهم الرفاق ، ولم تصل إليْهم الميرة

---

106) **بحر النيل** يخلط المؤرخون والجغرافيون المغاربةُ كثيراً ، ومنهم الرحالة محمد ابن بطُوطة، بين وادي النيل ووادييْ النيجر والسنيغال ، والمؤلفُ يقصد هنا احد النهريْن الأخيريْن

107) **بسكرة** مدينة جزائرية تقع على مشارف الصحراء جنوبي مدينة قسنطينة ، تبعد عنها 235 كلم وعن مدينة الجزائر 427 جميلة الهواء تنتج تموراً لذيذة ، وهي أيضاً متنزهٌ خريفي مقصود ، وكانت محطة للحجاج المغاربة الذاهبين إلى الحج عن طريق الصحراء ، واشتهرتْ بكثرة من انجبت من العلماء والفقهاء والادباء قديماً وحديثاً

ينظر عنها **معجم البلدان** 1 422

108) **زيدان بن عبيد العامري** قائد من أهل تلمسان ولاه السلطان مولاي إسماعيل قيادةَ أحد فيالق جيشه ، ثم عيَّنه خليفةً عنه بفاس ، وكان مقتله ليلة الجمعة 2 جمادى الأولى عام 1083 هـ .

(109) فوقعوا في غِلاء عظيم ، وجوع أليم ، وجُهْدٍ جهيد من قلة الأقوات ، والروع المفزعِ في كلِّ الأوقات ، ولمّا ضاقَ أهلُ فاس بالحصار ، وبلغت القلوبُ الحناجرَ وزاغت الأبصار ، بعثوا لأهل الفحص (110) يطلبون منهم الإغاثةَ والنصرة ، ويُرغِّبون رئيسهم أحمد الخضر المعروف بغيلان (111) أن يتوجهَ إليهم بجموعه ، ويُخفِّفَ عنهم بعض ما نزلَ بهم ، فأجمع رأيُ أهل الفحص مع رئيسهم المذكور على تلبية نداء أهل فاس ، وهيأوا أمرهم وعسكروا بظاهر القصر (112) ، وبعثوا لأهل فاس لا تثريب عليكم ، فإنا سنقدمُ عليكم إن شاء الله في قريب ، وندفعُ عنكم كيدَ من كادكم ، ولما بلغَه نصره اللّه ما أجمعَ عليه أهلُ الفحص ترك خليفتَه على محاربة أهل فاس ، وأقبل يهوي سريعاً لمنازلة أهل الفحص إلى أن حلَّ بأرضِهم ، فضاقوا به ذرعاً وداخلَهم منه ما أذهلَهم ، فالتقت الفئتان بمقربة من القصر على طرف أجنته ، وتجاول الفريقان في القتال هنيهةً فلم ينشبْ أحمدُ الخضر أن دارت عليه دائرةُ المنون ، ولم يلبثْ أن كتبتْ من مداد نجيعه الرماح ، فقُتِلَ واحتُزَّ رأسُه ، ومُزِّقَ شملُ جيشه وتبدد في النواحي ، ولم يُصغوا لعذْلِ اللواحي ، وصارَ غيلانُ كأمس الغابر ، فاحتوى نصره اللّهُ على ما في محلةِ غيلان من الأموال ، وجمعَ من السلاح والكُراع ما لا يدخل تحتَ حصر ، وصفحَ عن أهل القصر وأحوازه ، ورفعَ عنهم الملامة ، لأنه نصره اللّه ليِّنُ العريكة ، صفوحٌ عن الجرائم ، ثم أقبَلَ راجعاً لفاس ، فخامر أهلها من الجزع ما أنسى البخيلَ مالَه ، وأذهلَ الوالدةَ عن ولدها ، إلا أنه نصره اللّه

---

109) **الميرة** الطعام الذي يدَّخره الإنسان ، والفعل مار وأمار ، يقال مار أهله وامارهم اتاهم بالطعام والمونة ، وفي سورة يوسف من القرءان الكريم (ونَميرُ أهلَنا)

110) **الفَحص** يريد الأرض المحيطة بمدينة طنجة ، وما زالت معروفة بهذا الاسم الى اليوم

111) **احمد الخضر غيلان الجرفطي** نسبة إلى بني جرفط قبيلة قريبة من تطوان ، كان مقدما على المجاهدين ببلاد الهبط ايام المجاهد محمد العياشي ، فلما قتل العياشي بعين القصب يوم 19 محرم عام 1051 استقلَّ غيلان برياسة تلك الجهة ، واستولى عام 1063 على مدينة القصر الكبير ، وانضمَّ إليه في ذي الحجة عام 1069 المرابط الرئيس أبو سلهام ابن قدار ، ولم يزلْ على رياسته إلى أن قُتل يوم الأحد 20 جمادى الأولى عام 1084

112) **القصر الكبير** ، ويُعرف أيضاً في كتب التاريخ والجغرافيا بقصر عبد الكريم مدينة تقع جنوبي مرسى العرائش في الطريق بين فاس وطنجة .

لم يُقِمْ بفاس إلا أياماً عديدة ، ثم توجهَ إلى تازة لما بلغه أن أهلَ فاس راسلوا ابن أخيه مولاي أحمد بن محرز بن الشريف (113) وكان مقيماً بها يستصرخونه وينتصرون به ، فحاصره أيَّده اللّهُ بتازة وضيَّقَ على أهلها إلى أن دخلَها ، وفرَّ منها مولانا أحمد بنُ محرز نحو بلاد أنجاد ، فاتبعَ أثرَه في الحين ، ووقعتْ بينهما ملحمةٌ عظيمة انقشعَ فيها سحابُ مولانا أحمد وتبددتْ كتائبُه ، ففرَّ هارباً نحو سجلماسة ، فبقَي بها أياماً ثمَّ بدا له أن يتوجهَ إلى درعة ، فأقبل عليه أهلُها فقاموا معه حقَّ القيام ، ثم بعثَ له أهلُ مراكش فسار نحوهم إلى أن دخلَها فتلقَّاه أهلُها بفرح وسرور ، وملكوه عليهم ، ومولانا نصره الله لا يغيبُ عنه من خبر ابن أخيه شيء ، إلا أنه لرزانته وثباته لا يتضعضعُ لقعقعة الشرّ ، ولا يُبالي بصوله ثائر ، علماً منه بأن الغاشَّ مهزوم ، ومعتلَّ أمر الغادر مجزوم (114)، فرجعَ إلى فاس لما دوَّخ تازة وضواحيَها ، ومهَّدَ بسيفه نواحيَها ، فدارَ بها من كلِّ جهة ، ولم يتركْ لأهلها شاذَّةً ولا فاذَّة

ويُرْوى أن بعض المنجمين قال لأهل فاس وهمْ في الحصار إني رأيتُ الحصارَ لا ينقضي عنكم حتى يدخلَ الخضرُ غيلان ويكونَ هاهُنا ، وأشارَ إليه المنجم ، فلما رأى ذلك أهلُ فاس رغِبوا في الصلح وأذعنوا للانحياش

---

113) احمد بن محرز بن الشريف العلوي ابنُ أخي السلطان مولاي اسماعيل ، كان قائداً ووزيراً لعمه السلطان مولاي رشيد ثار بناحية تازة ثم بمراكش بعد وفاة السلطان مولاي رشيد ، ونهض إليه عمه السلطان فأخرجه منها يوم الجمعة 7 صفر عام 1083 ففرَّ وعصابته إلى ان عاد إليها عام 1085 فنهض إليه عمه مرة ثانية وحاصره بها إلى ان خرج منها هارباً إلى ناحية سوس يوم 2 ربيع الثاني عام 1088 واستمرَّ على ثورته إلى ان خرج اليه السلطان ثالثة عام 1094 فأعياه أمره وانعقد بينهما صلح في رمضان من ذلك العام ، ثم خرج إليه مرة رابعة فحاصره بمدينة رُودانة (تارودانت) إلى ان تمَّ قتلُه بها في أواسط ذي القعدة عام 1096

114) يُشير إلى قاعدة نحوية مفادها أن الفعلَ المعتلَّ يُحذَفُ ءاخره إذا جُزم .

ويقربُ من هذه الحكاية ما رأيتُه في كتاب (المحاضرات) للشيخ الحسن اليوسي أن الناصر السعدي (115) لما قامَ على عمِّه السلطان أحمد الذهبي قال سيدي أحمد بن أبي قاسم الصومعي التادلي ، إن الناصر يدخلُ تادلة (116) بمعنًى دخول الملك ، فلما بلغَ خبرُه إلى الوليِّ سيدي محمد الشرقي قال مسكين أحمد ، رأى الناصر قد دخلَ تادلة ، فظنَّ أنه الناصر يدخل ، فكانَ الأمرُ كما قال ، هزم في نواحي تازة ، ثم قُطع رأسُه ، وحُمِل إلى مراكش فدخل تادلةَ في طريقه !

ولما طالَ الحصارُ بأهل فاس وعلِموا أنه لا نجاة لهم إلا بالإذعان والانقياد ، خرجوا بأشياخ العلمِ والأشراف راغبين في العفْوِ عنهم ، والصفح عن جُناتِهم ، فتلقَّاهم نصرَه اللّه بالبِشْر والترحاب ، وبسطَ لهم جناحَ الرحمة والحِلْم ، وكان دخولُه فاس في 19 رجب عام 1084 بعد محاصرتِه لها 15 شهراً

ثمَّ توجَّهَ إلى مراكش حينَ بلغَه أن مولانا أحمد حشدَ بها الجموع ، وكتَّبَ الكتائب ، وجنَّدَ الجنود ، فلما بلغَها ونزلَ بها دارَ بها كالخاتَم بالأُصْبُع ، وقطعَ عن أهلها الميرة حتى ضاقوا ذرعاً وارتفعت الأسعارُ غاية ، وماتَ الناسُ جوعاً ، ومحلتُه نصره اللهُ في غاية البسْط والرخاء ، فلم يزلْ مُحاصراً لها نحواً من ثلاثة أعوام وهو يُناوِشُ ابنَ أخيه كلَّ يوم ويُغاديه ويُراوحُه بالقتال ، ولما رأى مولانا أحمدُ برودةَ أمره وتيقَّنَ ضعفه

---

115) **الناصر بن عبد الله (الغالب بالله) السعدي** ، أميرٌ من الأسرة السعدية الملكية المغربية، فرَّ إلى إسبانيا إثر معركة وادي المخازن ، وبقي بها إلى أن أرسله ملكها فليب الثاني لاثارة الفتن بالمغرب، فنزل بمليلية يوم 3 شعبان عام 1003 هـ ثم خرج إلى ناحية تازة مشاغباً فاستولى عليها ولم يزلْ عمه السلطان احمد المنصور يُسرب الجنود لمحاربته إلى ان تمَّ قتلُه بقبيلة جاية (اقليم تاونات) فحُزَّ رأسُه وادخل مقطوع الرأس إلى فاس يومَ الثلاثاء 23 رمضان عام 1004 هـ .

116) **تادلـة وتادلا** ، والنسبة إلى الأولى تادلي وإلى الثانية دلائي وتادلاوي ، ناحية بوسط المغرب حيث تلتقي سهول الشاوية (تامسنا قديما) بجبال الأطلس ، يمرُّ بها نهرُ أم الربيع ، بها المدينة الشهيرة المسماة **قصبة تادلة** الواقعة بين مدينة وادي زم ومدينة بني ملال ، تبعد عن الأولى 47 كلم وعن الثانية 30 كلم ، وهي من مباني السلطان مولاي اسماعيل

والحكاية أوردها الحسن اليوسي في المحاضرات 1 : 292 .

عن استطالتِه نصره الله ، خرجَ فارًّا بنفسِه من مراكش ، وأغضى نصره الله عينَه عن اتباعه ، وتركَ له مجالاً للفرار ، وذلك دأبُه مع الثوار عليه ، فدخلَ نصره الله حضرةَ مُراكش في 7 ربيع الثاني عام 1088 وتلقَّاه أهلُها من علماءَ وأشرافٍ وطلبةٍ وصلحاءَ ومُريدين بالانكسار ، وأظهروا الاعتذارَ والتنصُّلَ مما صدر منهم ، ففرِح بهم وأظهر لهم من الحنانة (117) والشفقة ما لم يُكَيَّف ، ولم ينشبْ نصره الله أن رجعَ للغرب ، فأقام به أشهُراً قليلة ، ثم بلغه عن ابنِ أخيه أنه اجتمعتْ عليه الجموعِ برودانة أيضاً ، وتألَّفتْ عليه القبائل وتحالفوا على نصره والقيام معه ، فأقبلَ يزحفُ إليهم بجيوش لا قِبَلَ لهم بها إلى أن نزلَ على رودانة ، وأحاط بها من كلِّ جهة ، وفعلَ بها كما فعلَ معَه بمُراكش ، ولم يزلْ مُنيخاً بها ركابَه ، ومادّاً عليها أطنابَه ، إلى أن قُتل مولانا أحمدُ رحمه الله أوسطَ ذي القِعدة عام 1096 ، وكان سببُ قتله أنه خرجَ يوماً إلى مرسى أجَدير (118) ، ففاجأتْه خيلُ مولانا نصره الله فقتلوه ظناً منهم أنه بعضُ قواده ، ولما قُتل تقدم للخلافة عمُّه مولانا الحرانُ بن الشريف (119) فاستدامَ الحصارُ إلى أن خرجَ مولانا الحران المذكورُ يوماً يطلب العفوَ من أخيه نصره الله فعفا عنه ومنحَه أموالا جزيلة ، وأذِنَ له في النقلة إلى بلاد الحجاز ، فرحلَ إليها بحشَمِه وخدَمِه إلى أن تُوُفِّيَ هناك ، وكان فتحُ رودانة في عيد الأضحى من تلك السنة ،

---

117) **الحنـان** على وزن سحاب الرحمة والرقة ، والمغاربة يضيفون التاء إلى ءاخرها

118) **أجدير** وتنطق بجيم بدوية ، مدينة سياحية جميلة باقليم سوس ، وهي قاعدة ولاية تُسمّى باسمها ، بها مطار كبير وميناء مجهز بأحدث الآلات ، بلغ عدد سكان الولاية 898.855 نسمة وسكان المدينة وحدها 155.244 نسمة حسب احصاء سنة 1994

119) **الحران بن الشريف العلَوي** ، أخو السلطان مولاي إسماعيل ، كان قائداً ووزيراً لأخيهما السلطان مولاي رشيد ، فلما تُوُفِّيَ هذا عام 1082 حدثَتْه نفسُه بالملك مثل بقية أولاد مولاي الشريف ، تارةً يعمل لبلوغه وحده وتارةً بالتعاون مع ابن اخيه مولاي احمد بن محرز بن الشريف الثائر أيضاً ، ولما قتل هذا الأخير برُودانة (تارودانت) واصل عمُّه الحران المقاومة بها إلى ان اقتحمَها عليه مولاي إسماعيل في جمادى الأولى عام 1098 ففرَّ إلى حيث أمن على نفسه ، ثم أرسلَ إلى أخيه مولاي إسماعيل يطلب العفو فعفا عنه ومنحه أموالا جزيلة وأذن له في الرحيل إلى الحجاز فرحلَ إليه بأهله وخدمه وحشمه واستقرَّ به ، وكانت فيه وفاته

يُنظَرُ عنه **الاستقصا** ج 7 صفحات متعددة ، و**المنزع اللطيف** صفحات متعددة من الباب السابع .

واستولَى نصره الله على السوس الأقصى بأسْره ، وأطاعتْ له جميعُ قبائله ، ثمَّ رجع إلى مُراكش فبقِيَ بها أياماً ، ثم توجَّهَ إلى الغرب

ومن سعادته نصره اللهُ أنه ما ثارَ عليه ثائر ، ولا نبغَ عليه قائم ، إلا مكَّنَه الله منه وغَلَّبَهُ عليه ، فدانتْ له كافةُ القبائل الغربية ، ولم يبقَ من ينازعُه في أمر من الأمور ، وساعده الدهرُ على ما يروم ، ولله دَرُّ بعض الفضلاء من أهل العصر إذ قال من قصيدة يمدحُ بها مولانا نصره الله

ألا قلْ لمن شقَّ العصى كان يبتغي ... ورامَ لهذا الملك بالهزم يُنْسخُ

مولايَ إسماعيلُ بازٍ محلِّقٌ ... إذا صرْصر البازي فلا ديكَ يصرخُ

السمطُ السادس

فيما فتحَ من مدن النصارى ، التي بلغَ بها في المَجْدِ القُصارى

قال المؤلفُ سدَّدَه اللّه

له نصره اللّه من الاعتناء بسدِّ الثغور ، والدرءِ في نحر العدوِّ الكفور ، ما شاعَ وذاع ، وامتلأتْ منه الأسماع ، وقد كان أمرُ الجهاد قبلَه ضعيفاً جدّاً إلى أن كفَّ النصارى عن أهل المغرب نيلَ الأطماع ، وتيقَّنوا بالخيبة والحرمان ، وقنعوا من الغنيمة بالإياب . ولما تمهَّدتْ البلادُ له نصره اللّه ودانتْ له الرقابُ وخمدت نارُ الثوار وبانِ الصبح لذي عينين توجَّهَ بكليته إلى فتح البلاد التي أغارَ عليها العدوُّ الكافر ، وأخرجوا المسلمين منها ، فكانت أولُ بلدةٍ أناخَ عليْها بكَلْكَلِه ، وأوْجفَ عليها بخيلِه ورجْلِه ، مدينةُ المعمورة المسماة بالمهدية (120) ، وملخصُ أمرها أنه بعثَ أحدَ وزرائه

---

120) **المهدية** بلدة مبنيةٌ فوقَ تلّ واقعةٌ في الضفَّةِ اليسرى لنهر سُبو أمامَ مصبِّه في المحيط الأُطلسي ، تبعد 9 كلم عن مدينة القنيطرة ، و40 كلم عن الرباط ، كانت تُسمَّى المعمورة قديماً وبهذا الاسم تُعرف الى اليوم الغابة القريبة منها ، يقال إنها كانت من مدن إمارة بني يفرن ، وانتزعها منهم أمراءُ برغواطة وخربوها في جملة ما خربوا من مدن المغرب ، ثم جدد بناءها جوهر الصقلي لما غزا المغرب عام 344 داعياً للعبيديين امراء إفريقية ، ولكن عمرانَها تدهورَ إلى أن أعادَ بناءها الخليفةُ عبدُ المومن بن علي الموحدي الذي أنشأ في مرساها دار صناعة لإنشاء سفن الأسطول ، وعرفت ازدهاراً في عهد حفيده يعقوب المنصور الذي جعلَها مقراً لرئاسة العرب الهلاليين الذين أنزلهم ببلاد الهبط والغرب فأعاروها جانباً من البداوة ، وبقيتْ على حالها حتى هدمها أسطولُ صاحب برشلونة سنة 663 فاستمرتْ خربةً إلى أن خرج لغزوها يوم الأربعاء 1 جمادى الاولى عام 921 هـ (13 يونيو سنة 1515 م) من لشبونة عاصمة البرتُغال أسْطولٌ يتكوَّنُ من 200 سفينة يركبها 8.000 جندي فوصلها يوم 11 جمادى الأولى (23 يونيو) فحاصروها وألحوا عليها بالقتال إلى ان تمكنوا من الاستيلاء عليها بعدما قاومهم المغاربة مقاومةً شديدة ، فحصنوها بالسور الموجود بها اليوم ، ولكن السلطان محمد البرتغالي بن السلطان محمد الشيخ الوَطَّاسِي كرَّ عليهم بعد خمسة أعوام واسترجعها منهم ، وفي أواخر جمادى الثانية عام 1023 (غشت 1614 م) أرسل اليها فيليب الثالث ملك إسبّانيا اسطولا يتألف من 90 سفينة مشحونة بالجنود والآلات الحربية والميرة فاستولوا عليها وبقيت تحت السيطرة الاسبانية الى ان استردَّها السلطان مولاي اسماعيل يوم السبت 12 ربيع الثاني عام 1092 هـ (3 ماي 1681 م)

والمهدية اليوم ميناءُ صيد ومصطاف جميل ومقر جماعة بلدية تابعة لإقليم القنيطرة ، وبظاهرها مطار حربي كبير حُولت بعض مرافقه إلى مدارس تقنية ومدرسة لتكوين ضباط الأركان واخرى لتكوين أطر وزارة الداخلية .

إليها في جيش كثيف ، فخرجَ الجيشُ يوم الخميس 9 ربيع الثاني عام 1092 ويوم السبت بلغوا المهدية ، فدخلوا الكمين وضيَّقوا بالنصارى إلى أن تحققَ المسلمون الظفر بالعدا ، فراسلوا مولانا نصره اللّه فبلغَه السفيرُ بحاضرة مكناسة الزيتون يوم الأحد الموالي للتاريخ المذكور ، وفي صبيحة يوم الاثنين ركب نصره اللّهُ وسارَ نحوهم ذلك اليوم ووصلَ يوم الثلاثاء ، وقاتلَهم عشيتَها بأمر اللّه وليلتَها والأربعاء وليلتَه ، والخميس فتحها اللّهُ على يده ، فله الحمد ، وذلك 14 ربيع الثاني عام 1092 دخَلها فأسر بها من الكفار ثلاثمئة ، وقد تمَّ فتحُها والحمدُ للّه على هذه النعمة

وأما كيفية فتح طنجة (121) فذكر صاحبُ (كتاب الأنوار) خبرها ، وهذه عبارتُه : قال : سببُ فتحها أن خليفةَ السلطان غوَّرَ بأمره نصره اللّه الماءَ الذي كان يسقي منه أهلُها منذُ زمان ، ثم حفر حفيراً بقُرب الماء المسمًّى بساقية أبي الليف في ذلك المكان ، فانحدَر الماءُ وانعكس لموضع يسمًّى بقُبَّة السلطان بقرب وادي يُعرفُ بوادي اليهود (122) من تلك المواطن ، فاشتغلَ العسكرُ بالحفير إلى أن بلغوا الأبراجَ التي أحدها يسمًّى ببرج الدجاج ، فهدَّموها بالبارود ، و زادوا بالحفير حتى بلغوا قصبةً مبنيةً بالجير تسمى بمرشان (123) ، فدخلوها عنوة ، ففرَّ من كان بها من النصارى إلى طنجة ، وبعثُوا إلى رئيسِهم مُستغيثين ، فبعثَ إليهم الأجفان فركبوها فصاروا في البحر عابرين ، فدخلَها مقدمُ السلطان من غير عنف في تاريخ ربيع الثاني عام 1095

---

121) **طنجة والاحتلال الأجنبي** هاجم البرتغاليون طنجة للمرة الأولى عام 841 هـ (1437 م) دون ان يتمكنوا من فتحها ، ثم غزوها مرة ثانية عام 869 هـ (1471 م) واستولوْا عليها وطردوا منها سكانُها المغاربةَ المُسلمين وحوُلوا مساجدها كنائس ، ولما ءال تاجُ البُرتغال إلى فيليب الثاني ملك اسبانيا صارت طنجةُ تحت السيطرة الإسبانية (1540 ـ 1578 م) ثم عادت إلى السيطرة البرتغالية بعد انفصال البرتغال عن إسبانيا ، وفي عام 1071 هـ (1661 م) دخلتْ تحت حكم الانجليز لما قدَّمها لهم شارل الثاني ملك البُرتغال في جملة ما اعطاهم من صداق زوجِه الأميرة الانجليزية كاثرينْ دي براكَّانس ، واستمرتْ تحت حكمه إلى أن افتكُها منهم المغاربة يوم الأحد 1 ربيع الثاني عام 1095 هـ (16 أبريل سنة 1684 م)

122) **وادي اليهود** من أحياء طنجة ، وبهذا الاسم يُسمًى حتى اليوم

123) **مرشان** : حيٌ شهير بطنجة ما زال معروفا بهذا الاسم الى اليوم .

ثم قال صاحب (كتاب الانوار) المذكور وأما قصةُ فتح العرائش (124) بعد أن حاصرها المقدَّمُ المذكورُ ثلاثةَ أشهر ونصفاً فافتتحوها وتمَّ أمرُها ، وذلك أن العسكر دخلَ الكمين وهي الحفائر ، ثم صاروا يحفرون لأنفسِهم ليلاً ونهاراً حتى زادوا مغاير ، وخزنوا تحتَ سورها خزائنَ من البارود ، كانت خزائن ثمانية منها لم تُغْنِ شيئاً ، واثنتان هَدمت السور علانية ، فافتتح الموكلون من المسلمين وقتَ قيام البارود الدخولَ كما أخبرنا به الثقاتُ العدول ، ووثَبوا على الأسوار وقاتلوا أعداءَ اللّه الكفار ، فاقتحموا الشدائد ، ووقفوا وقوفَ الأبطال الزعماء حتى دخلوا المدينةَ فوجدوا سوراً من العود ، فكان الحربُ بينهم عليه سجالا ، ثمَّ بعد ذلك فرَّ العدوُّ إلى البساتين ، فأقاموا بها يوماً وليلة ، فدخلهم الرعبُ في الحين ، فخرجوا منها أذلَّةً صاغرين ، وكانَ عددُ نصارى العرائش قبلَ الاستيلاء عليْهم ثلاثةَ ءالاف ومئتين ، وحينَ ظفر المسلمون بهم أسروا منهم ألفيْن وقتلوا منهم اثنتَيْ عشْرة مئة ، ووجدوا فيها من البارود والعدةَ مالا يُحصى كثرة ، ومن الأنفاض 180 منها 22 من النحاس ، والباقي من الحديد الشديد البأس ، أحدُها يسمَّى بالقصاب في طوله 35 قدما ، تزن كورته 35 رطلا بحيثُ لو حلَق عليه قرب خزانته أربعةُ رجال لم يسعُوه ، كذا سُمِع من المشاهدين لذلك بعد السؤال ، فازداد المسلمون لذلك وأميرُهم سروراً ونضرة ، وحلَّ

124) **العرائش** مدينة شهيرة تقع على الضفة اليسرى لنهر لُكُوس عند مصبه في المحيط الأطلسي . تبعد عن طنجة 91 كلم من جهة الجنوب ، وامامها توجد على الضفة اليمنى للنهر المذكور مدينةُ ليكسوس العتيقةُ الخربة

هاجم اسطول النصارى العرائش عام 668 هـ وخربوها فبقيت على خرابها إلى ان بنيت قصبتها عام 897 وفي عام 910 احتلّها البرتغاليون وبنوها وعمروها الى أن أخرجهم منها السلطان احمد المنصور السعدي . وفي عام 1019 هـ (1610 م) سلمها محمد الشيخ المامون السعدي إلى فيليب الثاني ملك اسبانيا مقابل إعانته على منافسيه على الملك من إخوته . فاستمرت تحت حكم اسبانيا إلى أن استرجعها السلطان مولاي إسماعيل يوم الأربعاء 18 محرم عام 1101 هـ (18 اكتوبر 1689 م)

والعرائشْ اليوم قاعدة إقليم يُسمى باسْمها بولاية تطوان ، يبلغ تعدادُ سكانه 431.477 وتعداد سكان المدينة وحدها 90.400 حسب إحصاء سنة 1994

وبالمدينة ميناء وحولها جنات وبساتين وغابات وحقولُ الشاي وقصب السكر ، وأمامها شاطىء رملي جميل يُسمَى راس الرمل يقصده في الصيف عددٌ كبير من المصطافين من مختلف جهات المغرب ومن الخارج أيضاً .

بالكفار لأجل فتح العرائش ندامةٌ وحسرة ، فدخلَ جميعهم الرعبُ برّاً وبحراً ، إذ دخلها المسلمون عَنوةً وقهْراً ، وكان فتحُها يوم 18 محرم عام 1101

وفي فتح العرائش أنشدَ الشيخُ الخطيبُ البليغُ أديبُ فاس ومفتيها عبد الواحد بوعنان (125) الشريف فقال

ألا أبشرْ فهذا الفتحُ نور — بعين الحقِّ قد حرس الثغور
وطيرُ السعد نادَى حيثُ غنَّى — قد انشرحت بفتحكم الصدور
وضوءُ النصر ساعدَه التهاني — ونورُ الفخر نحوَكم يدور
وقد وافتْكمُ الخيراتُ طُرّاً — وطاب العيشُ واتَّصل السرور
حميتُم بيضةَ الإسلام لما — بثغر الحقِّ قد حرس الثغور
وجاهدتُم وقاتلتُم فانتُم — لدين اللّه أقمارٌ بدور
وأطعمتُم صوارِمَكم لحوماً — لدى الهيجاء صاحبُها كفور
فأنتَ البدرُ يوم السِّلْم حُسناً — وفي يوم الوغا الأسدُ الهَصور
وفي ثغْرِ العرائشِ قد تَبَدّا — لقدرِكمُ على الشِّعرى الظهور
لقدْ كانَ الملوكُ فساوَموها — وراموها فبانَ لها نفور
فلمّا جئتَها انقادتْ وقالتْ — إليك يحقُّ مولانا المصير
ملكتَ قيادَ عزَّتِها بذُل — فما أغنى الحصارُ ولا العبُور
قهرتَهم بأبطالٍ عظام — على الهيْجاءِ كلُّهم جَسور
فكمْ رأسٍ من الكفار أمسى — قطيعَ الرأس محزوزاً يخور
وكم نحرٍ قلادتُه رماح — وسِنُّ الرمْحِ مركزُه النحور
وكم أسْرى وكم قتلَى بأرضٍ — وكم جَرحَى دماؤهم تفور

---

125) **عبدُ الواحد بن محمد البوعناني (بوعنان)** من علماء فاس ، ولي الفتوى والقضاء بها ودرس بجامع القرويين ، ورحل إلى الجزائر بأمر السلطان فلقي جماعة من مشايخها وأخذ عنهم

تُوفي بفاس في 18 صفر عام 1106

ينظر عنه **التقاط الدرر** 2 : 266 و **الاستقصا** 7 : 74 و 79 **ونشر المثاني** 3 : 66 **وسلوة الأنفاس** 1 : 200 .

تمرُّ بهـا الطيـورُ فتنتقيهـا ... وباتَ الذئبُ وهو لها شكور

واضحى الناسُ كلُهم نَشاوَى ... على طربٍ وما شُربتْ خمور

فبُشراكم فهـذا الفتـحُ نـورٌ ... وبُشراكم بمـا مـنَّ الغَفـور

بـه زادتْ مآثرُكـم عُلـواً ... وقد عظمتْ به لكمُ الأجور

ألا يامـعشر الكُفـار هـذا ... مبدِّدُكم ولـيس لـه فُتـور

ألا يـاأهلَ سبتـةَ قـد أتاكـم ... بسيْف الله سلطـانٌ وقـور

إذا ما جاءَ سبتةَ في عَشِيٍّ ... تناديـه إذا كـان البُكـور

ووهرانٌ (126) تُنادي كلَّ يَوْمٍ ... متَى ياتي الإمامُ متَى يَزور ؟

متَـى يأتـي ويفتحُها سريعـاً ... ويَلْحَقُ أهلَها (127) منه التبور

فيَهزِمُهـم ويقتلُهـم ويَسْبـي ... وسيفُ الحقِّ في يده ينـور

أياموْلايَ قمْ وانهضْ وشمِّـرْ ... لأنـدلسٍ فـأنتَ لهـا أميـر

وجاهدْهُـم وحاربْهـم وفـرِّق ... جموعَهـمُ فربُكـم النصيـر

ولا يمنعْ بفضل الله منهـا ... كما قد قيلَ برٌّ أوْ بُحـور

لسانُ الحـال ينشدُ كلَّ يـوم ... ومعنَى الحال تفهمُه الصدور

بقرطبةٍ تنـالُ المجـدَ طُـرّاً ... ويأتـي العزُّ والـمُلكُ الكبيـر

وذلكـمُ بعـوْنِ اللـه سهلٌ ... ومـن بركاتِكـم أمـرٌ يسيـر

أيامـولايَ إسماعـيلُ هـذا ... عُبَيْدُكُم الضعيـف المستجيـر

يُناديكـم بناديكـم ويَدعـو ... دعـاءً لا تُغَيِّيـه الدهـور

فيـاربُّ البريـةِ ياإلاهـي ... ويارحمـانُ يانِعْـم المُجيـر

أثبْ هذا الأميرَ بكلِّ خيـر ... ولا تجـعلْ تجارتَـه تبـور

---

126) وهران : أكبرُ مدينة بغرب القطر الجزائري بناها الأندلسيون عام 290 هـ (903) ، احتلَّها الإسبان يوم الخميس 27 محرم عام 915 هـ (17 ماي 1509 م) وبقيت تحت حكمهم مئتي سنة ثم استردُّها منهم الباي التركي مصطفى بوشلاغم مؤسسُ مدينة معسكر ، ثم عاد الإسبانيون واحتلوها عام 1722 م ثم استرجعَها الأتراك منهم سنةَ 1792 م .

وقد بذل السلطان مولاي إسماعيل جهوداً كبيرة لطرد الإسبانيين منها وحاصرها جيشُه مرات عديدة، وما زال المكان المشجر الذي كان مقراً لقيادته بظاهرها يسمى إلى اليوم غابة السلطان مولاي إسماعيل .

127) يريد سكانها الاسبانيين المحتلين .

وأبقِ الملكَ فيه وفي بنيه ... ولوْ كرِهَتْ زيودٌ أو عُمور
ونحنُ رعيةٌ نَرجو هناءً ... وبالسلطان تَنْتَظِمُ الأمور
عليكم من عُبَيْدِكُم سلامٌ ... مدا الدنيا يُضَمِّخُه العبير
يعُمُّ جنابكم ما قال صبٌّ ... (ألا أبشرْ فهذا الفتحُ نور)

وقد وقع بينَ فقهاءِ الوقت نزاعٌ في حكم غنيمة العرائش ، حتَّى ألَّفَ في ذلك شيخُ شيوخنا قاضي حاضرة مكناسة الزيتون أبو مدين السوسي تأليفاً لخَّص فيه تحقيقَ حكم المسألة ، وأماطَ عنها القناع ، وسمَّاه (السهمُ الرائش ، في حكم غنيمة العرائش) ولولا الإطالةُ لجلبْنا تلك المسألةَ وحقَّقْنا فيها القول.

فهذا عددُ ما فتحَه نصره اللهُ من الثغور ، ووطأ من بلاد العدوِّ الكَفور ، أخبرَ جماعةٌ من الأولياءِ الأكابر ، أنه لا بدَّ من فتح سبع مدن للعدوِّ والكَافر ، فهذه ثلاثٌ قد افتتحَها والأربعةُ الباقيةُ ، وهي سبتةُ والبريجةُ وأصيلةُ ومليلية ، نسألُ الله أن يُقِرَّ عينَه بفتحها ، ويشرح صدره لإراحة المسلمين منها ، وأن يجعلَ ذلك على يَدَيْه ، ويُقِرَّ به اللهُ عَينَيْه ، والذي ظهر من تغافُله نصره الله عن إجلاء النصارى عن تلك البقاع معَ أنه تَمكَّنَ من غلبِهم وقهْرِهم وله من القوة على ذلك ما هو أوضحُ من شمس النهار ، أنه قصدَ أن تكونَ هذه المواضعُ قريبةً من الرباط لمَن أرادَ أن يُمحِّص ذنوبَه، ويغسلَ بالجهاد درنَ سيئاته ، ويقطع في سبيل الله جلَّ أوقاته ، وإلا فهمتُه نصره الله تكفي في هزيمتِهم ، وتقومُ وحدها في تبديدهم وتمزيق شملِهم ، وكيفَ وله من الجيوشِ الحافلة ، والعساكر الوافرة ، ما لم يكنْ عندَ أحد ممَّن غبرَ ، ولا حصلَ عندَ ملك فيما سلفَ من هذا الجيش البخاري 150.000 ، وله بجنان حمرية 100.000 عود من الزيتون ، والبقاءُ للّه وحده . وله اعتناءٌ بجمْع الخيل العِتاق وانتخابِ الصافنات الجياد ، حتى بنَى قصراً يقالُ له قصرُ الخيل ، وفيه أنشدَ الكاتبُ البارع ، الذي لا تنقطعُ لبحره

في الفصاحة مشارع ، مَن يُحلِّي بجواهر البراعة نحورَ الأوراق ، عمرُ الحراق (128) فقال

أنا قصرُ العتاق من الجيـاد ... بناني اللهُ في نَحْرِ الأعادي
على يدِ عبده المنصور حقّاً ... وصلتُ على القصور بكل نادي
وكيفَ لا أصولُ على المباني ... وإسماعيلُ قد أسما عمـادي
وشيَّدنـــي بتوفيـــق ويُمـــنٍ ... وعمَّرنـــي بـــآلات الجِهـــاد
وروَّعَ في الصليب وعابديـه ... فنالَ العزَّ من ربِّ العبـاد
أدامَ اللهُ ملكَـه فـي هنـــاء ... وأعقبَـه إلـى يـوم التنـــادي

---

128) عمر بن الحسن بن علي الحراق الحسني ، أديب من أهل مدينة شفشاون ، رحل إلى المشرق وسمع من شيوخه فاستفاد وأفاد ، تقلد الوزارة في عهد السلطان مولاي اسماعيل ، له ديوان شعر

توفي في 18 ربيع الاول عام 1141 هـ .

تنظر ترجمتُه وأخبارُه في إتحاف أعلام الناس 1 143 و156 و5 485 والأنيس المطرب للعلمي ص 163 وتاريخ الدولة السعيدة للضعيف ص 92 و109 (طبع الرباط) وزهر الأكم للريفي ص 149 و174 و197 و224 والكناشة الناصرية (مخطوط مصور) ص 8 وفهرسة العميري (مخطوط مصوّر) ، والمنزع اللطيف ص 419 .

السمطُ السابع

في ذكر ما كثُرَ ببركته ، من الخير وأهله في مُدته

قال المؤلفُ سدَّده الله

لا يخفَى على الناظر بعين الإنصاف واللامحِ ببصر البصيرة أن مولانا إسماعيلَ أيده اللهُ لم يرِ الناسُ مثله في حلمه وصفحه عمَّن جنَى عليه ، وذلك شائعٌ ذائعٌ مستفيضٌ على لسان الخاصِّ والعامّ ، وكان يشُقُّ عليه العصا أهلُ بلد وينكُثون بيعتَه ، وينبذونَ طاعتَه ، فلا يزالُ يُسايرُهم برفق ولين وإغضاءٍ عن عثراتِهم إلى أن يتمكنَ منهم ، وتكونَ يدُه فوقَهم ، فينظرَ لهم من الصفح والحلم ما يملكُ به قلوبَهم ، ويستميلُ به نفوسهم ، وذلك أمرٌ واضحٌ مشهور

وليس يَصِحُّ في الأذهان شيءٌ   إذا احتاجَ النهارُ إلى دليل

ولما افتتحَ نصرَه الله مُراكشَ جاءَه أهلُها كباراً وصغاراً كما تقدم في روعٍ كادوا أن يتمزّقوا منه خوفاً ورُعباً ، فأزالَ نصره الله رَوْعَهم في الحين حتى كادَ أن يعانقَهم ويبكيَ معهم ، وكان يومُ دخوله يوماً مشهوداً تحيَّرَ فيه الناسُ ما بين اعتذاره بالعفوِ عنهم وذلتِهم بالحنانة له

وما ملكَ الأحرارَ كالعفوِ عنهمُ   ومَن لك بالحرِّ الذي يحفظُ اليدا ؟

ويُحكى أنه نصره الله حلفَ لئن دخلتُ مراكش لأجَوِّزَنَّ أهلها من تحت السيف ، فلما دخلها دخلتْه الرأفةُ والرحمة ، فاستفتى علماءَ الوقت فأفتَوْه بأن يجعلَ سيفَه في موضع ويمرُّوا تحتَه ففعلَ ذلك ، ونظيرُ هذه الحكاية ما ذكره صاحب كتاب (الذخيرة السنية ، في تاريخ الدولة المرينية)

أن الناصرَ الموحدي لما نقض سقفَ جامعِ حسّان بسلا وصنعَ منه محكماتِ الأجفان والسفنِ فعدا عليها أهلُ أزمور وحرقوها ، فبلغه الخبرُ فحلفَ ليدخلنَّ أزمور بالسيْف ، فأتاه علماءُ وقته بأن يدخلَ من باب ويخرجَ من باب.

وأما عدلُه نصره اللهُ فأمرٌ مشاعٌ في البوادي والحواضر ، وخبرٌ سرحتْ في روضه النواظر ، ولوْ لمْ يكنْ فيه نصره اللهُ إلا خصلةٌ واحدة لكفَتْ في عدْلِه ، وذلك أنه لا يحتجبُ عن الناس بداره كما كانتْ عادةُ مَن قبلَه من عظماء الملوك يَحتجبون عن الرعية بشهواتِهم ، ويقطعون جلَّ الأوقات في لذاتِهم ، حتى كان المتظلمُ يمكثُ بباب الأمير الأشهر الكثيرة والليالَي ذواتِ العدد يرتقبُ خروجَ سلطانه إليه فلا يجدُ إليه سبيلا ، وهو نصرَه الله يبرزُ في كلِّ وقت وفي كلِّ يوم حتى يصلَ إليه مَن أرادَه قوياً أو ضعيفاً ، شريفاً أو مشروفاً ، من غير حاجب يحجُبُه ولا صادٌ يصدُّه ، وسمعتُ جماعةً من أشياخنا من علماء فاس وغيرهم يقولون هذه المنقبةُ مما اختصَّ به مولانا إسماعيل ، واكتسى بها من بين الملوك شرفاً وفخراً ، وما أحسنَ قولَ الكاتب الذي حلَّى جيدَ العصر بدُرَرِ أفكاره ، وأطارَ طيرَ البيان من أوكاره ، عبد الحق السحيمي (129) حيثُ قال في مدحه نصره الله من قصيدة

يباشرُ في كلِّ الأمور أموره	بقلب تقـيٍّ بالمكـارم ينبـع

وهذا البيتُ من قصيدة له طنانة وهي

أمن أرضهم ريحُ الصَّبا يَتضوع	ومن دونهم بدرُ الأسنة يلمع؟
وفي حيِّهم نارُ الهياج عشيةً	فباتَ زئيرُ الأسد في الحيِّ يُسمَع
إذا ارتحلوا ليلاً فضوءُ رماحهم	لهمْ فيه عن ضوءِ الكواكب مقنع
وبينَ أسود الغابِ بيضٌ أوانسٌ	وهلْ في أسود الغاب للناس مطمع

129) **عبد الحق بن مخلوف السحيمي** ، من شعراء السلطان مولاي إسماعيل ، كان حيّاً عامَ 1110 هـ ، لم أتمكنْ من الوقوف على ترجمة مفصلة له حتى الآن ، وينظر عن شعره وبعض أخباره **إتحاف أعلام الناس** 4 518 **والدر المنتخب** (مخطوط) **والمنزع اللطيف** ص 410 (كتب خطأً في طبعته الحسيني بدل السحيمي) .

وعيْشِك ما أدري أبين خيامهم ... نساءٌ أم الغزلانُ في الحيِّ رُتَّع ؟

وما أنكرت عيني من الحسن ما رأتْ ... وأن الشموس في الهوادج تسطع

وتحتَ رماح الخطِّ كلُّ مدجَّج ... ظلوم غشوم بالدماء مُـدَرَّع

إذا نظرتْ عيني غزالاً مبرقعاً ... أشارتْ لليْثٍ في الحديد مقنع

وما ضربوا حُمْرَ القبابِ على المطا ... وفيهم جبانٌ بالنزال يُـروَّع

وفي الكلة الحمراء شمسٌ منيرةٌ ... تُراقبُها عينـاي أيـةً تطلـع

لها في سواد القلب أشرفُ موضع ... وليس لها عند الأجانب موقع

فلله ما حملت قلبي من الهوى ... وفيـه كناسٌ للظبـاءِ ومرتـع

ألم يانِ للحيِّ الذين ترحَّلـوا ... رجوعٌ وهلْ عصرُ الشبيبة يرجع

سقى اللّه أرضاً حلَّها سربُ غادة ... لها في الحشا عندي شفيعٌ مشفع

ولا روَّعَ الرحمانُ سرب عقائل ... نـوازعُ ءامالـي إليْهنَّ نُـزَّع

لهنَّ عهودٌ لا تضيعُ حقوقُها ... ولستُ أرى عهد الكرامِ يضَيَّعُ

فإن لا يكنْ من آل جفنةَ منبتٌ ... لهنَّ فمن عبد المدانِ تُفَرُّع

فياأختَ حامي الحيِّ يوم نزالهم ... ويابنتَ مَن يُروي العفاةَ ويُشْبِع

ودادِيَ محفوظٌ على ما عهدتِه ... لديكم أم الودُّ الصميمُ مُضَيَّع ؟

رعى اللّه أيامَ الشباب فإنَّها ... مـواسمُ فيهـا للنفـوس تمتُّـع

وحيَّى القصور الخُضر صوبُ غمائم ... مباركـةٍ تهمـي عليْهـا وتهمـع

قصورٌ بها المنصورُ يحمي حقائقاً ... من الدين فيها الخيرُ للخلق أجمع

يُجَهِّزُ إسماعيلُ منها كتائبـاً ... تكادُ قلوبُ الشرك منها تَصَدَّع

فلله منه النفسُ والحربُ ترتمي ... بموّج المنايا والأسنـةُ شُرَّع

وما افترَّ ثغرٌ قبلَ تقبيل سيفِه ... وللّه سرٌّ في الخلائق مُودَع

وكم ليلةٍ باتتْ به الخيلُ عُوَّماً ... بحوراً من الظلماء والناسُ هُجَّع

وما سدَّ منه النفس غيرُ سرية ... يخبُّ إلى الأعداء منها ويرتَع

بلَى إن أوقاتَ الرخا تستفزُّه ... ولا مرَّ يومٌ في الشدائد يضرع

فلله ما ضمَّت ثيابُ أبي الفِدا ... من المجد والتقوى وما هو يصنع

يباشرُ في كلِّ الأمور أموره ... بـقلب تقـيٍّ بالمكـارم ينبـع

أعزَّ الإلهُ الدينَ بابـن نبيِّـه ... وما إن يُعِزُّ الدينَ إلا سميْدع

فيابنَ الأولى سارتْ بمدح جدودهم ... رفاقٌ لها بين السباسب مهيع

ألستُم سراة المسلميـن وسادةً — محبتُهمْ يـوم القيامـة تنفـع
إذا أطعموا يوم الوليمة أشبعوا — وإن طعنوا يوم الكريهة أوجعوا
ألستُم شموساً في الورى ووجودُكم — أمانٌ لهم من كلِّ ما يُتَوَقَّع
إذا سدتم الأملاكَ شرقاً ومغرباً — فما سادَهم إلا نبيلٌ وأروع
وإن كان فيكم للخلافة زينةٌ — فمنصبُكم فيها أجلُّ وأرفـع
بقيتَ لهذا الدينِ تُعلي منارَه — وقدرُك من بين الملوك مُرفَّع

وأما تواضعُه نصره اللّه فأمر مستفيضٌ يشهدُ به الخاصُّ والعامّ ، ولاسيَّما تواضعَه لرب العزة جلَّ جلاله ، فإذا تفكر في عظمة اللّه سبحانه وأدركته خشيةُ اللّه تعالى سجدَ على الأرض وعفر وجهه في ترابها ، وربَّما يُدركُه ذلك وهو في طين فيخرُّ ساجداً للّه عزَّ وجلَّ ولا يبالي بتلوُّث ثيابه ، وقد بلغَني أنه سألَ عن سجود الشكر هذا هل يفتقرُ إلى طهارة أم لا ؟ فَأجابَه الفقهاءُ بأنه لا يحتاجُ إلى طهارة ، وقد نصَّ على ذلك غيرُ واحد من العلماء ، وما جرى عليْه أيَّدَه اللّهُ من سجود الشكر هو الذي صحَّ عن النبيِّ (ص) فعله ، روى الترمذي وغيرُه أن النبيَّ (ص) كان إذا جاءه أمرٌ سرَّه خرَّ ساجداً ، قال أبو عيسى والعملُ عند أكثر العلماء عليه ، ولم يره مالك ، وقال ابن العربي : ولم يره والسجودُ للّه دائماً هو الواجب ، فإذا وُجدَ أدنى سبب للسجود فلْيُغتَنَمْ ، فعلَى هذا جرى عملُه نصره اللّه ، على أن الكراهةَ في المذهب غيرُ منافية للجواز ، وهذا دأبُه في المشاكل التي يشكلُ عليه حكْمُها، فإنه يراجعُ علماءَ العصر فيها مع أن له من الفهم الثاقب والعقل الراجح ما يُحَيِّرُ عقولَ العلماءَ ، وكثيراً ما تدورُ في مجلسه غررُ المسائل ، فإذا تكلمَ فيها أبهتَ الحاضرين ، وأذهلَ المتكلمين

وأما مسائلُ التاريخ ومعرفةُ الأنساب فهو ابن بجدتها ، والعارفُ بدسائسها ، يعرفُ القبائلَ العربيةَ والشعوب البربرية ، ويميز كلَّ واحد بقعدوده ، ولم يكن في وقته أعرفُ منه بالأنساب ، كأنما جُمعت له في صعيد واحد ، وهو ينظرُ إليها نظرةً واحدة ، وأما علمُ السير ففي يده كالماء ، وله فيه اليدُ الطولى ، وكم من مرة يسْألُ علماء عصره بمجلسِه عن نسب أحدِ

من الصحابة أو وقيعةٍ له أو منقبةٍ وسِم بها فلا يجدُ معهم شيئا من ذلك ، وربَّما أفادَهم بفوائدَ ما خطرتْ لهم على بال ، وفي هذا قِيل عقولُ الملوك ملوكُ العقول

وأما ما ظهر في زمانه من الخيرات وظهر من فنونِ العلم واستبانَ من أوجه الطاعات فمن حديث البحر يلهجُ به الشيوخُ والأطفال ، ويعرفُه الكبارُ والصغار ، وقد حدَّثنا غيرُ واحد ممن طعن في السنَ من أشياخنا قال كنا في زمن الشبيبة نطلبُ العلم ونسألُ عن مسائله ، وخصوصاً العلم المعقول فلا نجدُ من يتقنُ مسائله على صورتها ، ولا نُلفي من له تضلعٌ في ذلك ، بلْ كانت الأرجوزةُ المسماةُ بـ (السُّلَّم المُروْنق) لا يعرفها بفاس إلا رجلٌ أو رجلان ، فلما مهَّد اللَّهُ لهذه الدولة الأكناف ، وأسما قدرها وأناف، تدفَّقتْ على الناس العلوم ، وذلَّت صعابُ الفنون والفهوم ، حتى عاذ صغارُ الطلبة يعرفون فنوناً عديدة ، ويكون لهم فيها عارضةٌ مديدة ، وقد تخرج في هذه المدة السعيدة جماعةٌ من الأعلام ، لهم القدمُ الراسخُ في العلم واليدُ الطولى في الإتقان ، وألَّفوا تآليف حسنة ، ومنهم من فسَّر كتاب اللّه تعالى ووضع عليه تقييداً فائقاً ، ومنهم من شرح موطأ الإمام مالك بن أنس ، ومنهم من شرح الشفا للقاضي أبي الفضل عياض ، ومنهم من شرح مختصر خليل شرحاً لم يظهرْ له نظير ، ومنهم من شرح ألفيةَ ابن مالك ، ووضع على ابن هشام حاشية ، وغيرذلك من الشروح ، اليانعةِ السروح ، وكلُّ هؤلاء الذين أشرتُ إليهم لهم من العارضة ما يتكلمون به مع الأقدمين ، ويقبلون مِن كلامهم ويردون ، وللّه در القائل

قُلْ لمن لا يرى المُعاصر شيئاً ويــرى لــلأوائل التقديمــا
إن ذلك القديم كان جديداً وسيغدُو هذا الجديدُ قديمـاً

وما مِن عِلْم من العلوم إلا وألَّف فيه علماءُ هذه الدولة السعيدة وأبدعوا فيه وأعادوا ، وعثروا على الغوامض التي لمْ يعثرْ عليها من مضى

وقد تلقيتُ من غير واحد أن القبيلةَ كانتْ قبلَ هذه المدة لايوجدُ فيها إلا طالبٌ واحدٌ أو لم يُوجَد ، وربَّما احتاج أهلُ مجشر (130) أو دوار

130) تقدم التعريف بالمجشر ، والدشير والمدشر والدشيرة ، انظر التعليق 23 ص 21 .

(131) إلى منِ يقرأ لهم رسالة ، فلا يوجَدُ من يُحسن لهم ذلك ، حتى يرحلوا المسافةَ البعيدةَ لطالبِ يُذكِرُ لهم ، والآنَ كلُّ مدشرٍ ودوار بل كلُّ خيمة فيها طالب ، ولم يبقَ التفاخرُ بين الطلبة اليوم إلا في قراءة السبْع أو العشر (132)، وأما مجردُ حفظِ ءاي القرءان فَحَمَلَتُهُ اليوم لايُحْصوْنَ كثرةً والحمدُ للّه حقَّ حمده ، وأما ءالاتُ العلم وجمعُ الكتب ونفائسِ الذخائر فله في ذلك نصره اللّهُ الهمَّةُ البالغة ، والرغبةُ السابغة ، عملاً بقوْل القائل

خزانةُ الدار أكثرْ منْ نخائرها فإن أُبَّهَةَ السلطانِ ذُخْراه

وقدْ جمع من الدفاتر ما يُحيِّرُ العاقل

ومن عادته أن يسردَ عليه كلَّ يوم فصلٌ من كتاب إلى أن يختمَه ويبتدىء كتاباً ءاخر ، وكلُّ ما مرَّ على أُنُنِه من الحكايات الرائقة والأخبار المستظرفة لا ينسى منها شيئاً ، بلْ يستدلُّ بذلك في مواضعِ الاستدلال ، ويفصلُ بواسطتها عقودَ ألفاظه البليغة ، ولمْ ير الناسُ أحفظَ منه ولا أثبتَ ذهناً ولا من يقاربُه في سيلان الذهن وجودة القريحة

وله من المحاضرات مع كُتابه والمباسطة معهم في القِطَعِ الأدبية ما يبخسُ قطع الرياض ، ويُزري بفتور الحدق المراض ، فمن ذلك أنه نصره اللّهُ خرج يوماً وخلفَه جاريةٌ وسيمةٌ حاملةٌ لسيفه ، فاستنزلَ قرائحَ كتابه لوصفِها ، فقالَ في ذلك خاتمةُ أهل الأدب ، وسراجُ مَن تهذَّب وتأدَّب ، عبدُ الحق السحيمي المتقدمُ الذكر:

حملتْ سيوفَ الهندِ وهي غنيةٌ عن حمْلِها بفواتر الأجفان
حسبُ الفتاةِ جلالةً ومهابةً عزُّ الجمال وهيْبةُ السلطان

ومن الأبياتِ التي كانَ يتمثَلُ بها كثيراً نصره اللّهُ وأطالَ عمره في طاعتِه

---

131) الدوار : حِلَّةٌ من خيام مُستديرةُ الشكل تُضْربُ كذلك ليسهُلَ الدفاعُ عنها ، وقد اتّسع معناها فصارتْ تطلق على الحِلَلِ البدوية حتّى ولوكانت مساكنُها ثابتة مبنية من طين .

132) يريدُ قراءة القرءان بالروايات السبع والروايات العشر .

وجـرَّبتُ الأمـور وجرَّبتْنـي كأني كنتُ في الأمَم الخوالي

وقد طلب أيده اللّهُ من أدباء الوقت التذييلَ على هذا البيت ، فقالوا في ذلك مقطوعاتٍ كقطع الرياض تركناها اختصاراً

ومن الأبيات التي كان يتمثل بها أيضاً قولُ النابغة من قصيدته المشهورة

فمَن أطاعك فانفعْـه بطاعتِـه كما أطاعك وادلُلْه على الرَّشَد
ومـن عصاك فعاقبْـه معاقبـةً تُنسي الظلوم ولا تقعدْ على ضَمد

وبالجملة فلا يُنكرُ فضلَ هذه الإيالة الشريفة إلا جاهل ، ولا يجحدُ ما ظهر في أيامها من الخصب والرخاء والبسْط الدائم إلا ضعيفُ العقل ، فقد اتَّسع فيها الرخاءُ ورخصت الأسعار إلى أن بيعتْ خبزتان كبيرتان بقيراط ، وهذا من الشُّهرة بمكان ، وقد أضربْنا في هذا السمط عن أخبارٍ كثيرة طلباً للإيجاز والاختصار .

السمطُ الثامن
في المشاهير من أولاده النُجبا
وذكرِ مآثرِهم التي هي ألطفُ من نسيم الصَّبا

قال المؤلفُ سدده اللّه

ألمعنا في هذا السمط بِنُبَذٍ من أحوال أولادِه نصره اللّه ولُمَعٍ من أنبائهم ، ولاشكَّ أن له أيده اللّه عدة أولاد ، كلُّهم أنجاد ، كابراً عن كابر، بلغوا الغايةَ في السيادة ، وانتَموْا في السُموِّ إلى مُرتقَى بحيثُ لا زيادة ، وللّه درُّ القائل في ذكر أولاد مولانا الشريف بن علي رحمه اللّه:

بنـوه كـالأُسْدِ وكالبيـزان	سيوفهـم تلمـعُ كالنيـران
ضراغمٌ في الحرب ثمَّ في العطا	أبحرُ ما كانَ على هذا غِطا
إن لبِسوا الدرعَ فهمْ بدْرٌ منير	أو لبِسوا التاج فكلُّهم أميـر
أشدُّ من قَسْورةٍ همُ اسمعـا	مـا ولـدَ السبُـعُ قطُّ ضبُعـا
كذلك البـازي فمـا أن ولـدا	حبـارةً مـا كـان هـذا أبـدا

وكان كلُّ واحد منهم في المرتبة العليا من الشرفِ الأثيل ، والغاية القُصوى من المجد الأصيل ، وكيف لا وهم من سُلالة سيد المرسلين ، وسيِّد الخلق أجمعين ، وما أحقَّهم بقول محمد بن عبد المالك الناصر الأُموي من قصيدة له يفتخر فيها

إذا وُلِدَ المولودُ منا تـهلَّلَتْ	له الأرضُ واهتزَّت إليه المنابر

وفيهم أنشدَ بعضُ أُدباء مراكش الحمراء قصيدةً يمدحُه فيها نصره اللّه واستطردَ ذكر أولاده المَجَدَة فقال :

أولادهُ غُــرٌّ ضراغـــمُ سادةٌ — يتسابقون إلى الطريق الأحمد
لا غرو إن ساروا بسيْرِ أبيهم — فالليثُ يسري سرُّه في الفرهد
جمعوا المآثرَ والمفاخر كلَّها — وهمُ الغياثُ بكلِّ روْعٍ أكمد
وهمُ الملاذُ إذا الحروبُ تشابكتْ — وإذا الهمومُ مشتْ بقلب الأنكد
وهمُ الملوكُ على البريَّةِ كلِّها — وهمُ السَّراةُ بمُغْورٍ أو مُنجد
مــا فيهــمُ إلا كبيــرٌ قــدرُه — كالغُصن في غلوائـه المُتــأوِّد
إن النجوم صغيرُها ككبيرهـا — حُسناً بعيْـن الناظـر المتــردِّد

وكنا أردنا أن نذكر منهم أعيانا ، ونخص منهم أفرادا ، فوجدناهم كلَّهم أعيانا ، ورأينا ذكرهم لا يزيدُهم تبياناً ، فأضربنا على ذلك صفحاً (133)

ولاشَّك أن له نصره الله من الاعتناء بنسبِه الشريف ، وحفظه من وقوع الشبُهاتِ فيه ماهو شهير ، قال صاحب (كتاب الانوار): وله نصره الله من التحفُّظ على نسلِه ما شاعَ وذاع حتى أنه إن أراد أن يتزوج حرةً احتاط غايةَ الاحتياط ، وإذا أرادَ أن يتسرَّى أمةً بالغَ في الكشف عنها والبحث عن أمرها حتى يتضحَ له حالُها ولا يقربُها إلا بعدَ إعمال الواجب الشرعي، حدثَني ذو الوزارتين ، الكاتبُ البارعْ ، سليمان الزرهوني بذلك (134)، وقال لي ربما كنتُ أحد الشهود ، انتهى منه باختصار المعنى

---

133) ليْته لم يضربْ على ذلك صفحاً ، وذكر لنا شيئاً من أخبار مشاهيرهم على الأقل ، لأن عدد من ولد السلطان مولاي إسماعيل ـ على ما ذكر عددٌ من المؤرخين ـ يبلغ ألفاً نصفُهم ذكورٌ ونصفهم إناث

134) **سليمان بن عبد القادر الزرهوني** كاتب أديب ، كتب للسلطانين مولاي رشيد ومولاي إسماعيل ، وُصف بصاحب القلم الأعلا

تُوفي برُدانة (تارودانت) يوم السبت 13 جمادى الثانية عام 1098

تنظر أخباره **في التقاط الدرر** 2 :236 **والمنزع اللطيف** ص 117 ـ 150 ـ 151 ـ 233 ـ 234 ـ 337 **ونشر المثاني** 2 : 336 .

قال المؤلف سدده الله:

فهذا ما تيسر ذكرُه من مآثر مولانا إسماعيل وبقي علينا كثير تخطَّيْناه ، ولعل ذلك يفي بالغرض ، ويؤدي بعض الحق المفترض ، وإلا فلوْ ألَّفْتُ في مآثره أسفاراً ، لم أبلغْ منها عُشْر المعشار ، ولا ذكرتُ بعضا مما له بين الناس انتشار ، وكنتُ عزمتُ على أن يخرج مجلدا أومجلدين ، لولا أن الوزير حفظه الله رغب في اختصاره ، وأنا أقول مفاخر مولانا غنيةٌ بشهرتها بين الأنام عن الشرْح

وما مدح إسماعيل رمتُ بجمعها ولكنّني والله رمتُ بها مدحي

ويعلمُ الله وهو العالمُ بالنفوس ، أن أقوى باعث على ذلك ، وأعظم سبب لسلوك تلك المسالك ، إنما هو حب أهل البيت النبوي الذين أذهب اللهُ عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيراً ، فهو الغرض الحاملُ لي على اقتفاء ذلك المرام

واللهُ يغفرُ لنا ما أخطأنا وما تعمَدْنا ، وما أسررْنا وما أعلنا ، بجاه خاتم النبيئين ، وسيد الأولين والآخرين ، صلَّى اللهُ عليه وعلى آله وصحابته أجمعين وسلام على جميع الأنبياء والمرسلين ، وءاخر دعوانا أن الحمدُ لله رب العالمين

وكان الفراغُ منه كتابةً وتقييداً أواسط المحرم الحرام فاتح 1133 وكان الفراغُ من استخراجِه لمن رغِب فيه نفعه اللهُ به يوم الجمعة 24 المحرم الحرام فاتح عام 1146

وكان الفراغُ من هذه النسخة في 9 ربيع الأول عام 1251

وصلَّى اللهُ على سيِّدنا محمدٍ وآلِه وصحبه وسلَّم تسليماً ، ولاحوْل ولاقوة إلا باللّه العليِّ العظيم .



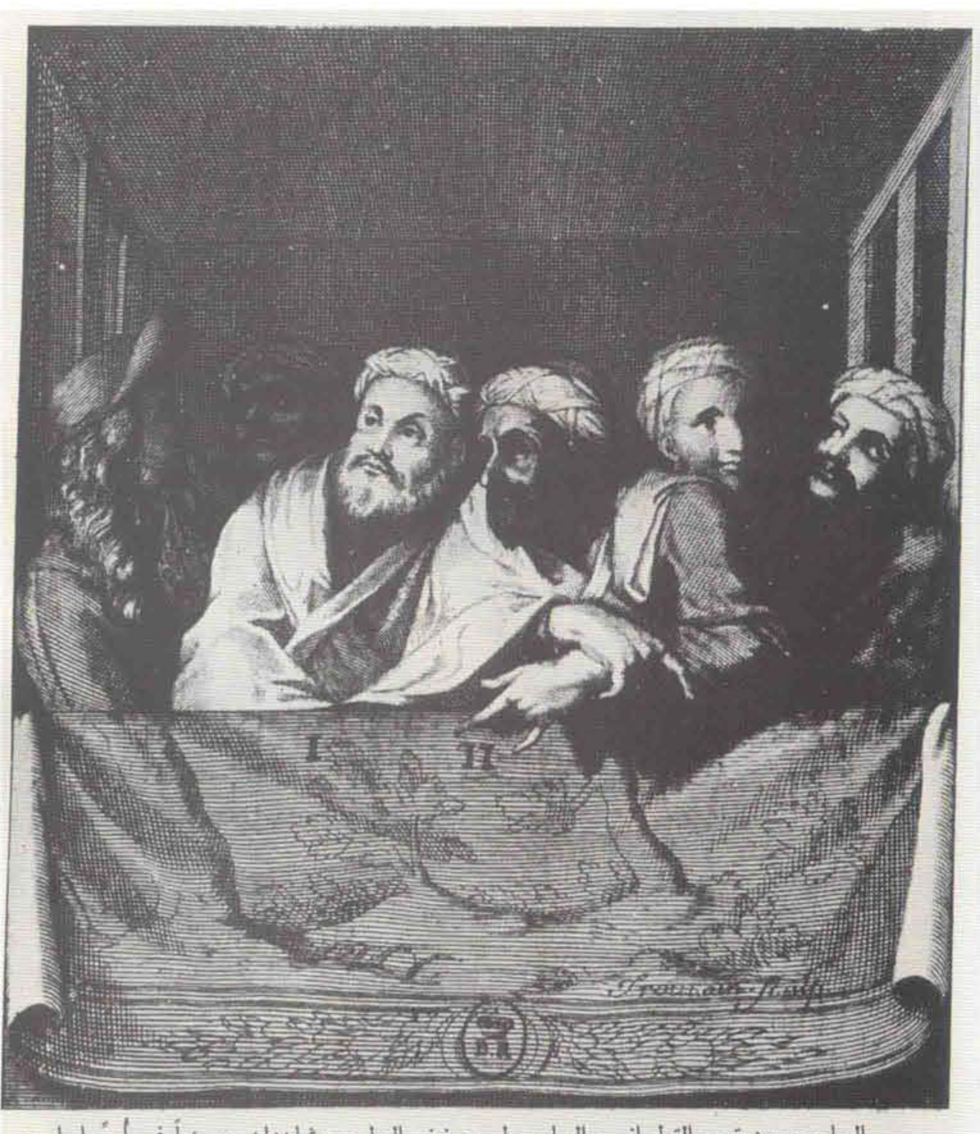
أحمد ابن حدو سفير السلطان مولاي اسماعيل

ص 89 - 1



السفير أحمد ابن حدو يمتطي جواداً ويحمل رمحاً خلال استعراض للفرسان جرى بلندن لما كان في مهمة سفارية بها

ص 89 - 2



الحاج محمد تميم التطواني والحاج علي معنينو السلوي يشاهدان عرضاً في أوبرا باريس
خلال وجودهما بها في اغراض ديبلوماسية

ص 89 ـ 3



محمد بن علي أبُـغلي سفير السلطان مولاي إسماعيل بلندن

ص 89 - 4

وثائق إسماعيلية

مُستخرجَةٌ من أرشيف مديرية الوثائق الملكية

أحببْنا - بمناسبة إعادة طبْع هذا الكتاب - أن نُلحق بما كتبه مؤلفه عشر وثائق مستخرجة من أرشيف مديرية الوثائق الملكية لتكون النظرة أعم والفكرةَ أشمل

وترجعُ هذه الوثائق كلُّها إلى العصر الإسماعيلي ، بعضُها محفوظٌ نصُّه الأصلي أو نسختُه الموثقة بمحافظ المديرية المذكورة ، وبعضُها مُصوَّرٌ لوثائق أصليةٍ محفوظة عند أُسرٍ مغربية أو محفوظة بأرشيفات دول أجنبية

وهي كلُّها تُعطي فكرة عما كان السلطانُ مولاي إسماعيل يفكرُ ويخوض فيه داخلياً وخارجياً ، كما تُبَيِّنُ الأسلوب الكتابي المتّبع في المكاتباتِ الصادرةِ عنه أو الواردةِ عليه من رعاياه أو من معاصريه من رؤساء الدول الأجنبية ، تلك المكاتباتُ التي لم تكنْ تخلو من أخطاءٍ وأغلاطٍ نحويةٍ ورسْمية ، واستعمال ألفاظٍ عاميةٍ محليةٍ أو أعجمية أجنبية اجتهدنا في تفسير بعضها وتركْنا تفسير البعض الآخَر لفطنة القارىء .

معاهدةُ صلح وتجارة

بين المغرب والولايات الهولاندية

(الطابع السلطاني الكبير بداخله)
(إسماعيل بن الشريف الحسني أيَّده الله)
(وبدائرته إنما يُريدُ اللهُ ليُذهب عنكم الرِّجْس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)

الحمد لله

تقْييدُ شروط تقع الهدنة عليها

بين الامام الفخر ، المقلد بسيف العز والنصر ، السلطان الافخم ، ملك العرب والعجم ، مولانا أمير المومنين ، وحامل راية المسلمين ،المجاهد في سبيل رب العالمين ، ذي المجد الأثيل ، والحسب الأصيل ، أبُو الفداء مولانا اسماعيل ، أيَّده الله تعالى بالنصر والتمكين ، وأبقى الخلافة فيه وفي عَقِبِه الى يوم الدين

وبين عظماء الإصطادوس البلاد الافلمنكية البْرنْسِب دُرَنْجْ (1)

---

1) أيْ حكام الولايات الهولاندية ، وكلمةُ الإستادوس ESTADOS كلمةٌ إسبانيةٌ معناها الدولُ أو الولايات ، والمرادُ هنا الولايات ، وقد كانتْ هولاندة تُحْكَمُ وفق هذا النظام خلال القرنيْن السادس عشر والسابع عشر الميلاديين أثناء الغزو الاسباني وخلال انقسام شعبها إلى أنصار للمذهب البروتستاني وأشياع للمذهب الكاثوليكي ، وكان الحاكمُ الاقليمي لكلّ ولاية يُلقّبُ بـ Stathouder أما الفلمنكُية Flamend فتعني الناطقين بلغة منطقة الفلاندر القاطر جزء منهم في أقصى الشمال الشرقي لفرنسا ، وجزء ءاخر في بلجيكا وأكثرُهم في هولاندة الحالية ، وكلمةُ البرنسيب درنج Prince d'Orange كان لقباً في ذلك الوقت لعدد من حكام الولايات أو الحكام الإقليميين ، واشتهر منهم بهذا اللقب أربعة : كيوم دورانج (1533 ـ 1584) ، (Guillaume Ier d'Orange, le Taciturne) وموريس دي ناسو (1567ـ1625) ، (Maurice de Nassau, prince d'Orange) وفريديريك هنري(1584 1647) ، (Frédéric-Henri, prince d'Orange-Nassau) وكَيوم الثاني (1626 ـ 1650) ، (Guillaume II d'Orange) وينتمي البيتُ الملكي في هولاندة الآن إلى ءال اورانج .

الشرط الاول من يوم يقعُ الاتفاق ويصدرُ الأمرُ من مولانا السلطان نصره الله في إبرام الصلح يكون بينه وبينَنا صلحاً تامّاً ، وسلماً صحيحاً شاملا عامًا ، واماناً يامنُ به من كلا الجهتين جميع المتسببين (2) وتسكن به روعةُ الخائفين

الشرط الثاني إنَّ جميع مراكب الاصطادوس ومراكب من انضاف اليهم وكان تحت طاعتهم من نصارى أو يهود بالافلمنك يدخلون من حيثُ شاءوا من مراسي طاعة مولانا السلطان نصره الله يُقيمون بها مدة ما شاءوا ويرتحلون متى شاءوا ويبيعون ويشترون تحت طاعة مولانا السلطان نصره الله وفي ذمته ، ويعطُون لازم سلعتهم الذي جرت به العادة قديماً داخلاً وخارجاً ولا يطالبون بغير ذلك

والسلعةُ إذا كانت في المركب ولم تهبطْ منه لكسادها او لعدم الغبطة فيها وأراد ربُّها ردَّها لبلاده فله ذلك ولا يلزمه فيها شيء ، وان كان أحدُ ... متأهل ببلاد المسلمين وأراد الرحلة الى بلاده فانه يرتحلُ مع ماله وولده وأمتعته وما احتوى عليه منزله من قليل او كثير ، ولا يُتَعرَّضُ له بسوء ، وسلع كنطربانض كاللوح وناز القلوع والحبال والأعواد وجميع ءالة البحر وكذلك ءالة الحرب كالبارود وملحه والمكاحل والسيوف فلا عُشور على متسبب الافلمنك في ذلك كله حيث حلوا من مراسي مولانا أيَّده الله وعمرهم

الشرط الثالث إذا التقى مراكب مولانا أيَّده الله تعالى أو مراكب اهل طاعته ورعيته ومن كان تحت علمِه المنصور بالله مع مراكب الاصطادوس ومن انضاف اليهم من تجار النصارى واليهود في البحر فلا يتعرض أحدٌ منهم لأحد بسوء ، ولا يقابلُ أحدٌ أحداً بمكروه من تفتيش سلعة أو تعطيل مركب ، وإن كان في احد مراكب الجهتين راكبٌ من غير جنسيْهما فهو على عُهدة اهل المركب الذي هو فيه ءامن على نفسه وجميع امتعته فلا يُتَعرَّضُ له

---

2) **المتسبب** كلمة عامية مغربية تعني الشخص الذي يبيع ويشتري بالتقسيط ، وما زال التجارُ من هذا النوع يُدْعوْن **السبايبية** .

الشرط الرابع إذا التقى أحدٌ من مراكب مولانا أيده الله او مركب رعيته مع مركب الافلمنك وأراد المساءلة والمكالمة يركب رجلان في القارب ويسألان ، فاذا استظهر لهما رئيسُ المركب باصابرط فلا مزيد عليه ، وان أراد الرجلان اللذان في القارب الطلوع للمركب فلا يطلعُ غيرهُما ، وإن استظهر رئيس المركب الافلمنك بورقة فيها خطُ القنصال المعين لذلك فلا يزيد أيضاً يذهبُ كل واحد إلى حيث شاء

الشرط الخامس إذا التقى مركب مولانا نصره الله مع مراكب الاصطادوس ومن انضاف إليْهم ووجد في المراكب راكبٌ منهم او من غيرهم فلا ينتزع الراكبُ من المركب الذي هو فيه ويحملُ في غيره كائن من كان

الشرط السادس إذا اضطرَّ مركبٌ من مراكب الاصطادوس او تجار من انضاف إليهم وحرث المركب في أية من مراسي مولانا كانتْ فهو على أمنه في البحر ، وعلى صاحب تلك المراسي الوقوفُ مع أهل المركب المحرث حتى يجمع سلعتَه ويضمَّ أمتعتَه بحيث لا يترك للفساد ولا يدعوه لغير أهل البلاد...

الشرط السابع إذا خرج مركب من مراكب مولانا نصره اللهُ أو من مراكب أهل طاعته من مرسى غير طاعته قرصانا والتقى بمركب للافلمنك وقد نشأ الحرب والقتال مع عدوه يكون له لا عليه

الشرط الثامن لا يعرض مركب من مراكب مولانا الجهادية بقرب البلاد الافلمنكية ولا يتعرض لمراسيها

الشرط التاسع إذا أخذَ قرصان من غير أهل طاعة مولانا نصره الله مركب للافلمنك ودخل في مرسى من مراسي مولانا ايده الله فلا يتركُه صاحبُ المرسى ان يبيع شيئاً من ذلك المغنم ولا ينزله بتلك المرسى

الشرط العاشر إذا دخل مرسى مولانا نصره الله مركب الاصطادوس ... للنصارى من أهل حربهم يبيعونه كيف شاء وبما شاء ولا

يتعرض لهم بما يسوءهم ، ولا يطالبون بمطالب البازركان (3) كالمخطاف ونحوه من عوائد التجار ، وإن احتاجوا لما يقوم بهم في سفرهم زاد وما يشترونه بسوم الوقت

الشرط الحادي عشر إذا ارسى خارج العسة قرصان الاصطادوس يعلم رئيسُه او قنصاله صاحب تلك المرسة او يعلم من له أسير نصراني يحضيه ، فاذا فرَّ أسيرٌ او شك في فراره فلا يتبعُ به قنصال ولا غيره من تجار الافلمَنْك القاطنين بالبلاد إلا إذا تقوت التهمة وأنف رئيس المركب فإن قنصال البلاد يبعث إلى ديوان الاصطادوس ويخبرهم بالامر من أصله بحيث لا يضيع لصاحب الأسير الفارِّ شيئاً

الشرط الثاني عشر من يوم ابرام الصلح لا يوسر يهودي ولا نصراني من رعية الاصطادوس الافلمنك في جميع طاعة مولانا السلطان نصره الله ، ولا يُكلَّفُ الاصطادوس بفداء أسرى الافلمنك المأسورون قبل الهدنة ، وان كان الأسيرُ في جانب المخزن فلا يكلف الاصطادوس بفدائه الا اذا أراد الاصطادوس ذلك يعين من يثقُ به من أصحابه بفداء أساراهم وما فُدي على يد هذا المعين يرفق بهم في الخارج ويخفف عنهم في اللازم ، وما فدي على يد غيرهم فالازم جرت به العادة قديماً ، وأصحابُ الاصطادوس الذي يعين لقضاء مآربه تحت طاعة مولانا السلطان نصره الله يكون له من التوقير والاحترام ما يكون لأصحاب غيرهم من الاجناس المتعاهدين

الشرط الثالث عشر إن مات أحدٌ من تجار الافلمنك يهودي او نصراني في بلاد مولانا نصره الله وتحت طاعته وللميِّتِ مال فان ترك ورثةً فمالُه لورثته ، وان اوصى فالنظرُ في ذلك للوصي ، و إلا فالنظر لقنصال الوقت مع أحد من جماعة الافلمنك يُحضران عدْلين يقيدان قليل المتروك وجليلَه ويوضع في يد رجل منهم حتى ياتيَ من يستحقه بالموجب ، ولا نظر في ذلك لأحد سوى من ذكر

---

3) **البازركان** كلمة تركية تُطلقُ على السفينة التجارية ، وعكسُها القرصان التي تطلقُ على السفينة أو الاسطول الحربي .

الشرط الرابع عشر : تجار الافلمنك يهود أو نصارى لا يجبرون على سلعة لا تليق بهم ، ولا يكلف عليهم من السلوع الا بالسوم الأرفق ، ولا يجبر رئيس مركب منهم على سفر لا يليقُ به إلا عن طيب نفسه ورضى منه ، ولا يوخذُ بدَيْن تجار قنصال كان أم تاجر إلا أن يكونَ هنالك ضمان او ما يجب شرعاً فالحق يتبع

الشرط الخامس عشر :ان وقعت منازعة بين تجار يهود الافلمنك او نصاراهم وبين غيرهم فانهم يترافعون الى الاحكام الشرعية عن اذن مولانا السلطان نصره الله ، وان كانت المنازعة فيما بينهم يترافعون الى قنصال الوقت يحكم بينهم بما جرت به العادةُ في أحكامهم

الشرط السادس عشر اذا استطال احدُ تجار الافلمنك على مسلم بكلام يسوءه او ضرب يضره فانه يحكم فيه بما يحكم في المسلم في تلك الجناية او لو جناها على تاجر وكذلك العكس

الشرط السابع عشر قنصال الاصطادوس الذي يكون على أيديهم في بلاد المسلمين تكون داره موقرة لا يخدمه بها ولا يسمسر عليه فيها الا من يختاره لنفسه ، ويكون على عادته في دينه ، وإن أراد الخروج الى الفحص بقصد النزاهة او الاستراحة يخرج متى شاء مع من شاء ولا يمنع من ذلك ، وان أرسى خارج العتبة مركب لهم وأراد قنصال الوقت الخروج اليه فلا يُردُّ عن ذلك

الشرط الثامن عشر ان وقع أمر أو حدث حدثٌ يُفسدُ الصلحُ من أجله فإن تجار الافلمنك وقنصالهم على عهدهم وأمانهم لا يخفرُ عهدهم ، وان أرادوا الرحلة الى بلادهم يرحلون بأموالهم وأولادهم ولا تعرض لهم أحد

الشرط التاسع عشر ان ركب راكب فلمنك في مركب لا عهد له مع مولانا نصره الله فالراكب الافلمنكي على عهده يُوفَّى له به وكذلك العكس .

الشرط الموفي العشرين وحين يبرم هذا الصلح على الشروط المقيَّدة ويُوافقُ عليها مولانا السلطانُ نصره الله تُرْفعُ المظالم وتنبذ التباري وتزول الاغيار ويكون صلحاً قائماً على الدوام وعهدا مستديم على مر الأيام ، من كلا الوجهين ، وإن أخذ مركب ولا علمَ له باتمام هذا الصلح وانبرامه من كلا الوجهين فان المركب المأخوذ يرد من حيث كان وبيد من كان

الشرط الحادي والعشرون ان وقعتْ فلتةٌ أو زلَّةٌ من احد رعية الجانبين المعاهدين فان موقعها يعزر ويؤدبُ ويُزجرُ ، ولا تكون ذلك فسخ في الصلح ولا نقضٌ في العهد ، لان هذه الشروط التي ينعقد الصلح عليها ويتمُّ بها هي موافقتنا عن إذننا ورأينا وبعلم كافَّة رعيتنا ، وعقدناها عن طيب أنفسنا ورِضينا بها وقبلناها على حسن مرادنا ، وأنزلنا عليها طابعنا المعروف لنا

«فالشروط المذكورة أعلاه رأيناها ، ولكن لا نبرمُها ونكمل فيها حتى تصلنا الهديةُ التي تكلمنا بها مع القنص والتجار ، فحين حلول ذلك فحينئذ تكملُ المهادنةُ وتنبرم ، والسلام» (4)

وكُتب في الثالث عشر من ذي الحجة الحرام ثلاثة وتسعين وألف

---

4) هذه الفقرةُ مثبتةٌ في أحد النصين اللذين اعتمدناهما ساقطة في الآخر .

بسم الله الرحمن الرحيم

صورة طبق الأصل للاتفاقية المغربية الهولاندية 13 من ذي الحجة 1093 - 13 دجنبر 1682 بين أمير المؤمنين مولانا إسماعيل وبين رؤساء ولايات البلاد الفلامنكية (هولاندا) ، بموافقتنا وعن إذننا ورأينا وبعلم كافة رعيتنا.. ،

Fac similé du traité maroco-hollandais du 13 Dou al Hija 1093
13 décembre 1682 conclu par le Prince des Croyants Moulay Ismaël
et les dirigeants des Provinces Unies

رسالة من السلطان مولاي إسْماعيل
إلى لويسْ الرابع عشر ملك فرنسا

بسم الله الرحمن الرحيم

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

من عبد الله تعالى الامام المظفر بالله ، أمير المومنين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ، الشريف الحسني أيده الله ونصره آمين

(الطابع السلطاني بداخله)

(إسماعيل بن الشريف الحسني أيَّده الله)

(وبدائرته اليُمنُ والاقبال ، وبلوغ الآمال)

إلى عظيم الروم بفرانصيص   الويس الرابع عشر من هذا الاسم (1)

السلامُ على من اتبع الهدى ، وباعد طريقِ الغي والردى

أما بعد ، فاعلم أن الذي ظهر لنا أنك ليس عندك قول صحيح ، ولا كلام رجيح ، ولا أظنك إلا غلب عليك أهل ديوانك ، وصاروا يلعبون بك

---

1) **لويس الرابع عشر**، أشهر وأكبر ملوك فرنسا ، ولد سنة 1638 م ، ولما توفي والده لويس الثالث عشر لم يكن عمرْه يتجاوز خمسة أعوام ، فحضنته أُمه أنا الأوستريةِ التي نصبت وصية على عرش فرنسا إلى أن بلغ سن الرشد وصار يباشر من سنة 1661 أمور مملكته بنفسه بعد موت مازاران الذي كان يُساعد أمّه في الحكم ، وقد توطّدت السلطةُ في عهده وعرفت فرنسا في أيامه إصلاحات كثيرة وحققت تقدماً كبيرا

تُوُفي سنة 1715 م .

كيف شاءوا ، ولا بقي لك معهم ضرب ولا لقب ، ودليلُ ذلك أننا ما زلنا ما قبضنا منك صحة قول ولا أبرمت معنا شيئاً ، ففلامنك (2) الذين ليس لهم رئيس وما عندهم إلا الديوان ، تكلموا معنا كلمة وقبضناها عليهم وثبتوا فيها ووفَّوْا بها ، والانجليزُ تكلموا معنا كلمة وقبضناها عليهم ووفوْا بها ، فحين ذهب خديمنا (3) لبلادهم لما أن طلبوا منا ذلك فرحوا به وأكرموه وبروا به ، وأتى من عندهم بعشر مئة مكحلة وستة عشر مئة قنطار من البارود ومئة وسبعة من المسلمين أطلقوهم من الأسْر لوجوهنا ، وعمِلوا من الخير ما عمِلوا مُراعاةً لنا ، وثبتوا في قولهم ، ووفوْا بكلامهم ، وأنت لا زال لم يصح منك قول ولا وفاء ، وأولائك الذين كانوا قدموا إليك من هذه البلاد ليس هم من خدامنا ولا من أصحابنا ولا ممَّن له معرفةٌ معنا (4) ، فالحاج علي معنينو حيث أسِر له ولده لاذ بالبعض من خدامنا واستحرم به، وقدم إليكم على شأن أولائك المسلمين ، وجازَ على دار السباع ودار النعام، وأتى إليكم بما أتى ولا شعرنا به ولا عرفناه كم أخذ ، وقلنا إنه إن وصلكم ولا بدَّ تعملون له غرضه في أولائك المسلمين وتسرحونهم ، فاذا به هو تحيل

---

2) تقدم شرحُ الكلمة في ص 91 وهو يعني سكان هولاندة

3) هو القائد أحمد بن حدّو الريفي

4) لا تعرفُ الأشخاص الذين ذهبوا إلى فرنسا والذينَ ليْسوا من خُدّام السلطان مولاي إسماعيل ، نعمْ ذهب قبل كتابة هذه الرسالة بثلاث سنوات الحاج مُحمد تميم التطواني (الاول) سفيراً إلى فرنسا ، واستُقْبِل فيها بحفاوة ، وزار كثيراً من مؤسساتها كالمكتبات والمطابع والمسارح والمدارس ، واستضافه ملكُها لويس الرابع عشر ، وعقدَ خلالَ وجوده بها معاهدةً وقَّعها نيابةً عن المغرب يوم 29 يناير سنة 1682 م ـ 20 محرم 1093 هـ ، فهو بهذه الأعمال ليس من الأقوام الذين ليْسوا من خُدام السلطان ولامن أصحابِه ولا ممن ليستْ له معرفةٌ بهم ، وقد ألّف الحاج محمد تميم هذا عن هذه الرحلة كتاباً سمَّاه **كتاب العجائب** وصف فيه ما رءاه بفرنسا

ينظر عنْه مع ملخص لرحلته **تاريخ تطوان 1** : 261 .

على ولده الى أن جاءَ به ، وأنتم ما عمِلتم صواباً في غيره ، ولا صدر منكم ما تُراعوْن لأجلـه

ثم بعد ذلك قدم لعلي مقامنا صاحبكم انبسدور (5) وأتانا بشيء من الخرق مع فالصو (6) الحرير ، وهل نحن ممن يعجبه ذلك ويسره؟ فنحنُ معشر العرب لا نعرف إلا الصحيح ، ولا يسرُّنا إلا ما فيه مصلحةُ المسلمين كلهم ، ومع ذلك أعطينا لصاحبك عشرين نصرانياً سيفطناه (7) بها ، وظننا أنك ولا بُدَّ تُراعي الخير وتبعث لنا ولو عشرين مسلماً تجبرُ بها خواطرنا، وتكون هي الطريق للكلام الذي تريده منا ، فاذا بك ما عمِلتَ شيئاً من هذا، ولا جازيتَ بإحسان

وثانيا قبضنا لِك سفينة قبل أن يقع الكلام بيننا وبينك بثلاثة أيام أو أربعة على التحقيق ، وهي موسوقة بالسُّكَّر وتَبَغَة (8) وثقفناها نحواً من ثلاث سنين بقصدك ، ولا تركنا أحداً يمد يده فيها ، وقلنا إنك تراعي خيرنا، وتعملُ لأولائك المسلمين طريقاً وتسرحُهم ، وان كانَ ليس فيهم من هو خديمنا ولا من هو محسوب من جيشنا ولا منْ هو معرفتنا ، فما هو إلا مِمَّن لا خَلاقَ له ، ولا يركبُ البحر عندنا إلا أهل التمرييل (9) ولو أطلقتهم وان كانوا ليسوا بشيء فتكونُ عملتَ الخير بذلك ، وتقول إنك عملت مسألة تراعى عليها

---

5) **انبسدور** كلمة عجمية معناها السفير ، والسفيرُ الفرنسي المشار إليه في هذه الرسالة هو السيد دى سان أمانس

6) **فالصو** في منطق عوامّ المغرب الرديُّ من المتاع وغيره ، والكلمة إسبانية على ما يظهر

7) **سافط وسيفط** معناها أرسل في منطق عوام المغرب

8) **تبغة** Tabac التبغ ، الدخان

9) **التمرييل** كلمة عامية لم يبقى لها وجود ، معناها الفوضى ، وأهل **التمرييل** السيابُ وقطاعُ الطرق الذين لا يرعَوْن عهدا .

وأعظمُ من ذلك كلّه هو أن رئيساً من بلادنا اسمُه التاج (10) كانَ أعطاه صاحبك الذي أتانا خطَّ يده ، على أنه يشتري سفينةً من الجزائر يسافر بها قرصان وما عليه فيمن لقيه من فرانصيص ، فلما أن اشتراها وسافر بها وغنم قطارمة (11) موسوقة بالرخام والريال مع ما فيها من الحرير وغيره وبعثنا مع أصحابه ستة وعشرين مسلماً ، وتعرضوا لها سفنكم وأخذوها وثقّفْتها أنت أياماً ثم بعد ذلك مزقتها ، والمسلمون الذين كانوا معها خدَّمتهم في الغراب (12) فلما ذا لم تردها أو تثقفها ثلاثَ سنين كما ثقفنا نحن سفينتكم ؟ وهل هذه هي صحة القول ؟ فهاذا مما يدل على عدم صحة كلامك، ومما يثبت الاخلال بقولك وقلة وفائك ، فحتى الآن فالذي ظهر لنا أنه ما يليق بنا معك إلا الشر، وإن أردت تثبيت المهادنة وإبرام الكلام فيها وإمضاء حجتها ، فابعث لنا من عندك قونصو بالتفويض على هذا الأمر ويجلسُ هنا في أحد مراسينا ، ويكونُ كلامُنا معه في هذا كله ، ونبرمُ معه هذا الأمر، ويكونُ من أهل الحلّ والربط عندكم ، وإلا فان ظهر لكم خلافُ ذلك فأعلمنا وعرفنا بما عليه عملك وما أضمرتْه طويتُك ، والسلام على من اتبع الهدى

وفي التاسع من شعبان المبارك سنة خمس وتسعين وألف (13)

---

10) اسمُه الكاملُ محمد التاج ، وكان من الرؤساء البحريين بتطوان

11) **قطارمة** لم نتمكن من معرفة هذه الكلمة التي ترد كثيراً في الوثائق المغربية ، والظاهرُ أنها نوعٌ من السفن

12) **الغراب** نوع من السفن ، والمعني أن الفرنسيين استعملوا الأسرى المسلمين في التجذيف .

13) الثلاثاء 8 يوليوز سنة 1684 م .



رسالة السلطان مولاي اسماعيل إلى لويز الرابع عشر
بتاريخ 9 شعبان 1095 = يوليه 1684

رسالة من السلطان مولاي إسماعيل
إلى دون كارلوس الثاني ملك إسبانيا

بسم الله الرحمن الرحيم

ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم

من عبد الله ، إسماعيل المتوكل على الله ، المفوض أموره الى الله، أمير المومنين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ، الشريف الحسني ، أيده الله آمين

(الطابع السلطاني بداخله)

(إسماعيل بن الشريف الحسني أيده الله ونصره)

(وبدائرته : إنما يريدُ اللهُ ليذهب عنكم الرجس أهلَ البيت ويطهرَكم تطهيراً)

إلى عظيم الروم وملك أقاليم اسبانيا وبلاد الهند والمتولي أمورها والمتصرف في أقطارها ، دون كارلوس (1) ، السلام على من اتبع الهدى

اما بعد فقد بلغنا كتابُكم صحبةَ خديمكم دون منويل بيردلون ، وخديمكم دون ابيل مسيح ، وهو الكتاب الذي وجهتم لنا جواباً عن كتابنا الذي أصدرناه إليكم ووصلكم صحبة الفرايلي قبل هذا ، وبعدَ أن قرأناه ، وفهمنا لفظه ومعناه ، وألقى إلينا خديمكم دون ابيل مسيح ما في خاطركم ، وما طلبتموه

---

1) **كارلوس الثاني** بن فيليب الرابع ملك إسبَانيا ، ولد سنة 1661 م وتولَّى ملك إسبانيا وصقلية سنة 1665 وتوفي سنة 1700 تاركاً بلده في خلل وفوضى نشأ عنها حرب الوراثة في إسبانيا .

منا من فكٍّ هذه المئة من النصارى الذين وقع الكلام قبل هذا ، رددنا إليكم جواب كتابكم ، ووجهناه مع خديم دارنا العلية بالله كاتبنا ومتولي الخط الأقرب من بساطنا ، السيد محمد بن عبد الوهاب الوزير ، ولولا مزيتكم عندنا ومعرفتنا بمنصبكم ما سمحنا بفراق كاتبنا عن بساطنا لمهمات أمورنا ، واذنا لخديمنا الأكبر الأعز الأشهر أبي الحسن القائد علي بن عبد الله أن يبعث معه رجلا من أصحابه ، فوجه خديمنا عبد السلام بن أحمد جسوس معاشرا له ومرافقا ، وعند الكاتب المذكور قضية دخول جند الاسلام المظفر بالله على نصارى العرائش ، وفي علمه وعلى باله ما كان في ذلك من الكلام والأسباب وكيفية الخبر في ذلك ، فثقوا به وتعرفوا منه فانه حفظه ووعاه من أوله الى آخره لملازمته لبساطنا العلي بالله في سائر أوقاته

ونحن بلا شكٍّ كنا أعطينا القولَ لهذه المئة من النصارى بالسراح، ولاكن وقع من النصارى ما اختلَّ به منهم من الأسباب ما يوجب عدم الوفاء لهم بذلك ، فمنهم من كان ينادي بلفظ مينا على رؤوسهم ، ومنهم من لم يرض بخروجهم على ذلك لذلك القول ، وكاد يفتك بمن دخل إليهم من خدامنا الذين أوفدناهم عليهم ، وبعضهم ركب لجج البحر فاراً بنفسه حتى أدرك وقُتِل على الموج ، وحاجَّنا مع هذا كله كبارُ ملتنا وعلماءُ شريعتنا وأئمةُ ديننا بأن قالوا لنا إن المسلمين كانوا أشرفوا على الغنيمة ساعتئذٍ ووقع الغلبُ والظفرُ ولم يبق للنصارى إلا الموت بالسيف أو بالغرق ، فلا وجه لسراحهم في الشريعة رأسا ، وكنا في أثناء هذه المدة كلها نترادُّ الكلامَ مع هؤلاء العلماء حفظهم الله ، وقالوا لنا : هؤلاء المئة يكونون أسارى ويسترقون من كل وجه ، كيف وقد أخذوا العرائش من أول وهلة بلا موجب ، بل أضغطوا الشيخ (2) ابن السلطان الذهبي وقبضوا عليه حتى أنفقوا عليه أموالا عديدة وأمسكوا أولاده

---

2) هو **محمد الشيخ** الملقب بالمامون بن السلطان احمد المنصور السعدي ، كان أخبث أولاد أبيه وأقبحهم سيرة ، وهو الذي سلم مدينة العرائش الساحلية للاسبانيين يوم 4 رمضان عام 1019 هـ فكان ذلك سبب انتقام الجبليين منه وقتلهم إياه بفحص طنجة يوم 5 رجب عام 1022 هـ فحمل إلى فاس الجديد فأقبر به .

بسببها حتى أعطاهم العرائش على ضغط منه وعلى غير تاويل حقيقي في ذلك ، وذكرونا في مسألة غدر أسلافكم بأهل غرناطة وغيرهم بما يزيد على الأربعين ألفاً بعد تعدد الشروط على ستين شرطاً ، ولم يوفوا لهم بواحد منها إلى غير ذلك من الغدر والمكر بأهل غرناطة وغيرهم من أهل الأندلس في كل بلد وقرية بعد بلد وقرية ، فألفيناهم ما تكلموا إلا بالحق ، وبقينا في حيرة من أجل هذه المسألة من وجهين الأول لا نقدر نخالف شريعتنا التي هي أساس ديننا ، والوجهُ الثاني ذلك القول الذي سمعه في تلك المئة أحببنا الوفاء به وأنفت نفوسنا أن يسمع عنا الناس قلنا كلمة ولا نوفي بها ، ولولا معارضة العلماء لنا بهذا الاحتجاج القوي لكنا سرحنا هذه المئة مع الفرائلي وأصحابه الذين أتوكم قبل هذا مسرحين ، فلأجل هذا أبصرنا كلام علمائنا في هذه النازلة لا بُدَ منه ولا محيدَ عنه ، وأحببنا أن تسمع الناس أنا وفينا في قولنا ولم يلزم فيه حرج ولا معارضة ولا كثرة اعتراض ، ولم يلزم فيه من حجة الشرع إثم ، فاردناكم تعملون لنا وجه خلاص هذه المئة بالوجه الذي عملناه لكم ، وأعطيناكم فسحة فيه ، وإلا فالمئة المذكورة أرقاء أسارى من جملة اخوانهم ، وذلك أن تعطونا في الخمسين نصرانياً من هذه المئة خمسة آلاف كتاب ، مئة كتاب عن كل نصراني ، من كتب الاسلام الصحيحة المختارة المثقفة في خزائنهم باشبيلية وقرطبة وغرناطة وما والاهم من المدن والقرى حسبما يختارها خديمنا المذكور من المصاحف وغيرها ، وتعطون خمسمئة أسير من المسلمين في الخمسين الأخرى عشرة أسارى لكل نصراني ، وان لم توجد الكتب التي هي مرادنا فاجعلوا عوضَها من أسارى المسلمين وأعطوهم لنا من الأسارى الذين في الأغربة (3) وغيرهم ، وقبلنا منكم في العدد المذكور الرجل والمرأة والصبي الصغير أو الكبير والشيخ المسن من إيالتنا وغيرها إذ ما لنا قصد إلا في الأجر والثواب في فكاك أسرى المسلمين كيفما كانوا ، ومن أي بلاد كانوا ، وإلا فالاعتناء الكلي إنما يكون

---

3) ج غراب نوع السفن ، وما زالت الكلمة مستعملة على قلة من المدن والقرى الساحلية بشمال المغرب .

بأهل الدواوين من الجند أو العلماء حملة الشريعة وعامة المسلمين إنما نقصدُ بفكاكهم وجهَ الله تعالى ، فإن أنتم سارعتم لهذه المسألة فما عملتم إلا الخير في أرواحكم وفي إخوانكم ، وإن ثقل عليكم هذا الأمر ولم تقدروا عليه فأرجعوا خديمَنا الكاتب الذي وجهناه إليكم في أمان الله كما أتاكم ، والمئة من النصارى نُصيرهم من جملة الأسارى اخوانهم يخدمون مثلهم ، وإذا نحن أبصرنا منكم المسارعة لأغراضنا والجد في ابتغاء مرضاتنا وأنجزتم بأرواحكم في هذه المسألة فلا ترون منا إلا ما يُعجبُكم ، وحتى باقي نصاراكم الذين هم عندنا من أصحاب العرائش وغيرها من غير هذه المئة نعمل لكم الكلام في سراحهم بما يرضينا فيهم عندكم إن عملتم الواجب الذي لنا عليكم، وتعرفتُم الصواب الذي تعينَ عليكم كما ذكرتم في كتابكم ، وبرجوع خديمنا حامله بما ذكرناه في هذه المسألة ، تتلقاه هذه المئة نصراني لسبتة ويكون ملتقى الجميع فيها ، ولا عندنا معكم في هذا إلا الجد الصحيح ، والعملُ الصريح ، بحول الله تعالى

وكتب لسادس عشر ذي الحجة الحرام خاتم عام واحد ومئة وألف .

بسم الله الرحمن الرحيم ... ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم



رسالة من السلطان مولاي إسماعيل

الى القاضي السيد أحمد بن الحاج السلمي

الحمدُ لله وحده وصلَّى اللهُ على سيدنا محمد وآله وصحْبِه

(الطابع السلطاني)

إلى الفقيه العلامة الصدر الفهامة المدرس البركة الحجة القاضي الأعدل ، مُحبنا أبي البركات السيد أحمد ابن الحاج (1) حفظه اللهُ ورعاه ، ونفعنا به وبمحبته ءامين

سلامٌ عليك ورحمةُ الله تعالى وبركاته

بحول الله إلا الخير والعافية ، ونعم الله السابغة الصافية ، نحمدُه تعالى ونشكُره ونستزيدُه من خزائن نعمائه الوافية

---

1) **أحمد بن محمد بن أحمد بن العربي ابن الحاج السُلمي** . فقيه شهير من أهل فاس . ولد بها عام 1094 هـ وأخذ عن أبيه وجده ، وعن محمد بن عبد القادر الفاسي والعربي بردلة ومحمد ابن زكري ، ومحمد الكماد القسنطيني ، وغيرهم ، وكان بارعا في الأدب والفقه والحساب ، وله قصائد في مدح الرسول عليه السلام ، ولاه السلطان مولاي إسماعيل قضاء فاس الجديد وجميع وظائف أبيه وجده به ، فحمدت سيرتُه في كل ذلك

توفي بفاس صغير السن صباح يوم السبت 18 ربيع الثاني عام 1133

ينظرْ عنه **التقاط الدرر** 2 321 و**أعلام المغرب العربي** ج 6 و**الحركة الأدبية في المغرب على عهد مولاي إسماعيل** (أطروحة مرقونة) ص 237 و 1322 و **نشر المثاني** 3 251 و**سلوة الأنفاس** 1 : 156 الخ .

أما بعد فإنَّه ورد على أبوابنا العالية بالله الرجلُ الصالح السيد أحمد بن ناصر (2) بقصد الزيارة وحين التقَيْنا معه طلبنا منه بذل النصيحة والدلالة على رجل من أهل الظاهر وسر الباطن نستعين به في أمر ديننا ودنيانا وما نحن بصدده من أمور الخلافة وأكدتُ عليه في ذلك ، فحين فهِم الجدَّ منا والرغبة في ذلك دلَّنا عليك ، وقال لنا فيما يرويه عن والده أخبرني والدي سيدى محمد بن ناصر رحمه الله ، أن العارف بالله الفقيه الشيخَ أحمد ابن الحاج القاطنَ بفاس رجلٌ من بيت كبير علما وصلاحا وزهداً ، رجلٌ من أهل سرِّ الباطن ، مُتبحِّرٌ في العلوم الدينية واللدنية الوالي يتولى خطة القضاء أواخر عمره ، نجل الإمام الولي العارف الرباني ، صاحب الكرامات ، أبي إسحاق ، إبراهيم ، بن الحاج البلفيقي السُّلَمي دفين مراكش (3) ، ينتمي نسبه إلى العباس بن

---

2) **أحمد بن محمد ابن ناصر الدرعي الأغلاني** أحد مشاهير علماء المغرب وصلحانه في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين ، ولد منتصف ليلة الخميس 18 رمضان عام 1057 واخذ عن والده العربية والتفسير والحديث وأصول الدين ، وعن عبد الله العياشي ومحمد بن أبي الفتوح التلمساني وغيرهم ، وتجوّل بالمغرب فأخذ عن الناس وأخذوا عنه ، كما لقي عددا كبيرا من علماء المشرق خلال حجاته الاربع ، وخلف والده الشيخ محمد بن ناصر لما مات بوصية منه في حياته ، ومن أشهر مؤلفاته **الرحلة الناصرية** وهي من الكتب المفيدة ، وألّف غيره في مناقبه

توفي مساء ليلة الجمعة 19 ربيع الثاني عام 1029 هـ

ينظر عنه **الأعلام** للزركلي 1 241 **والإعلام ، بمن حلّ مراكش وأغمات من الاعلام** 2 : 357 ع 254 **وأعلام المغرب العربي** ج 6 **والدرر المرصعة** (مخطوطة مصورة) ص 53 **ونشر المثاني** 2 196 **وسلوة الأنفاس** 1 264

3) **إبراهيم بن محمد ابن الحاج البلفيقي** ، صوفي أندلسي من أهل مدينة بلفيق ، ولد بها عام 557 هـ ولما ترعرع انتقل إلى المرية فأخذ بها علوم العربية والحديث والقراءات ، ومن أشهر شيوخه عبد المنعم ابن الفرس واحمد ابن عات ومحمد ابن أبي زمنين ، وشي به إلى الخليفة يوسف المستنصر الموحدي فصدر أمره بنفيه الى مراكش ، فجاءها طوعا وبها توفي ليلة الأربعاء 1 جمادى الثانية عام 616 هـ

له ترجمةٌ موسعةٌ في **أعلام المغرب العربي** 1 : 82 ع 84 .

مرداس (4) ، وقد كان أخبرني بهذا العلامةُ الهمام ، السيد الحسن اليوسي عن شيخه المذكور وسمعتُه من غيرهما ، فلاح لنا بذلك وأن السرَّ من أصله، والدرُّ من معدنه ، (اللهُ أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالاتِه) ، فنحمدُ الله الذي جمع لنا فيك ما نحبُّه ، شرفُ العلم ، وعلوُّ النسب ، فأسهِمْنا من دعائك الصالح في سائر خلواتك وجلواتك ، وابذْل لنا النصح الواجب عليك ، وقد شكرنا لكم صَنيعَكم ، كونكم امتثلتُم أمرنا ، وساعدتمونا على توليكم تلك الخطة ، وأطعتُم الله بطاعتنا ، فبارك اللهُ فيكم ، ذلك الظنُّ بكم ، والمعتقدُ من صالح محبتكم ،فقد كنتُ مهتماً من عدم قَبولكم لتلك الخطة ، ويتغيرُ خاطرُنا عليكم، فحينَ وصلَني قَبولُكم لها ، وامتثالُ أمرنا ، سجدتُ لله شكراً ، واللهِ ما حملَني على توليكم لتلك الخطة إلا إحياءُ شعائر الدين من بعد غُربته ، فكما قال عليه الصلاةُ والسلام بدأ الدينُ غريباً وسيعودُ غريباً ، فطوبى للغرباء ، وأنت منهم ، وتقررتْ عندي سيرتُك الجميلة ، ووصفتْ لنا أوصافُك الحميدةُ الغريبةُ التي عزَّ وجودُها في هذا الزمان ، فهي التي تدلُّ على نسبك ودينك وخصوصيتك من بين أهل زمانك نفعك اللهُ ونفع بك ، وأسعدَنا بمعرفتك، ونفعَنا بمحبتك

وقد أخبرت أن أهل الذمة أخزاهم الله أتوك ليلة العيد بما وظفناه عليهم من كسوة القاضي التي يخطبُ بها خطبةَ العيد فضربتَ بها وجوهَهم ، وأبيتَ قَبولَها منهم ، فأنهوْا الأمر لشيخهم بعد أن كنت عزمتَ على عقوبتهم أشدَّ العقوبة ، فذُكر لي وأنك استعذتَ من قَبولها ، فجزاك الله عنا خيراً ، فمثُلك في هذا الزمان عزَّ وجودُه

---

4) **العباس بن مرداس السلمي** ، شاعر فارسٌ من مضر أمه الشاعرة الخنساء ، أدرك الجاهلية والاسلام وأسلم قبل فتح مكة وكان من المؤلفة قلوبهم ، ولم يسكن مكة ولا المدينة ، وكان إذا حضر الغزو مع رسول الله (ص) لم يلبث بعده أن يعود إلى منازل قومه ، جُمع ما بقي من شعره في ديوان

تُوفي نحو عام 18 هـ

ترجمته في **الاصابة** ت 4502 **وتهذيب التهذيب** 5 : 130 **وخزانة الأدب** 1 : 73 **والأعلام** للزركلي 3: 267 .

وأخبرنا مملوكُنا الناظرُ رضوان أنك امتنعتَ من قبض ماكان يقبض من قبلك من الأوقاف ، وإنما قبلتَ من ذلك شطره مع ما أنهى إلينا من تحريك في الأحكام ، وتوقفك في المسائل وردِّها لغيرك مع غزارة علمك وتضلُّعِك بالفقه ، فالحمدُ لله الذي أنعم علينا بوجود أمثالك في دولتنا ، نستعينُ بك على أمر الدين ، فالله سبحانه يُعيننا على القيام بحقوقك الواجبة لك علينا ءامين

إلى أن قال   وهذا الخطابُ عام لولاة أمرنا ، القائمين بخدمتنا نامرُهم باحترام دارك وأولادك ومن له أدنى انتساب إليك ، فدارك جعلناها حرماً وزاوية ، فمن لاذ بها واحترم فعليه أمن الله وأمننا ، ومن تعرض أمرنا في ذلك فقد خلع ذمة الله وخالف أمرنا

واللهُ سبحانه يتولّى هداك ، وينفعُنا بمحبتك ، ولنا عليك مزيد الدعاء في سائر خلواتك ، وتوجهك لنا بقلبك ، فالله سبحانه يُوفقنا لطاعته وامتثال أمره ءامين ، يارب العالمين ، والسلام

في أواسط صفر الخير فاتح عام خمسة ومئة وألف .

رسالة من السلطان مولاي إسماعيل
إلى ابنه الأمير مولاي المامون

ولدنا مولاي المامون (1) أصلحه اللهُ وأرشده

سلامٌ عليك ورحمةُ الله وبركاتُه

وبعد فقد بلغنا كتابُك وقرأناه، وفهِمنا ما تضمَّنَه لفظُه ومعناه، وقد وجدناك تذكرُ فيه استعدادَك وأُهبتَك لهذا الوجه المبارك الذي أمرناك به وأكَّدْنا عليك في حجته، فاعلمْ أن تلك البلادَ التي ألزمناك بغزوها هي بلادٌ متَّسعةُ المفاوز، قليلةُ الماء والمرافق، يحتاجُ من يُريدُ أن يفوزَ بمزيتها إلى أهبة كبيرة، ومؤونة كثيرة، وقد علمتَ اننا كنا أولا نُلزم بغزوها عرب تلك الجهة الصحراوية فيتوجَّهون إليْها على غيْرِ أُهْبَتِها، ويزيدون على ذلك قلة الضبْط والحزم، فيتفرَّق لهم أُولئك الحراميين أولاد دلِيم (2) ويهربون أمامَهم في مفاوز صحراء الشريكية وغيرها فيكلُّ في طلبهم الخُفُّ والحافر، ويفرغُ الزاد فلا يحصُلون منهم على طائل، وفي هذه المرة التي توجَّهَ فيها معهم أخوك مولاي أبي النصر أصلحه الله استكثرَ الأُهبةَ وبالغَ في الاستعداد

---

1) **المامون بن إسماعيل بن الشريف العلوي**، أحدُ أبناء السلطان مولاي إسماعيل النجباء، ولاه أبوه على مراكش وناحيتها ثم نقله عام 1113 هـ إلى فيلالة وأنزله بالقلعة التي كان بناها لأخيه محرز بتيزيمي وأعطاه ألفاً من الخيل ولكنه توفي بعد عامين من ولايته عام 1113 هـ

وكان مولاي المامون هذا فارساً شجاعاً وقائداً محنكاً، اشتهر على الخصوص بأعماله الحربية في الصحراء التي امتدَتْ إلى قلب موريتانيا ومالي، وللسلطان مولاي إسماعيل رسائلُ كثيرةٌ بعث بها إليْه طبعنا بعضها سنة 1967 م تحت عنوان (إلى ولدي المامون) وفي النية اعادة طبعها وطبع ما عُثر عليه منها بعد ذلك التاريخ

2) **أولاد دليم** قبيلةٌ عربيةٌ كانتْ مواطنُها الأولى - ولا تزال - بإقليم وادي الذهب غير بعيدة عن مدينة الداخلة، نزحت منها بطون إلى الأقاليم الشمالية واندمجت في مجموعة الشراردة القبلية بإقليم سيدي قاسم.

جهدَه، وكانت معه قوةٌ في زمله (3) وزاده وخزانتِه ، ومع ذلك فما اتصل الفريقُ منهم حتى كلَّ لأولئك العربِ الذين كانوا معَه جميعُ ما عندهم من الخُفِّ والحافر ، ولم تكن معه سُربةٌ من الجيش الرواتبي (4) يثِقُ بها ، وتطمئنُّ نفسُه معها ، فما رأى لاتِّباعِهم وجهاً ، ولولا أن ذلك الغربي الذي كان حاز ذلك الفريقَ إليه من اخوالنا الوداية (5) ما اتَّصلَ بهم ، ومع جِدِّه وضبطه للعرب وحزمه ما شفى لنا غَليلا ، ونحنُ نُريدُ تتوجَّهُ على بركة الله لتلك البلادِ تَوَجُّهَ رجل ، وتعملُ فيها ما تستجلبُ به رضا الله سُبحانَه ، فإن أولئك المارقين فرقٌ باغية خالفتْ حكمَ الإمام ، وخرجتْ من ربقة المسلمين والإسلام ، يجبُ قتالُهم والإعانةُ بمالهم عليهم ، ولا تجوز معاملتُهم ولا مناكحتُهم ولا البيعُ والشراءُ معهم ، ومَن وقعتْ منه معاملةٌ معهم فهو عاص ، فما داموا على تلك الحالة الشاقَةِ وهمْ على حكم القتْل لكلِّ مَن ظفِر بهم ، وقد جرتْ عادةُ الله سبحانَه في أمثالهم في قبائلَ شتى شرقاً وغرباً من جميع مَن يشقُّ عصا المسلمين أنَّ اللهَ تبارك وتعالَى يحسمُ مادَّتَهم ، ويستأصِلُ بحوله وقوته شأفتهم ، وما هم مغبوطين إلا في رجل نجيب يعملُ بحساب بلادهم ، ويتأهَّبُ لها أهبتها ، ويستعدُّ لها استعدادَها ، ويستكثرُ من كل شيءٍ يعرفُ أنه يحتاجُه في بلادهم ، ومعَ هذا كلِّه يتأنَّى في جميع أموره ، ويتوَجَّهُ على مَهَلٍ إلى طرفِ بلادهم ويقيمُ بها ، وقوافلُه تاتيه من المشمس وغيره ، وعيونُه مبثوثةٌ على أولاد دليم وعلى غيرهم من أولئك الجواليت (6) جزولة (7) الذين صاروا يَعضُدونهم ويُكثرون سوادَهم ، وإذا

---

3) **الزمْل** من معانيه الحِمْلُ والإبِلُ التي يُحمل عليها

4) **الجيشُ الرواتبي** الجيشُ النظامي الذي يأخذُ جنودُه راتباً عن خِدْمتِهم العسْكرية

5) **الوداية** قبيلةٌ من عرب معقل كانت مواطنُهم الأصلية بصحراء المغرب الغربية وإقليم شنجيط المسمَّى اليوم موريتانيا ، ونزحتْ منهم بطونٌ إلى الشمال واندمجت في قبائل **الجيش** ، فهم اليوم بنواحي فاس والرباط ومراكش وغيرها ، وكان السلطانُ مولاي إسماعيل الذي جمع شتاتَهم.يعدُّهم أخوالاً له ، لأنَّ أمَّه السيدة خناثة بنتَ بكار المغافرية منهم

6) لم نعرف المقصودَ من كلمة الجواليت ، وفي اللغة جلتَه واجْتلتَه بمعنى ضربه ، وجالوت هو قتيل النبيِّ داوود المذكور في القرءان الكريم (وقَتَلَ داوُدُ جالوتَ وءاتاه اللهُ الحكمة) الخ

7) **جزولة** اسمُ قبيلة بربرية بناحية سوس ، والناحيةُ كلُّها تُعرفُ ببلاد جزولة وجبال جزولة .

وجدَ حاجتَه يثبُ عليها وثبةَ رجل ، فيستأصلُ شافة جميع كل قبيلة اتَّصل بها ، ولا يقنعُه منهم إلا قتل الكبير والصغير والذكر والأنثى ، يوقعُ بهم وقعة الدهر ، فاذا أوقع بقبيلة وقعةً تسيرُ بها الركاب ، وإذا بقِي منهم أحدٌ فلا يسعُه إلا التطارحُ على الحرب أو الجلاء الذي تتناوشُه به المفاوز وتاكلُه الصحاري ، ويريح الناس من سماع حسِّ أولئك الماردين في مرة واحدة ، فمثلُ من يكونُ على هذه الحالة نحبُّه يتوجَّهُ إليهم .

وقد فهِمْنا من كلامِك في براءتك بعض العجلة على الحركة ، وقد أحببنَا أن تكونَ تلك العجلةُ في الاستعداد والأهبة وتقويةِ كلِّ ما تحتاجُ إليه وتفقُّدِ أولئك العرب الذين تتوجَّهُ في وسطِهم تجدْه منهم إذا أكلتَ معهم في الموضع الذي تحتاجُهم فيه ، أما العجلةُ بالخروج فلا ، فتأنَّ أصلحك اللهُ تأنَّ في أمورك ، واعرفْ ما أمامك واعملْ بحسابه ، ولا تُهملْ من جميع ما نوصيك به كلمةً واحدة

ومسألة الخمسين عودة (8) التي طلبتَها منا ، والله إلا عرفناك تحتاجُها ، لكن لو كنتَ أعلمتَنا بها قبلَ هذه الساعة لكنا وجَّهنا إليك حتى مئة ، وهذه الساعة فقد كانت عندنا أزيدُ من ثلاثمئة عودة من نتاج حرائر هذه الخيل التي أحيا الله عروقَها على أيدينا ، وتفضَّلَ علينا بأجرها وادخارها وأولعَنا بنتاجِها فكنا نختارُ نتاجَها على كل شيء ، فسخرنا على العَوْداتِ أصلحها الله ، وكنا اخترنا منها ستين عودةً لسروجنا وما عندنا غيرُها ، وقد ربطناها على نسخَى (9) بها ، وحتى أنت ما نحبَّ أن يحشموك بعودة واحدة منها إذا نحنُ أعطيناها لك ووجدنا فيها شيئاً لعزتها عندنا ، والعوداتُ التي نسخى لك بها هي التي ذكرتُ لك أننا سخرنا عليها ، أما الحراميات عوداتُ الغرب فما يصبرون لتلك المهامه ، مع أنِ العوداتِ في

---

8) العودة في لسان عامّة المغرب تعني الفرس .

9) سخى جاد .

هذه الساعة كلها عاقرةٌ إلا النزر اليسير منها ، لكن عندنا سريةٌ نثقُ بك أن تكونَ في وسطِها وتطمئنُّ نفوسُنا بطبائعها من قلة الطمَع وقلة التفتف منهم وقوة الفائدة والنجدة والصبرِ والحزم والعزم ، وهي أربعون فارساً خيل فرادى المنابهة (10) ، والله إلا هي أولى لك من العودات ومن مئة من الخيل ، واللهِ ان شاءَ اللهُ إذا زيَّنَ اللهُ عليك حتى يعملَ اللهُ لك بها كلَّ مزية ، فأعلمْنا نبعثْ بها إليك مع اصحابك الذين معَك ، وما لك منهم إن شاء اللهُ إلا ما يسرُّك ويُرضيك ، فليعرفْ ولدنا أصلحه اللهُ ما خاطبناه به ويفهمْه، والتأنِّي لك في الخروج مليح ، التأنِّي لك حتى تتأهَّب أهبةً تُرتضَى منك حالُها مليح ، وقد ارشدناك ، والله يعينُك ويُوفِّقُك بمنِّه وكرمه

واعلمْ اننا كنا أمرنا العرب حينَ كانوا هنا عندنا يتوجَّهون معك بأولادهم ولا يبقون إلا من أضعفَه الكبر وحازت الصغر ، فقالوا لنا إن الواشون (11) يثقلنا ، وكأنهم ثقُل عليهم ذلك ، وأنت انظرْ كبارَ العرب ووجوهَهم ومن له قدرةٌ وفيه قوةٌ من ذوي منيع (12) وغيرهم ، وألزمْ كلَّ واحد منهم يتوجَّهُ معك بزوجته ، فاذا عملوا دوَّارَيْن (13) أو ثلاثة من الذين بنسائهم فعليهم يرسمون ، وحتى أنت انظرْ خادماً أو خادميْن واجعلْهما معك في غَيْبَتِك لئلا تضيقَ روحُك

وقد بيَّنا لك كيفيةَ أهبَتِك وخروجك في سلامة وغنيمة إن شاءَ الله ، وإذا وصلتَ بلاد دا وبلال (14) فكاتبْهم وقلْ لهم أنتم غير محسوبين

---

10) **المنابهة** قبيلة عربية كانت مواطنُها الأصلية بالصحراء المغربية ونزحت منها بطونٌ إلى الشمال ، منها بطون مندمجةٌ اليوم بقبيلة الرحامنة قرب مراكش

11) **الواشون** كلمةٌ بربرية معناها الأولاد

12) **ذوي منيع** قبيلة عربية تسكنُ صحراء المغرب الشرقية ألحقها الفرنسيون بالجزائر أيام حكمهم لها

13) **الدوار** حلَّةٌ مستديرةُ الشكل يسكنُها العرب الرُّحَّل ، وقد تعني الحلة الثابتة

14) **دا وبلال** وتكتب في الوثائق الرسمية **ذوبلال** قبيلة عربية توجد بقاياها مندمجة في قبائل **الجيش** بناحية مراكش .

مع أولاد دليم ولا تقبضْهم فيهم ، وما كنا ننكر عليكم إلا هذه الميزة (15) التي كنتُم تُمِدُّونهم بها ، وهي اليوم مقطوعةٌ عليكم وعليهم ، وانتم دائماً تتملقون محالنا وأميرُها دائماً منكم وقد توجَّه مع أخينا أبي النصر ثلاثةٌ منكم ، فارجعوا لبلادكم واعقبونا لمواطنكم ، وانظروا على والدنا نصره الله وواحاه سلف لكم تعطوننا بعض اميزات الذين يعرفون البلاد ويلوحوننا على أولاد دليم ، فان خفَّ عليكم ذلك فأعطونا اميزات وارجعوا في حالكم وراءنا لبلادكم ، فبمثل هذا الكلام تكلمُهم من غير أن تُنفِّرهم منك ولا أن يفهموا من كلامِك ولا من مكاتيبِك حرفاً واحداً من العيب فينفرون منك بسببه ومن غير أن تُعطيَهم أماناً ولا تكتبْ لهم به ، فلا تُكلمْهم ولا تكتبْ لهم إلا بالكلام الذي يُسَكِّنُهم ولا يُنَفِّرهم ، وأعرض عنهم ولا تذكرْ عيْبَهم لقريب ولا لبعيد ، فإنْ رايْتَهم رجعوا وراءك واجتمعوا وعملتَهم بينك وبين المشمَّس واستقرُّوا وعرفتَ أين تتَّصلُ بهم فَسِرْ إليهم على حال غفلةٍ منهم ، واذا ظفَّرك الله بهم فلا تُبقِ على أحد من الجواليت ، فعندهم نجعٌ كبيرٌ من الإبِل ، وأما الغنَمُ فلا تُحصى كثرتُها ، وهذه إحدى مسائلِ السر وإحدى المسائل التي يستعملُ الناسُ فيها ضروباً من السياسة والدهاء ، وقد أرَيْناك طرفاً بما تُخاطبُهم به ، ومدارُه أنك تُخاطبُهم بِما يُسكِّنُهم ولا يُنفِّرُهم ، وتغفل عنهم وتقولُ لهم ارجعوا لبلادكم وابعثوا بكباركم لسيدنا نصره الله ، ولكن على وجْهٍ لا يصدرُ منك أمانٌ لهم ، وإذا استَوْثقتَ من رجوعهم ورصدتَ فيهم الفرصةَ فقد أريناكَ ما تعملُه لهم ، واللهُ يُوَفِّقُك إلى الخير بمنِّه وكرمه

وواحدةٌ زِدْها لهم في مخاطبتكم إياهم ، قل لهم انا ماين والدي نصره اللهُ بأمر واحد مخصوص ، ولكن قال لي واحدة ، وهي أن كلَّ من كان مع أولاد دليم وانفصلَ عنهم وتركَهم فما عليك فيه ، اتركْه وراءك ، وانبُذْه خلفَك ، وأنتم من جملة من كان معَهم ، وكان يُواصلُهم ويُمدُّهم ، فاذا أنتم

---

15) **الميزة** كلمة كنا نظنُ أنها الميرة بالراء التي تعني المؤونة ، ولكن تكررها بصيغة الجمع بعد ذلك مرتين جعلتْنا نُرشحُ أنها كلمة محلية عامية تعني الدليل الخريت الذي يعرف الطرقَ والمسالك .

فارقتموهم وتخلَّفتُم عنهم فباعدوهم في النجعةِ والرتعةِ واتركوهم عنكم وشبه هذا من الكلام الذي يانسون به ولا ينفرون

واللهُ يعينُك ويُيَسِّرُ عليك بمنِّه وكرمه ءامين ءامين ءامين ، والسلام

خامس ربيع الثاني عام تسعة ومئة وألف .

رسالة من السلطان مولاي إسماعيل
إلى جيمس الثاني ملك انجلترا

الحمد لله وحده ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، لا رب غيرُه ، ولا معبود سواه

(الطابعُ السلطاني بداخله)
(إسماعيلُ بنُ الشريف الحسني ...)
(وبدائرته إنما يريدُ اللهُ ليذهب عنكم الرجْس أهل البيت ويُطهركم تطهيراً)

أيده الله بعزيز نصره ، وأمده بمعونته ويُسْره ، وخلدَ في الصالحات شريف مناقبه وجميلَ ذكره ، آمين يارب العالمين

إلى طاغية الانجليز القاطن ببلاد الفرنصيص يعقوب المسمى بلسانهم جامس (1)

سلام على من اتبع الهُدى ، وتجنب سبيلَ الغيِّ والردى ، وآمنَ بالله ورسوله ثم اهتدى

أما بعد ، فانا كتبناه إليك وأوردناه عليك وواصلناك بهذا الكتاب، واعتنيْنا لك بهذا الخطاب ، لمسألتَيْن اثنتَيْن إحداهما دينيةٌ والأُخرى سياسية دنيوية ، وموجبُ إيرادهما عليك التنبيهُ لك والإيقاظُ والإرشاد، وذلك

---

1) **جيمس الثاني** ولد بلندن سنة 1633 م وملك انجلترا وإيرلاندة ، وملك ايكوسيا (باسم جاك السابع) ، تولى الملك خلفاً لأخيه شارل الثاني سنة 1685 ولما اعتنق المذهب الكاثوليكي وقسا على رعاياه في الحكم ثاروا عليه بعد ثلاث سنوات ففرّ من مملكته والتجأ إلى لويس الرابع عشر بفرنسا ، وبقي في منفاه إلى أن تُوُفي بسان جيرمان ءان لي سنة 1701 .

أنَّ أخاك (2) الذي كان ملكاً على الانجليز من قبلك كانَ عرف لنا من الحقّ ما عرف ، وتقرر عنده من لدنا ما لهذا الدين الشريف على غيره من الشفوف والشرف ، فكان من أجل ذلك يطلب منا المهادنة على طنجة ، فبعث لمقامِنا العليِّ بالله من أصحابه وخُدّامه المرة الأولى والثانيةَ من بعث ، إنافة بمحلنا، وتنويهاً بشريف مكاننا ، وكانتْ المواصلةُ بين الملوك والمراسلة مستنة ومشروعة ، وإن اختلف اللسان ، وتباينتْ الأديان.

فجازيناه على فعله ، وكافيناه على شغله ، ووجهنا له من خدامنا الباشادور (3) الذي وصل إليه وقدم عليه ، كما شاهدتَه ورأيتَه ففرح بسفيرنا وأكرمه إكراماً كثيراً ، وسُرَّ به وبمقدمه سروراً كبيراً ، ورجع من عنده مغبوطاً مسروراً ، فلم نزل نراعي له ذلك ، ووفينا له في جميع ما كنا عملنا معه في طنجة ، ولم نردَّ البالَ إلى شيء مما كان يعمله بها حينَ أراد الرحيلَ عنها ، وكانَ ينقلُ خزائنَها ومدافعها وسكانَها ، وأهلُ جوارها من المسلمين يروْنَ ذلك ويُنهونَه إلينا ، ويقصُّون ما يُشاهدونه علينا ، وما ألقينا إليه في ذلك البال ، ولا التفتنا إليه بحال من الأحوال ، وما ذلك إلا مكافاة له على صنيعه مع سفيرنا ، ووفاء بالقول الذي كان طلبه منا ، ووددنا أن لو كان أخوك بقَي حياً إلى أن يشاهدَ صنع الله الذي صنعه لنا في فتح العرائش من يد الصبليون ، ويرى محاصرة سبتة اليوم وما كان أهلها يصرفونه عليها من الأموال ، وما كان يلزمهم في مؤونتها من ملايين الريال، لَتحقق وفاءنا له ، وغضَّنَا الطرف عنه ، وعلمَ أن القول والعهدَ الذي أعطيناه لم نَنقصْ شيئاً منه، فالصواب الذي كان من أخيك والحق الذي كان يعرفه لنا هو سبب الكتب إليك مكافأة على صنيعه ، وهو الذي أوجب مكاتبتك بهاذه المراسلة لنعرض عليك فيها الأمرين المذكورين في أول الكتاب .

---

2) شارل الثاني ابن الملك شارل الأول

3) الباشادور كلمة عجمية معناها السفير .

فأما الدينية منهما ففيها خير الدنيا والآخرة لما فيها من رشادك ونصحك ان وفقك الله تعالى ، وذلك أن تعلم أن الله سبحانه جل جلاله وتقدست صفاته وأسماؤه إنما خلق هذا الخلق ليعبدوه ويوحدوه ولا يشركوا به شيئاً ، قال الله سبحانه (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون، ما أريد منهم من رزق ، وما أريد أن يطعمون ، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين)، وهذه التي أوجب الله على خلقه لا بُدَّ لها من وسائط يُبلغون من الله لخلقه ما أمرهم به ، ومن رحمته بخلقه ورأفته بهم أن جعل لهم وسائط بينهم وبينه من جنسهم ، أرسلهم إليهم من أنفُسِهم واختارهم من أنفسِهم ، فبعث لهم رسلا يبلغونهم عن الله ما جاءوا به من عنده ، فآمن بهم من أراد الله سعادته ، وكفر بهم من كتب شقاوته، وختم بخاتم أنبيائه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وجعله خاتم النبيئين، وسيد المرسلين ، وجعل دينه خير الأديان ، وشريعته أفضل الشرائع ، وملته خير الملل ، ولقد بشر به وبمبعثه عيسى كما بشر بعيسى موسى بن عمران على نبينا وعليهما وعلى جميع الأنبياء الصلاة والسلام ، ونبينا عليه السلام وان كان آخر الأنبياء بعثاً فهو أولهم خلقـاً

ومما يجبُ اعتقادُه أن الأنبياءَ كلَّهم يجبُ الايمانُ بهم ، فلا نفرقُ بين أحد منهم ، وان المسيح بن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام هو أحد الرسل الذين جاؤوا عن الله من غير ادعاء مما تدعون ، ولا إطراءَ مما تُطرون ، قال الله تعالى في حقِّ أمِّه الصّديقة (ومريم ابنةَ عمران التي أحصنتْ فرجها فنفخْنا فيه من روحنا ، وصدقتْ بكلمات ربها وكتابه وكانتْ من القانتين) وقال تعالى في حقه (إن مثَل عيسى عند الله كمثل ءادم ، خلقَه من تراب ثم قال له كنْ ، فيكون) ، وقال تعالى (إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمتُه ، ألقاها الى مريم وروحٌ منه ، فآمنوا بالله ورسُلِه، ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيراً لكم ، إنما الله إلاهٌ واحد ، سبحانَه أن يكون له ولد ، له ما في السماوات وما في الأرض ، وكفى بالله وكيلا ، لنْ يستنكف المسيحُ أن يكونَ عبداً لله ولا الملائكةُ المقربون ، ومَنْ يستنكفْ عن عبادته ويستكبرْ فسيحشرُهم إليه جميعاً) .

ومن المعتقد أن المسيح رفعه الله إليه ، وان اليهود لعنهم الله ما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّهَ لهم ، وأنه ينزلُ بين يدي الساعة، فيجدُ المهدي من هذه الأمة من ولد فاطمة ابنة النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل الدجال ، ويجده قد أقيمت عليه الصلاة فيقول له تقدمْ يانبيَّ الله أو ياروح الله ، فيقول له عليه السلام : عليك أقيمت ، فيصلي خلف رجل من أمة نبينا صلى الله عليه وسلم ، ويحكمُ بشريعته ويقتلُ الدجالَ فينكره النصارى ويقتلهم ويقتل اليهود حتى يكلمَه الحجر ويقول : يانبيَّ الله هذا يهودي ورائي فاقتله ، وقد أخبرنا بهذا كله نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله والذي نفسُ محمد بيده لَيُوشكنَّ أن ينزلَ فيكم المسيحُ بن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ولا يقبل إلا الإسلام ، وهو معدودٌ في أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم ، وقد عرف هذا جماعةٌ من أعلام النصارى وملوكهم الذين هداهم اللهُ ومنَّ عليهم باتباعه ، كالنجاشي ملك الحبشة حتى عد من الصحابة وصلى عليه نبينا صلى الله عليه وسلم يوم مات وهو بأرض الحبشة ، وهوأحدُ من خاطبه النبيُّ صلى الله عليه وسلم ودعاه إلى الاسلام ، كما خاطب قيصر ملكَ الروم جدَّ هذا الملك الذي لجأتَ إليه وأنت مقيم لديه ، ولقد كتب إليه يدعوه إلى الاسلام ، فلما قرأ كتابه ووعاه، وكانَ عنده من العلم المكنون ما عنده ، سأل من حضره من العرب عن صفاته وأحواله وسيرته وما يدعو إليه وما يأمر به وما ينهَى عنه ، فقال إنه النبي المنتظر ، الذي بشر به عيسى ، وسيملك موضعَ قدميَّ هاتين، وشاور أرباب دولته ، وأهلَ ملته ، في اتباعه ، فضجوا وحاصوا حيصةَ الحمُر الوحشية ، فساعفَهم وساعدهم بُخلا بملكه ، وحين بلغ خبره نبينا صلى الله عليه وسلم قال ضن اللئيم بملكه ، فلقد رسخت في قلبه معرفة هذا الدين وفضله على سائر الأديان ، لكنه لم يسمح بملكه

وبكلِّ حال من الأحوال ، فهذا الدينُ الحنفي هو الذي اختاره الله ديناً، وارتضى له نبيا أمينا ، وجعله أفضل الأديان ، قال الله سبحانه في محكم القرآن : (إن الدين عند الله الاسلام) وقال تعالى : (ومن يبتغ غير الاسلام

ديناً فلن يُقبلَ منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين) ، فمَن أمعنَ النظر واستعملَ الفكرَ ووزنَ الأديانَ بميزانِ الحقِّ والعقل عرف أنَّ دينَ الإسلام هو الدين ، وأن غيره كله لعب وعبث من بعد أن بعث الله نبينا الذي ختم به الأنبياء ، وتقرر لديه أنها كلها باطلة وأهلها للنار

وقد وقع اختبارُ الأديان وأيهم أفضل لبعض عقلاء النصارى ، وقد نظر فيما عليه المسلمون وفيما عليه النصارى وفيما عليه اليهود ، فأراد أن يختبرهم من جهة المعقول ، فأتى نصرانياً فقال له أي الأديان أفضل ، دين النصارى أو دين اليهود أو دين المسلمين ؟ فقال له النصراني دين النصارى أفضل ! فقال له أي الدينَين أفضل ، دين اليهود أو دين المسلمين؟ فقال له النصراني دين المسلمين ، فأتى اليهودي وقال له أي الأديان أفضل ، دين المسلمين أو دين النصارى أو دين اليهود ؟ فقال له : دين اليهود فقال له وأيهما أحسن أدين النصارى أو دين المسلمين ؟ فقال له دين المسلمين ، فأتى لمسلم وقال له : أي الأديان أفضل ؟ فقال له دين المسلمين، فقال له : وأي الدينيْن أفضل أدين اليهود أو دين النصارى ؟ فقال له لا خير فيهما معا ، فالدين القويم هو دين المسلمين ، فعرف هذا النصراني المذكور بعقله أن الدين هو دينُ الاسلام ، وأن ما سواه محضُ ضلال ، وأن اليهود والنصارى ليسوا على شيء ، وقد وقع معنى هذا في كتابنا ، قال الله عز وجل (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ، وقالت النصارى ليست اليهودُ على شيء وهم يتلون الكتاب)

وها نحن قد أملينا عليك نبذة من الآي القرآنية والأحاديث النبوية والدلائل المعقولية المطبقة على أفضلية هذا الدين القويم ، وغيره كله إنما هو في سواء الجحيم ، وأنت ان خممت مع رأسك وفكرت في نفسك واخترت الدار الآخرة على الدنيا ودخول الجنة على النار ، فأنت عرفت سبيلهما ، فاتبعْ هذا الدينَ الحنفي ، وانطقْ بالشهادتيْن ، فان مَن قال لا إلَه إلا الله دخل الجنة ، ولو قالها مرة في عمره ، ويدخلها بشفاعة النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فان له في أهل الكبائر والجرائم والذين نفذ الوعيد فيهم شفاعة عظمى خصه

بها ربه في الموقف العظيم ، ووالله إن أنت اعتقدت هذا الاعتقاد ووفقك الله إليه وعملت ما عمله قيصر من اعتقاده بقلبه وتيقنه به في نفسه حتى تحمد ذلك حالا ومآلا إن شاء الله

فهذه المسألةُ الدينية التي نصحناك بها

والمسألةُ الدنيوية هي إذا أنت أحببت الابقاء على دين الكفر فدين قومك الانجليز أخف وأيسر عليك من عبادة الصليب ومتابعة الذين يجعلون لله الولد ، وينزهون عنه رهبانَهم ، وأيَّ شيء رأيتَ في تغربيك عن وطنك وبعدك عن بلدك وخروجك عن ملة أبيك وجدك وتدينك بدين غير دين قومك، وان كان الجميع على ضلال فدينكم أنتم معشر الريكس أيسرُ من أولائكم المتوغلين في الكفر ، وحتى امرأتك الفرنسية التي كانت تحوزك على التعبد بدينها ها أنت الآن افترقْتَ معها ، فعلى ماذا أنت باق في جوار الفرنسيس تارك ملتك ؟ وادعْ ملكَ أبيك وأخيك لغيرك بالأفلامنك يتملكُ على جنسك وأنت بالحياة ، فوالله ما أحببنا لداركم ولا لمملكتكم يتولى رياستها الفلامنك أو غيره ، فألغ عنك ما تقدم بينك وبين قومك ، فإن الصواب معهم في الانكار عليك بسبب الدين الذي اختلفت معهم فيه ، واعتذر لهم وعاودهم وراجعهم ، ووالله لولا أنا اناس عرب لا معرفة لنا بالبحر أو كان عندنا من يحسن معرفته أو نستوثق به في الجيش ونطلقه في يديه حتى نكاتب الانجليز ونبعث لك من الجيش ما تدخلُ به عليهم وتتولى به ملكك

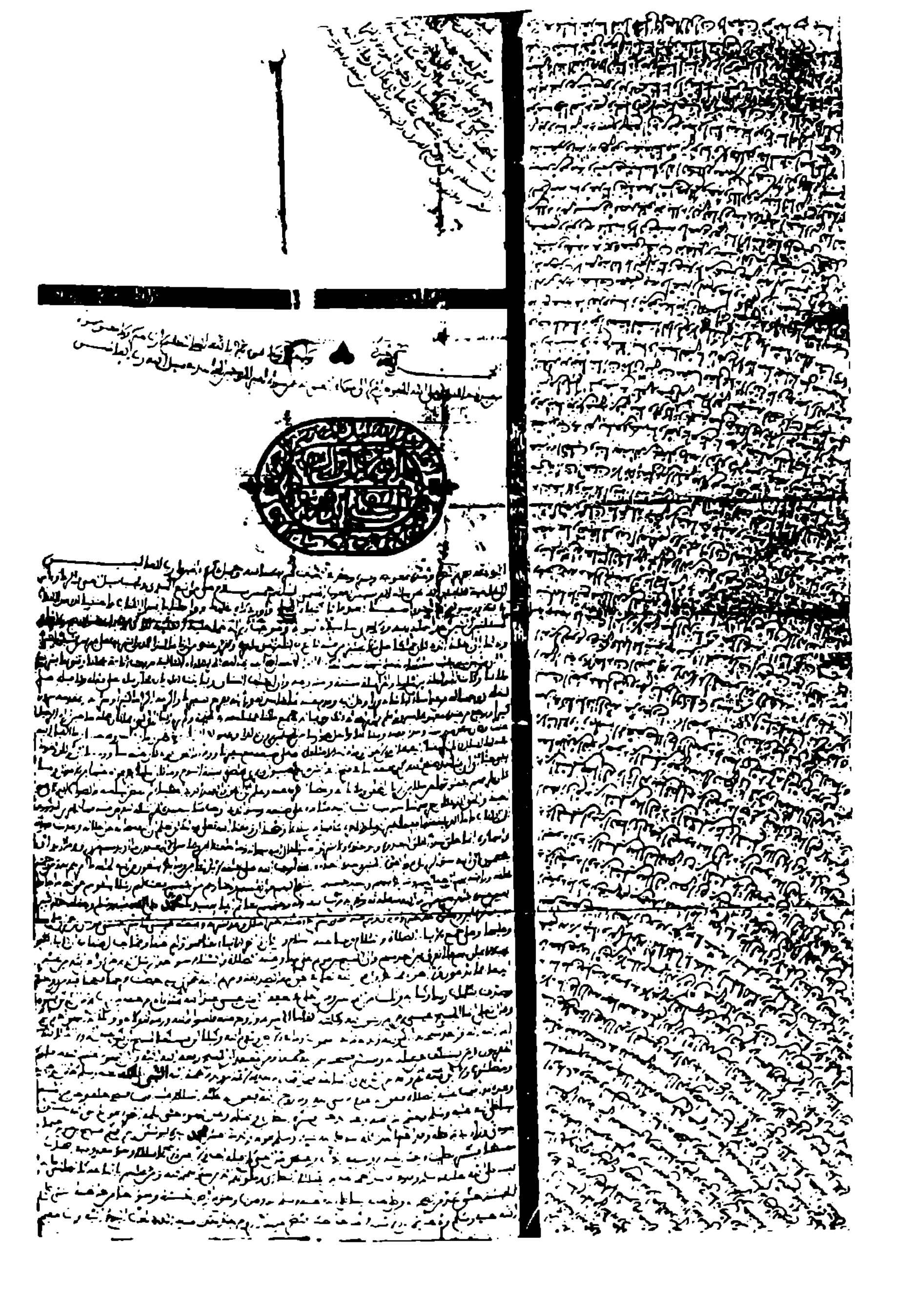
ولكنَّ مسألةً واحدةً نعرفُك إياها فحاولْ حتى تَتَنَصَّل من بلاد الفرنسيس ، واقصدْ لجبونة من بلاد البرتغال ، وها زوجةُ أخيك البرتغالية اليوم هناك ، ولقد كان لها عند أهل ديوانكم وجهٌ وكلام ، ومن هناك تقرب المسافة بينك وبين قومك ، وتسهلُ عليك مناولةُ الكلام معهم، لاكن بحيث لا يكونُ للافرنسيس بك شعور ، وأما إذا عرفوا منك فلا يتركونك ولا يطلقونك لمسألتيْن :

إحداهما لا يريدونك تترك دينهم وترجع إلى دين قومك ، والثانية يخافون أنك إذا راجعتَ قومك ربما تعاديهم وتحاربهم ، ولاسيما حيث عرفتهم وعرفت عزة بلادهم ، والملوك دائماً تحذر من مثل هذا ، وقد نصحناك ، وأريناك ما يليقُ بك في دينك ودنياك ، ووالله ما نكرهُ لك الهداية والرشاد

وقد بلغنا أنك ترومُ الوصولَ الى رومة ، فأياك وأن تحدثَ نفسك بشيء من ذلك ، فانك إذا دخلتها تحتل بها ولا تطمع في الخروج منها ولا في ملك بعدها أبدا ، فعلى كل حال إن أنت راجعت قومك ودينك نُجددْ معك ما كان بيننا وبين أخيك ، ووالله ما زالَ خديمُنا الذي كان عنده يذكر لنا من صوابه وخيره ما أوجب مكاتبتنا لك بنصحنا ، وقد أحببنا أن تكون المودة والمراسلة بيننا وبينك فتنتفع بها على كل حال إن شاء الله

والسلام على من اتبع الهدى

وكتب في النصف من شعبان المبارك عام تسعة ومئة وألف .



رسالة من السلطان مولاي إسماعيل
إلى الفقيه السيد محمد بن عبد القادر الفاسي

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

(الطابع السلطاني)

إلى الفقيه الأجل ، الملاحظ المرعي المبجّل ، السيد محمد بن عبد القادر الفاسي (1) أبرأ اللهُ سقمَه ، وشفى ألَمه ، ومنحنا وإياه العافية ، وأدام علينا ءالاءه الضافية

سلامٌ عليك ورحمةُ الله وبركاتُه

أما بعد ، فقدْ قرأنا كتابك ، ووعَيْنا خطابك ، وأمعنا النظر في منطوقه ومفهومه وأجلنا الخاطر في باهر رياض علومه وتتبَّعْنا فصوله ، واستقصيْنا محصوله ، فما وقع البصر ، ولا أنتج النظر ، ولا حصلت الفكرُ شيئاً زائداً على تحصيل الحاصل ، وهو ذكرُ شيء مقرر معروف ومفروغ منه ، وكلُّ مسلم موحد ـ والحمد لله ـ بالغٌ إليه ، ومصممٌ عليه ، وإلى غايته بفضل الله واصل ، من كونك ـ حفظك الله ـ تُبديءُ وتُعيد ، وتنقصُ وتزيد ، وتكررُ المفرداتِ والجمل ، مخبراً عما سلف لك ومُثنياً على نفسك بما قدمته من العمل ، ومن أنك تحب سيد الأنام ، الذي يشاركُك في محبته وتعظيم

---

1) **محمد بن عبد القادر الفاسي** ، فقيهٌ شهيرٌ من أهل فاس ، وُلد بها ليلة الجمعة 15 ربيع الأول عام 1042 هـ وأخذ عن أكابر علمائها مثل والده الشيخ عبد القادر الفاسي وأحمد الزموري وعلي الزرهوني ومحمد بن عبد الرحمان ابن جلال ، وكان حسن الخلْق والخُلُق حريصا على العلم وبثّه ، وله تصانيف

تُوُفّي بفاس يوم الخميس 28 رجب عام 1116 هـ ودُفن بزاوية والده بحومة القلقليين .

ينظرْ عنه **عناية أولي المجد** ص 48 **وسلوة الأنفاس** 1 : 316 .

جنابه سائرُ الأنام، الخاص منهم والعام ، وجميع من شملته دعوةُ الإسلام ، بلْ رب إنسان عامي لا يعرف من العلم إلا ضروريات دينه ، يُجاري ويباري العلماء الأعلام في محبة المصطفى صلَّى اللهُ عليه وسلم أو يزيدُ عليهم بنيته الصالحة وبصحَة يقينه ، فليحمد العبدُ المومنُ مولاه الذي وفقه لهذه المنقبة ، ويعلم أن الحق على كثير من النفوس الامارة مرٌّ ، وعقبةٌ وأيُ عقبة ، وما أقولُ إلا ما ثبت في المنقول عن الرجل الصالح الزاهد إبراهيم بن أدهم خطةُ الملك لم تدعْ لي صديقا ، بل ولا حميما ولا مداجياً بالمصافاة والمكافاة حقيقاً ، فالكتابُ والخطابُ إذا هو جاء من عالم قدوة مثلك تُملأ منه الأبصار ، وتنصتُ إلى فوائده وفرائده الآذان ، وتنبسطُ لسماعه وقرءاته الأفئدة ، وتتشوَّف إلى حل مقفله الأذهان ، وكتابُك هذا أيها الفقيهُ على علوَ منصبك في العلم لم نستفدْ منه زيادة على المعلوم ، ولا شيئاً مما كنا نترقبُه فيه من دقائق العلوم ، وهذه الطريقة المثلى ، ومجالس العلم التي سمعنا حديثها يُتلى ، والثناءُ عليها يكررُ ويُجلى ، وددنا والله أن لو رأينا لها نتائج ، لأن لنا بها شغفاً ولنا فيها حاجةً بل حوائج ، فذكرك اعتكافك على طلب العلم وطول لبثك ومكثك في تحصيله وتدريسه ، وشهرتك بأخذ الحظ الوافر من غامضه ونفيسه ، وانتحالك له من لدن كنت ولدن نشأت ، أمرٌ مسلم صدقت وصدقناك فيما أثنيتَ على نفسك من ذلك ، وباعُك في العلوم لا يُجحد ، ولا يَتمارى فيه من الخاصة والعامة أحد ، ولاكن أروني أين هؤلاء التلاميذ والطلبة المدرسين (كذا) الذين جنوا ثمارها ولبسوا ديباجها أو أطمارها يراهم الزائر اليوم عاقدين في العلم المجالس ، آتين من دقائقه ورقائقه بما يتنافس فيه المتنافس ، إذا هم ختموا مجالس علومهم ، وتنزَه المتنزهون في بساتين فهومهم ، رفعوا الأكفَّ مبتهلين بالدعاء الصالح لأشياخهم ، ومحط رحالهم ومناخهم ، فطالما استقصينا الخبر والبحث عمَن حصَل علما ، أو أدباً جمَاً ، وبرز في فنون العلم رواية ودراية وفهماً ، ودرساً ومطالعة ، وتضلُع فصاحة وخطابة وهمة وبراعة وبلاغة من أبناء هذا العصر ممَن تخرج عليك ومن مجلسك أو مجلس غيرك من المدعين العلم المتفقِّهين في الدين ليظهر للناس بعلمه ونجابته نقربُه من مجلسنا للانتفاع به والأخذ عنه

والاستفادة منه   كلا والله ما وجدنا من يكون بهذه المثابة ولا على هذه الصورة كما كان السلفُ رضوان الله عليهم ، إذْ لمْ نجدْ مثل هذا ولم نسمع بخبره ولابُشّرنا بأحد من نجباء الطلباء (كذا) الموثوق بعلمهم ونجابتهم والمحتاج إليْهم لأجل تهذيبهم وقليلٌ ماهم ، ولا كان اهتمامْنا دآئما الا من عدمهم وعزة وجودهم في زماننا هذا مع كثرة شغفنا بحب العلم وأهله ، ويعلمُ اللهُ تعالى أنا ما قصرنا في التحريض ولا تعامينا عن الإرشاد إلى طلب العلم والاشتغال به في عامة مجالسنا وخاصتها   وظاهرها وباطنها ، نسأله سبحانه أن يثيبنا على ذلك ، ويسلك بنا في الدارين أنجى المسالك ، وبالجملة العالمُ العاملُ المنتفعُ به في علمه وديانته ونصحه ومحبته مثْلك اليوم غريب ومهضوم ، إذا لم يسمع منه عند البعيد أو القريب ، كما أن الخلافة في هذا الأوان عند من لا يعرف حقها ، ولا يقدر عند الله قدرها ، ولا يشكر الله على إقامتها للحدود   والمصالح الشاملة النافعة لجميع الخليقة في السر والعلانية التي يستقيم بها الوجود ، حتى هي غريبةٌ عند الجهال الغافلين ، أو المتغفلين عن أمور الدنيا بلْ أمور الدين ، وأنت في كتابك هذا قد أطنبت وأسهبت ، وأطلت وما أوجزت ، على ما وصفنا لك في صدر الكتاب ، الملِمع للإعراض عن المقصود بشبه العتاب ، ورحم اللهُ عبد الملك بن مروان حيث قال في جوابه للحجاج بن يوسف وقد أطنب له في براءة عن خبر عبد الرحمن بن الأشعث   يكفيك ما أوصى به البكري أخاه زيدا ، واستكفى له بهاتين الجملتين ، وختم له الكتاب ، والرجلُ قرشي ، والآخر كما علمت ثقفي ، والفصاحةُ والبراعةُ في قريش   وغيرُهم من العرب أقصر همما وألسنة وفصاحة ، إذ قريشٌ ساداتُ العرب ، ولغتُهم أفصح اللغات ، ولما قرأ كتابه الحجاجُ بن يوسف لم يدر ما معناه ، ولا حقيقته ولا مبناه ، لإيجازه واختصاره ، ولم يعرف قوله يكفيك ما أوصى به البكري أخاه زيدا ، ولم يزلْ حيران يبحثُ في العرب عن معنى الكلمتيْن ، ويتطلب من يشرح له معنى الجملتيْن ، حتى جيء له برجلٍ من العرب ذى فصاحة وبيان، كان مقيماً على بابه مدة من سبعة أشهر على غرض له عنده وأعلمه بذلك ، فقال

له أما البكري فهو موسى بنُ أبي بكر الحنفي ، وزيد هو ابنُ عمه ، وقد كتب له فأطنب وأسهب ، فأنشد وأرشد ، قائلا

فقلتُ لزيد لا تُثرثرْ فإنما يرون المنايا دون قتلك أو قتلي
فإن وضعوا حرباً فضعْها ، وإن أبوا فشب وقود النار بالحطب الجزل
وإن رفعوا الحرب العوان التي ترى فعرضة نار الحرب مثلك أو مثلي

فسرَّ الحجاجُ بتلقِّي المسألة عن الأعرابي وسري عن قلبه ، وتعجب من غزارة علم عبد الملك وفصاحته ، لكونه جمع له في جملتين وكلمتين قضايا وأموراً عجيبة مع الإيجاز والفائدة من غير إطناب ولا إسهاب ، فقال الحجاج قبح الله من قال ان ميراثنا خيرٌ من الأدب ، وأنت حفظك الله وأدام النفع بك ، كان يكفيك عندنا ومعنا في جوابك من براعة الكلام وحسن الخطاب ما هو مثلُ ذلك أو لَخفُّ منه ، ونحن أعرفُ الناس بحقك وبحق العلم واهله ومنصبه من كل أحد ، نحمدُ الله تعالى ونشكره ، اللهم إلا إذا أنت أطنبتَ وأسهبت في ذِكر فوائد غريبة ، ومسائل من العلوم على الأفهام عويصة غير قريبة ، وأفدتَنا بها فلا نسأمُ من سماعها ولا من دعائها ، فما زالت العلماءُ تُفيد وتستفيد ، وتنقص في مخاطبتها ومناظرتها وتزيد ، ورَثنا اللهُ علمَ ما لم نعلم ، وجعلنا ممن يصادفُ عين الصواب إن سكتَ أو تكلم ، آمين

وما استثقلنا مما ذكرناه لك من الإسهاب والإطناب في كتابك إلا حيثُ أكثرتُ ولم تصرحْ ، بلْ ولمْ تعرجْ على ذكر المسألة بعينها ، وتقول لنا في كتابك (الحمدُ لله الذي عرَّف الله الحقَّ لعبده ، ووجهت أيدك الله اللوم والعتاب والعقوبة على الفريقين فقط الاندلس واللمطيين ، وتركت نصرك الله كلَّ من سواهم ، وأعرضت عن كافة أهل المدينة ، والحقُّ والصواب معك في تَوجه العقاب عليهم ، وسوق المَلام بالخصوص إليهم ، لأنهم رماتك وهم في الديوان القديم جند وجيش ورماة خلفاً عن سلف ، ولا معذرة لهم في عجز او تقصير ، وقد صاروا اليوم لا جدوى لهم ، ولا نفع يرجى فيهم ، ولا فائدة تترقب منهم ، والحق هو ما عملتَ لهم نصرك الله ، وهم أهل

ومحل لكل ما اتاهم منك من لوم أو عتاب أو عقاب) ، فهكذا أحببناك أن تكون قلت لنا في براءتك وجوابك الذي نسبنا لك فيه الإسهاب والاطناب ، وما أملينا عليك نحن في هذه المخاطبة وأكثرنا إلا حيث رأيناك جنحت بنفسك لما سوى ذلك ، وأعرضتَ عن هذه المسألة المتعين ذكرها والمحقق امرها ، وهي مما لا يمكنُ ولا يجملُ التغافلُ عنها ، ولا التعامي عن الجواب عنها

وأما نحن فما أظنُّ أننا أسأنا إليك في شيء من كل ما خاطبناك به في تلك البراءة التي أجبْتَ عنها الا في مثل إني أُحبك أكثر مما تحبني انت ، فلقد نسبتَ لنفسي كثرة محبتي فيك أكثر من محبتك فينا ، ولا يطلعُ على ما في القلوب ، إلا علام الغيوب ، فسامحنى في ذلك ثم سامحني ثم سامحني

ونسألُ الله تعالى أن يجعل محبتنا وقلوبنا مُوافقة متساوية في المودة والمحبة إلى أبد الأبد ، إذ المرءُ مع من أحب كما ثبت في الأثر الصحيح ، وكذلك ما أطلنا عليك في هذه المخاطبة ولا أكثرنا في المراجعة إلا محبةً وتأنيساً ومذاكرة لك ومعك ، وعلى سبيل الحنان والتعطف والشفقة عليك ولك

واللهُ تعالى يحفظك ويرعاك والسلام

وبه كُتب في الرابع من رجب الفرد المبارك عام خمسة عشر ومائة والف .

رسالة من السلطان مولاي إسماعيل

إلى فليب الخامس ملك إسبانيا
يطلب منه فيها تحرير أسير جزائري

الحمدُ لله وحده ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم
لا ربَّ غيرُه ، ولا معبودَ بالحقِّ سواه

عن الأمر العليِّ بالله تعالى المؤيدي المنصوري السلطاني الإمامي العلوي

(الطابع السلطاني بداخله)
(إسماعيلُ بن الشريف الحسني أيَّده الله)
(وبدائرته إنما يريدُ اللهُ ليُذهب عنكم الرجْس أهل البيت ويُطهركم تطهيرا)

أيده الله ونصره ، وظفر بيُمْنِه جنودَه وعساكره ءامين ، يارب العالَمين

إلى طاغية قشتاله ، اليُون ، راغون ، نباره ، ميورقة ، منورقة ، الأندلسية العليا والسفلا وغيرها فِليب كينُطُ (1)

---

1) **فليب الخامس** أولُ ملوك إسبانيا من ءال بوربون ، حفيد لويس الرابع عشر ملك فرنسا ، كان شارلُ الثاني ملكُ إسبانيا أوْصى به خلفاً له ، فلما تُوفي سنة 1700 م أنفذه لويس الرابع عشر لارتقاء العرش الاسباني ، فبدأتْ حربُ الوراثة الإسبانية (1701 - 1714) التي ذهبتْ بهيبة إسبانيا وأضعفتْها كثيراً ، كان بليداً ضعيف البنية سيطرت النساءُ على حياته .

مات سنة 1746 م

سلامٌ على من اتبع الهدى

أما بعدُ فقدْ وردَ لمقامنا العلّي بالله رجلٌ مسكينٌ من أهل جزائر مزغنَّة، وتلاقيْنا معه في يوم عيدنا المباركِ القريب من التاريخ ، وذكر لنا بأنَّ ولدَه اسمُه مُحمد بن صوفه أسير عندك في إيالتك إسبانية ، وهو الآن في الغراب المسمَّى قبّاطنه واستحْيَيْنا منه لكِبَرِ سِنِّه ولغُربته في بلادنا وقصده إلينا ، فنادَيْنا على النصارى الفرايلية (2) الاسبنيول الذين عندنا ، وتكلَّمْنا معهم في شأن ولد هذا الرجل المذكور ، فقالوا لنا إنهم لا قدرة لهم على تسريحه إلا بإذنك وبمشورتك ، فلذالك كتبْنا لك هذا الكتاب الكريم أسماهُ اللهُ لِتُسرحه لنا بعد أن عيَّنَّا نصرانياً واحداً من جنس الإسبَّنيول اسمُه منويل ابانيس ووجَّهناه لمدينة تطوان يجلس بها إلى أن يقدم المسلمُ الأسيرُ محمد بن صوفه المذكور ونسرحه حتَّى هو بحَوْل الله وقُوتِه ، وكذالك نَقْضِوْا لك جميع ما يعرض لك من الأغراض الجائزات في إيالتنا المباركة إن شاءَ اللهُ تعالَى بتَوْفيقِه ، وقد سرَّحْنا قبل اليوم واحداً من النصارى الفرايلية كان أسيرا عندنا أطلقْناه في يد النصارى الفرايلية وأوفوْا في فدائه معنا ، وكانوا يطلبون منا فداءَ بعض النصارى الأسارى ، واليوم رأيناهم قصروا في ذالك ولم يمُدُّوا أيديهم في الكلام فيهم معنا ، فأظنُّهم لا إذنِ لهم من قِبَلِك ، فإذا أعطيْتَهم الإذنَ فما نعملُ لهم إلا غرضَهم على عادتِنا المباركة معهُم

والسلامُ على من اتبع الهُدى

وكُتب في السادس والعشرين من ربيع الأول النبوي المفضَّل الشريف عام ثمانية وعشرين ومائة وألف

---

2) **الفرايلية** الرهبان ، مفرده فرايلي .



الحمد لله وحده ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ولا معبود بالحق سواه

عن الامر العلي بالله تعالى المؤيد المنصور السلطان [illegible] القلسوي

[illegible] وطبع [illegible] جنرال [illegible] العاليين

الى [illegible] فقد [illegible] اليوم [illegible] العليا والسفلا [illegible]

[illegible] كتبنا [illegible] على من اتبع الهدى [illegible] الا بالله رجل مسكين من

اهل [illegible] ذكر لنا ان [illegible]

اسمه محمد بن [illegible] اسير [illegible] ايالتكم اسبانية وهو [illegible] المسمى [illegible]

منه [illegible] بلادنا [illegible] النصارى [illegible]

[illegible] هذا الرجل المذكور [illegible] على [illegible]

[illegible] هذا الكتاب الكريم [illegible]

[illegible] اسبانيه [illegible]

[illegible] المسلم الاسير محمد بن [illegible] المذكور [illegible]

لك جميع [illegible] الله تعالى [illegible]

[illegible] النصارى [illegible]

[illegible] النصارى الاسارى [illegible]

[illegible]

[illegible] والسلام على من اتبع الهدى [illegible]

في ربيع الاول النبوي [illegible] عام ثمانية وعشرين ومايتين والف

رسالة السلطان مولاي إسماعيل
إلى فليب الخامس ملك اسبانيا
تتعلق بمعاملة الاسبانيين ليهودي من خُدام السلطان

الحمدُ لله وحدَه ولا حولَ ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

عن الأمر العليِّ بالله تعالَى ، المؤيد المنصور الهاشمي أمير المؤمنين، المجاهد في سبيل ربِّ العالمين ، الشريف الحسني

(الطابعُ السلطاني بداخله)
(إسماعيل بن الشريف الحسني أيده الله)
(وبدائرته إنما يُريدُ اللهُ ليُذهب عنكم الرجْس أهلَ البيت ويطهرَكم تطهيراً)

أيدهُ اللهُ ونصره ، وظفَّر بمنِّه وكرمِه جنودَه المباركة وعساكره ، ءامين

إلى فليبْ كينطُ (1) طاغية قشتالة ، والْيون ، وراغون ، وبسكاية ، وغليسيه والأندلسية الشرقية والغربية ، والهند ، وغير ذالك مما هو منسوبٌ لإيالتك

سلامٌ على من اتبع الهُدى ، وعمِلَ بمقتضاه ثُمَّ اهتدَى

أما بعد ، فلْتَعلمْ وأن قبلَ هذه الساعة بأيام قليلة كُنا أرسلنا لمدينة قالص (2) يهودياً من اليهود الذين يتسخَّرون (3) لنا في مُقتضياتِ الأمور الدنيوية ليقضي لنا بعض الأغراض بها ، واسمُه سيمون ضُلضانُ (4) ، ومعه ستةٌ من

---

1) كينطو Quinto أي الخامس باللغة الإسبانية.

2) ميناء قادس الإسباني Cadiz

3) يخدموننا ، يقضون مآربنا

4) **طوليدانو** المنسوب إلى طليطلة ، وفي المغرب أسرٌ يهودية تحملُ هذا الاسم العائلي أسلم منها أفرادٌ فمنهم من بقي يحملُ هذا الاسم ، ومنهم من صار يُدعا ابن مسعود .

اليهود يخدُمونه، وبيده كتابُنا الأسمى مكتوب لخديمِك المتولّي أمر الكلام على يدك في مدينة قالص، ونحن نذكرُ له فيه بأنْ يترك اليهودي المذكور يتمشّى بعض أيام محدودة مقدار ما يَقضِي أغراضَنا المباركةَ فيها ، ظنّاً منا أن هذا أمرٌ خفيفٌ وليس فيه تصعيب ولا تعنيف ، ثمَّ إنه ظهر لنا بما صدر منه أن لا قدرة له بذالك ، ولو كانتْ له القدرةُ لفعل وإنما ذالك تعلقاً من ديوان ءاخر يُسَمَّى عندكم بالإنكسِسْيُونْ (5) ، فلذالك كتبْنا لك ، لأنَّك مالك ، وكلّ شيء ولا بُدَّ فمرجوعُه إليْكَ هُنالك ، وأما قولُ أهلِ ديوان الإنكسِسْيُون إن مباشرةَ اليهود تفسدُ عقائدَ العامَّة ، لوْعلمْنا نحنُ ذلك منهم لا تركْنا منهم ذاكره ، لأن الإنسان إذا اختار لنفسه دينَه لا تُفسده له العقائد الحادثة، مع أنهم إذا كانَ ولا بُدَّ من ذالك فيُعَيِّنُون لهم رجلاً عاقلاً من أهل ديوانِهم المذكور، ويصحبُهم ويُلازِمُهم في طريقهم ولا يتكلمون مع أحد من العامة في أمور دينهم، كما هي عادتهم معهم ، أوَ ما علِمْتَ أن في إيالتنا المباركة عندنا من النصارى الفرايلية الكنائس والأماكين الذين يكفرون فيهم على عادتِهم بأصنامهم وصُلبانهم، وجميعُ ما يحتاجونَه في كنائسهم وذالك كله مكروهٌ عندنا في ديننا ، وأجزنا لهم ذالك لأجل ما تقدَّم لأسلافكم من حُسن المخاطبة معنا ، ولهذا نحبُّ منك المكافات (6) في أن تأذنَ للذمّي المذكور يدخلُ مدينة قالص ويستقرُّ فيها نحو شهرين أو ثلاثة حتى يقضي مئاربَنا بها من غير متعرض له في ذالك ، وكلُّ ما يعرضُ لك من الأغراض الجائزة في إيالتنا السعيدة يُقْضى لك عندنا بحوْل الله وقوته انتهى

وكُتب في عشرين من محرم الحرام فاتح عام تسعة وعشرين ومائة وألف .

---

5) L'inquisition أي محاكم التحقيق الشهيرة.

6) المكافاة المجازاة والمعاملة بالمثل .



الحمد لله وحده ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
عن امر العلي بالله تعالى المؤيد المنصور الهاشمي امير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين الشريف الحسني

ايده الله ونصره [illegible] جنوده [illegible] وعساكره [illegible]
الى مليك [illegible] طاغية قشتالة وليون وراغون وبسكاية وغليسية والاندلسية
الشرقية والغربية والهند وغير ذلك مما هو منسوب لديالتك سلام على من اتبع الهدى
وعمل بمقتضاه ثم انه لا يخفى [illegible] الثلاثة [illegible] فليلة كتبنا ارسلنا المدينة
[illegible] يهودي من اليهود الذين [illegible] لبعض الاغراض بها
واسمه [illegible] من اليهود [illegible] كتبنا الى [illegible] المتولي امر
[illegible] اليهودي المذكور [illegible]
[illegible] المباركة [illegible] والتعنيف
ثم انه [illegible] ذلك [illegible]
[illegible] بالانكليسيين [illegible] لانك مالك [illegible]
[illegible] اليهود [illegible] ذلك منهم
[illegible] الانسان [illegible] العادة [illegible]
[illegible] المذكور [illegible]
[illegible] العادة [illegible]
[illegible] النصارى [illegible] على
عادتهم [illegible] وجميع [illegible]
[illegible] ذلك [illegible] الاسلام [illegible]
[illegible] المذكور [illegible] ثلاثة [illegible]
[illegible] الاغراض [illegible]
[illegible] بعون الله وقوته [illegible] عام
تسعة وعشرين ومائتين والف

Por orden de S. M. Zaccar

Mohamed El [illegible]

جوابُ الخليفة العُثماني السلطان أحمد خان الثالث (1) عنْ رسالة للسلطان مولاي إسماعيل

إلى الملك الجميل الفعال ، السالك محمود الخصال ، حارس ثغور الإسلام ، فارس هيْجاءِ الاعتصام ، صاحب العزّ والمجد ، والسياسة والجِدِّ، الموْلَى إسماعيل ، أدام اللهُ عزه ، وحرس حَوْزَه ، وأمدَّهُ بالعزِّ والسعادة، وصوب السيادة ، صاحب الملك والنعمة ، واللطافة والرحمة

بعثْتُ إليْك بسلام خالص وتحية طيِّبة ، وألقَيْتُ عليْك محبَّةً مني عن طيب خاطر ، وخيْرٍ مُتواتر ، لأنَّك صاحبُ الكرسيِّ الشريف ، وشرفُكم أصيل من جدٍّ إلى جَدّ ، إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم وشرَّفَ ومجَّد ، وقد جعلَ اللهُ بينَكم مودَّةً ورحمة وأنتم أصحابُ العقل والمجد والكرامة السَّرْمدية ، وأهلُ الشريعة المحمدية ، يجبُ علَيْنا معرفةُ قدركم ، والتنويهُ بمجدكم وفخركم ، وكيف تخفانا كرامتُكم وطهارتُكم ، واللهُ يقول : إنَّما يُريدُ اللهُ ليُذهب عنكم الرجْس أهلَ البيْت ويُطهِّرَكم تطهيراً ، وأنتم أهلُ الفضل والسلطنة العلية ، ومُفَتَّحَةٌ لكم الأبوابُ السَّنية

هذا وقد وصلَنا كتابُكم الشريفُ الرفيعُ الأسما ، مُترجماً عن أسرارِ محبتكم ، فعرفْنا ما تضمَّنَه من الصداقةِ والمحبَّةِ والموَدَّةِ الخالصة فينا ، فأعجبَنا كثيراً وعظَّمْناهُ في قلوبِنا ، وفرحْنا بِه فرحاً كبيراً ، وانشرحتْ به صدورُنا ، وطابتْ به نفوسُنا ، وعظَّمْناه تعظيماً زائدا ، وتحقَّقْنا من خطابك فيه أنَّك تُحبُّنا محبةً كثيرةً صافيةً بصفاءِ قلبٍ وصدق نيَّة مُتوَجِّهةٍ لوجْهِ الله، ومن قديم الزمان كانتْ ملوك المغرب من الأشراف يكتبون إلينا ، وتردُ

---

1) أحمد خان الثالث خليفة عثماني ، ولد سنة 1673 م وجلس على عرش السلطنة بتركيا سنة 1703 خلفاً لأخيه مصطفى الثاني ، ثار عليه الأنكشارية وخلعوه ونصبوا مكانه ابن أخيه محمود الأول ، ومات في السجن عام 1736 م .

رسلُهم علَيْنا ، ولم تنقطعْ كتُبُهم ورسلُهم عن أسلافنا ، وكانتْ بيْنَنا محبَّةٌ قَديمةٌ في سالفِ الزمان ، ملك عن ملك وسلطان عن سلطان

إعلمْ أيُها السيِّدُ المولَى أنَّا قبلَ أن يصلَ إلينا كتابُكم الأسْما ، وخطابُكم الأنْما ، كنا لا نعرفُ ما همْ عليْه أهلُ الجزائر ، ولا أنْهى إلينا فعلَهم أحدٌ كما أنهيْتُموهُ لنا ، ولا عرفْنا ما صار عندَهم ولا ما همْ عليْه ، وبالجملةِ أهلُ الجزائر ما همْ على شيء لكَوْنِهم أخلاطَ الناس ، فيهم الأصلي وفيهم البراني وفيهم مَن لا خَلاقَ له ، ولم تكنْ عمارتُها بذوي الأحساب والأنساب ، كلُّ هذا لا يخفانا قبل ، نعرفُه ونتحقَّقُه منهم ، وقد بلغنا أنهم خرجوا من البلاد بمحلَّتِهم وأرادوا الشرَّ معك ، وإنَّا لا نرضى منهم ذلك ، وهذه الذخائرُ والأموالُ والخزائنُ التي خبَّرْتَنا بها قطعاً خبَّرَ بها غيرك ، والآن إن شاءَ اللهُ نردُّ لهم البال ، ونشتغلُ بهم ولا نتركُهم في حَيَزِ الإهمال ، وتلك الخرجةُ التي خرجوا لبلادِك نطلبُ من كمال فعلك وحسبِك أن تسمح لهم فيها لوَجْهِنا، وإن عادوا يُراجعونَك ولو بكلمةٍ نَمحي جرَّتَهم وهذا زمان ما جاءَنا سُفراؤُهمْ وأخبارُهم ، والآن حيثُ أيْقظتنا إن رجعوا عن سوء فِعلهم فذاك المُنَى والمراد ، وإن تمادَوْا على غَيِّهم وأساءوا في جانبِك ولو بكلمةٍ أعلمْنا ونحنُ نُفَوِّضُ لك فيهم تنتقمُ منهم بيدك وتفعلُ فيهم ما أردت

ومسألةٌ أخْرى ، وإذا احتجتَ إليْهم لغزْوٍ وأردتَ أخذ بلدٍ من بلاد النصارَى وأرسلتَ إليْهم فإنَّهم يكونونَ منقادين للخدمةِ بين يدَيْك كما تحب وترضَى إلى أن تَقضي غرضَك وتُتِمَّ حاجتَك في الجهادِ ومُرادَك ، فإن ساعدوك على ذلك فتباركَ الله ، وإن لمْ يُساعدوك فاكتبْ لنا وتَرَى ما نفعلُ بهم ، وأنا كما تعلمُ ما غفلتُ عنْهم إلا لأجْلِ الجِهاد ، ووقوفِهم في ذلك الباب في تلك البلاد ، ومن هذا الحين إن شاءَ اللهُ نعودُ نبعثُ إليْهم في كل سنة باشا جديداً وقاضياً كذلك يطَّلعانِ عليهم ، ولا يُغَيِّبان خبرهم عنَّا حتى لا يغيب عنَّا شأنٌ من شؤونِهم ولا أمرٌ من أمورهم ، ولا نغفلُ عنْهم بعد هذا ، فجزاك اللهُ عنَّا خيراً حيثُ نبَّهتَنا وأيْقَظْتَنا لفعلهم ، ولا شكَّ أن فيهم البعض يلزمُهم التعزيرُ في الشرع ، وإنا نغفلُ عنْهم لما ذكرْنا لك من أمور الجهاد ، وإنَّا

نعرفُ ونتحقّقُ أن لا قدرة لهم على الوقوف أمامَك ، ولا يُطيقُون ملاقاتَك ، ولكن إذا أنتَ حركتَ إليْهم وقصدتَ مضرَّتَهم فانَّك تُعطلُهم عن الجهاد ولا ينبغي لك تعطيلُهم عن الجهاد شرعاً ، وإذا همْ فعلوا ما يَغيظُك أو ما لا يليقُ بك فينبغي بفضلك وحِلمِك وجودِك أنْ تتجاوزَ عنهم ، ولا تُحافيَهم بسوء فعلهم لأجل الجهاد ، وما غفلنا عنهم نحن إلا لأجْلِه ، ولقد كفوْنا أمره ، ولا نحتاجُ أن نتكلف لهم براتبٍ ولا مصروف ولا ملزوم ولا غيرِ ذلك بفضل الله ، ولا احتياجَ لنا بخزائنهم ، فمن كل ناحية وبلدة تاتينا الخزائن بلا نهاية ، فلله الحمدُ وله الشكر ، (وءاتاكم ما لم يوتِ أحداً من العالمين) ، ويدُنا والحمدُ لله طائلةٌ عليْهم وعلى غيْرهم ، ولا نقولُ إني بعيدٌ عليْهم ويمنعون منا إن نحن قبلنا عليهم أوْ رددْنا البالَ اليْهم ، فما همْ إلا لقمةٌ وخزائنُهم ومتاعُهم لا يُسمن ولا يُغني من جوع ، وإنما لما بلغَني كتابُك الشريفُ علمتُ شيطَنتَهم وقبحَهم ، وغاظني كثيراً فعلُهم كما أغاظَك أو أكثر ، وهذه مدةٌ طويلةٌ لم ياتوني ، واليوم حيثُ ظهرت شيطنتُهم إن هم جاءوني وأتوني فإنا نعرفُ ما نصنعُ بهم ، لأن السماعَ بنا كالشمس في وسط النهار ، وذلك فضلُ الله، وعلى خاطرِنا لا تُحافيهم بسوء فعالهم ، واللهُ تعالى يُنجِّيك ويحفظُك من كلِّ بلاءٍ ءامينَ يارب العالمين

وبعد ما يصلُ كتابُنا هذا إليك وتطالعُه وتفهم ما فيه تعرف ما نحنُ عليه من الجد والاجتهاد ، وأنَّا مُتمادون بحمد الله سبحانَه على الجهاد من عهد الآباءِ والأجداد ، رحمهم الله ، وأنتَ أعزَّك اللهُ إذا كانَ النصارى قريباً منك لا تغفلْ عنهم ولا عن جهادِهم ، ولا تَنَمْ أبَداً عن قتالهم ، قال اللهُ تعالى (تُجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون)، وقال تعالى (قاتلوا الذين يَلونَكم من الكُفار وليجدوا فيكم غِلظة) ، وقالَ تعالى (وفضَّلَ اللهُ المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً درجاتٍ منه ومغفرةً ورحمة ، وكان اللهُ غفوراً رحيماً) ، إلى غير ذلك من الآي الشريفة الكريمة الواردةِ بالتحريض ، والأمرُ بجهاد الكفار أمرٌ واجب ، ونحنُ والحمدُ لله ما لنا اشتغالٌ ولا استغرقْنا ليلنا ونهارنا إلا في جهادِ العدو الكافر ، ونجرُّ إلى أعداءِ الدين الجيوش والعساكر ، وحيْثُما توجَّهْنا والحمدُ لله نقطعُ كلمة

الكفر ونُقيمُ الدينَ والأذان ، في جميع الأقطار والأوطان ، وحيثُما تلحقُ يدُنا يزولُ الأذى والفسادُ من الأرض بتأييدِ الله ومعجزة رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلم وننتقمُ من عدوِّ الله الكافر حيثُما كان ، والجهةُ التي نُقبلُ عليها ونتوجَّهُ بحول الله وقوتِه إليْها ولم يعطوا للطاعة يداً نخربُ مملكتَهم ، ونجدبُ أفئدتَهم ، وأنت إذا كان النصارى حِذاءَك وبقُربِك لا تُبطل الجهادَ أبَداً ، واللهُ يرزقُك تأييداً ، وينصُرك عليْهم نصراً عزيزاً طويلا مديداً ، وأما نحن والحمدُ لله كلَّ ما والانا من النصارى والأعجام ، طوَّعناهم بصارم الحسام ، ولمْ يبقَ والحمدُ لله من يرفعُ منهم رأسَه

وجزاك اللهُ خيراً حيثُ ذكرْتَنا وكتبتَ إلينا وعرفتَ قدرنا وما نحنُ عليه من الجِدِّ والاجتهاد والاشتغال بجهاد الكفرة في سائر النواحي والبُلدان ، وأقول

أنا الشمس قدراً والملوكُ كواكب أنا البحرُ جوداً والكرامُ جداولُ

وذلك فضلُ الله يُوتيه من يشاء ، واللهُ ذو الفضل العظيم

وقد أمر الله بهذه الغلظةِ على الكفار ، الذين استغرقْنا في جهادهم الليل والنهار ، والسرَّ والإجهار ، وكل من يُسمعُ به قد عظمتْ شوْكتُه من ملوك النصارى نحركُ له ونقطعُ ءاثاره ، ونخربُ بلادَه وديارَه ، ونتركُه تحتَ يدِ القهْرِ ذليلا ، خاسئاً حسيراً كليلا ، والحمدُ لله الذي لم يجعل للكافرين على المومنين سبيلا ، وإذا بَقِينا بلا شُغل ولم نجدْ من النصارى من نجاهدُه نُفسدُ الصلح مع بعضِهم بموجب ولا نُخادعُهم ولا نُبطلُ جهادَ الكفار أصلا، ولا نخلي أبداً منه وقتاً ولا محلا

فادعُ لنا بفضلك فإنَّ دعوةَ الأمير العادل مُستجابة ، صادقةٌ من غير استرابة ، ونطلبُ أن لا ينسانا جميعُ أهل طاعتك من المومنين خصوصاً العلماء والأولياء ، والمشايخَ والصلحاء ، وعساكر الموحدين ، من الدعاء

والإعانةِ على جهاد الكفّار وأعداءِ الدين ، وقد كُتب لك هذا الكتابُ عن خلوص قلب ومحبةٍ ومودّةٍ ثابتةٍ زائدة ، والسلام

وكان تحريرُه ءاخرَ جمادى الأخيرة عامَ سبعة وثلاثين وإحدى عشرة مئة بدار السلطنة العلية قُسْطَنطينية سالمة محمية (2)

---

2) نقلْنا هذه الرسالة من كتاب **الدر المنتخبِ المُستحسن** ج 8 لأحمد ابن الحاج السلمي الفاسي ، ونقلها منه أيضاً عبد الرحمان ابن زيدان العلوي في كتابه **المنزع اللطيف** ص 280 وبعد تاريخ الرسالة وردتْ هذه العبارة : وفي روايةِ سنة 1093 ويُحتَمَلُ أنهما قضيتان والله أعلمُ بالماهية !

فهارس

أسماءُ الرجال والنساء

أ

ب

ت

ج

ح

خ

ر

ز

ك

ل

م

ن

ع

غ

ف

س

ش

ي

أسماءُ القبائل والجماعات

أ

ب

ت

ج

ذ

ط

م

ع

ش

و

أسماءُ الأماكن والبلدان

أ

ب

ت

ج

ح

د

- 156

ص

ع

ف

ق

س

ش

هـ

و

يـ

أسماءُ الكتب

أ

ب

ت

ج

ح

د

ذ

ر

ط

ظ

ك

م

ن

ص

ض

ف

ق

س

ش

ي

فهرس ابواب الكتاب

جدول الصواب والخطأ

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
10	15	دُدرُ الحجال	دُررُ الحجال
14	21	1045 هـ	1405 هـ
18	15	سلسة	سِلْسِلَة
26	17	يشمتل	يشتمل
30	21	قُتلتُ قأحيى	قُتلتُ فأحيى
34	4	سلسة	سلسلة
38	14	متوقفا في الدماء	متوقفا عن سفك الدماء
46	5	الحنطل	الحنظل
56	20	الجنـة	الجلَّـة
59	11	نـالـه	ينالـه
76	11	والكافر	الكافر
76	23	لا تنقطع	لا تتقطع

تحت الطبـــع

انبعاث أمَّة

ج 40

* * *

قبائل المغرب

ج 1 (طبعة ثانية)

* * *

الوثائق

ج 9

Mohamed El - Yafrany

Rawdat ET - TA A'Rif

(History of Moulay Ismaîl)

Revised by :

A. BENMANSOUR
Historiographer of the kingdom of Morocco